لسانيّات المدوّنات

مقدمة موجزة

هذه ترجمة مأذونة لكتاب:

Corpus Linguistics

A Short Introduction

By: Wolfgang Teubert, Anna Cermakova

1st. Edition, 2007

Imprint: Continuum International Publishing Group

ISBN: 9780826494818

وولفغانغ تيوبيرت
آنا شيرماكوفا

لسانيّات المدوّنات

مقدمة موجزة

ترجمة: أفراح التميمي

كنوز المعرفة

دار كنوز المعرفة
للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ وسط البلد ـ شارع
الملك حسين ـ مقابل بنك الإسكان
+962 6 4655877
+962 79 5525494
712577 عمان
dar_konoz@yahoo.com
info@darkonoz.com
www.darkonoz.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2021/4/2367)

404
تيوبيرت، وولفقانق
لسانيات المدونات: مقدمة موجزة / وولفقانق تيوبيرت، ترجمة افراح عبدالعزيز التميمي.-
عمان: داركنوز المعرفة للنشروالتوزيع، 2021
()ص

ر.إ.: 2021/4/2367
الواصفات : اللسانيات // علم الاصوات اللغوية // اللغات/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-74-962-0

الطبعة الأولى
1443هـ ≈ 2022مـ

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملا أو مجزءا أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على كمبيوتر أو برمجته

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ٥

١ ـ اللغة ولسانيات المدونات

وولفقانق تيوبيرت

١-١ هل كل اللغات واحدة؟ ٩

١-٢ اللسانيات المعيارية ومعنى الكلمة ٢٢

١-٣ الكلمات والتعبيرات الاصطلاحية والمتلازمات اللفظية ٣٢

١-٤ لسانيات المدونات: نظرة مختلفة إلى اللغة ٤٥

١-٥ نبذة تاريخية عن لسانيات المدونات ٦٢

٢ ـ اتجاهات في لسانيات المدونات

وولفقانق تيوبيرت، وآنا شيرماكوفا

٢-١ اللغة والتمثيلية ٧٣

٢-٢ تصنيف المدونات ٧٩

٢-٢-١ المدونة المرجعية reference ٧٩

٢-٢-٢ المدونة الراصدة monitor ٨٥

٢-٢-٣ المدونة المتوازية parallel ٨٧

٢-٢-٤ مدونة الإنترنت internet ٩٠

٢-٣ المعنى في الخطاب ٩١

٢- ٤ المعنى استعمالا، وصياغة ٩٥
٢-٥ Globalisation [العولمة] ١٠٣
٢- ٦ ما الذي يتكشف لنا عن معاني الكلمات من لسانيات المدونات ١١٧
٢-٧ المتلازمات اللفظية، والترجمة، والمدونات المتوازية ١٣٢
٢-٨ الخاتمة: من المعنى إلى الفهم ١٤١
مطالعات أخرى ١٥٥
قائمة المصطلحات ١٥٩
المراجع ١٦٧
المدونات..... ١٧٤

١ ـ اللغة ولسانيات المدونات

وولفقانق تيوبيرت

ملخص الفصل:

١-١ هل كل اللغات واحدة؟

١-٢ اللسانيات المعيارية، ومعنى الكلمة.

١-٣ الكلمات، والتعبيرات الاصطلاحية، والمتلازمات اللفظية.

١-٤ لسانيات المدونات: نظرة مختلفة إلى اللغة.

١-٥ نبذة تاريخية عن لسانيات المدونات.

١-١ هل كل اللغات واحدة؟

«وفقا لما طرحه تشومسكي: لو زار عالم مريخي الأرض، سيقرر بدون شك أن كل البشر يتحدثون لغة واحدة، باستثناء مفردات خاصة لا يفهمونها فيما بينهم» (بينكر، ١٩٩٤، ص.٢٣٢). والحقيقة أننا إن استبعدنا معاني الكلمات والجمل والنصوص، سنجد أن لغاتنا الطبيعية تتشارك العديد من الخصائص. فاللغات خطية linear، حيث للمنطوق من الكلام بداية ونهاية، وبين البداية والنهاية نجد سلسلة من الأصوات أو الأحرف التي يمكن أن تكون رسوما رمزية كما في الصينية، أو الألفبائية في أغلب اللغات الأوروبية. وهذه الحالة بالطبع موجودة أيضا في اللغات الإشارية، فالمنطوق فيها هو أيضا سلسلة من الإشارات، كحركات اليدين وحركات الأصابع وتعبيرات الوجه.

وتختلف المنطوقات عن الصور؛ إذ إن للمنطوقات بعدا واحدا، وللصور بعدان. وحتى لو حاولنا وصف صورة، سيكون الوصف ذا بعد واحد. وستكون الخطية linearity أيضا خاصية للغة العالِم المريخيّ الزائر، فكل اللغات أنظمة دالة على محتوى، حيث لكل منطوق محتوى، ولكن المحتوى ليس المنطوق. إن المنطوق تتابع من الإشارات التي تمثل المحتوى وتقوم مقامه. ومنطوق «عالم مريخي يزور البشر» يمكن أن يقال إنه يمثل رمزا أو تمثيلا صوريا أو صورة ذهنية، وهو ذو بعد واحد، أو بعدين أو حتى ثلاثة أبعاد. ولكن المنطوق دائما ما يكون سلسلة من الرموز ذات بعد واحد. ويحرص جون سنكلير ـ أحد رواد لسانيات المدونات ـ على ترداد ما يُعتقد أنه منسوب للنحوي إي. أُو. وينتر، وهو «أننا بحاجة إلى النحو؛ لأننا لا يمكن أن نقول كل شيء في نفس الوقت». وهذا بالتأكيد هو سبب حاجة كل

اللغات الطبيعية للنحو، وربما أيضا سبب إمكانية وصف تلك الأنحاء المختلفة مع عدم تشابهها، وبعبارات متشابهة جدا.

فهل هذا ما يعنيه تشومسكي (تشومسكي ١٩٥٧)؟ ليس ذلك تماما، حيث يرجح أن كل الناس يتشاركون الملكة اللغوية نفسها، تلك الملكة الفطرية التي تضبط طرق انتظام الرموز لتكون منطوقا، وهذا ما يدعى بالنحو. فالملكة اللغوية الفطرية من وجهة نظر تشومسكي هي ما يشكل النحو. وهذا لا يعني أننا نقول إن كل اللغات تتشارك النحو، ولا حتى في أعمق مستوى. وفي الوقت الحالي، يرى تشومسكي في نظريته (البرنامج الأدنوي) أن جهاز اللغة مثل الأداة التي تعطي خيارات محددة. فالصفات مثلا، يمكن أن تتقدم، أو تلي الاسم الذي تقيده، ولكن كل اللغات لديها صفات، وأسماء، وأقسام أخرى مختلفة من أقسام الكلام. إنها كليات، وتتشاركها كل اللغات البشرية. ولذلك ـ وهذا المهم ـ الملكة العقلية اللغوية، لا يمكن التنبؤ بطبيعتها، أي أنها قد تكون على هذا النحو، ولكنها قد تختلف (والملكة اللغوية لسكان المريخ قد تختلف أيضا). إن المشكلة الفلسفية المرتبطة بهذه الحالة، هي أن مصداقيتها تعتمد على تصور لغة قطعية، لغة يمكن أن توجد، ولكنها لا توجد. لغة لا تتوافق مع أوضاع الجهاز اللغوي، ولكنها فيما عدا ذلك ـ باعتبارات وظيفية ـ تعادل اللغات الطبيعية الموجودة.

وتوجد آراء تشومسكي المتعلقة بالنحو الكلي في كتابه New Horizons in the Study of Language and Mind (تشومسكي ٢٠٠٠، صص. ٧-١٥). وإذا كان قد نجح في عرض قضيته بطريقة مقنعة، فإنها تظل مسألة خلافية. ويبين جيوفري سامبسون (١٩٩٧) في Educating Eve: The 'Language Instinct' Debate أن هناك أدلة مناقضة لما يتعلق بالعديد من الخصائص اللغوية التي يزعم تشومسكي وبينكر أنها كليات.

لقد كانت اللسانيات التقليدية جيدة في وصف كيفية عمل تراكيب الجمل والصرف والتصريف. فثمة مجموعة من الافتراضات الأساسية، ومعظمها كان موجودا منذ العصور الكلاسيكية، ومستعملة لوصف أي لغة يلقاها اللغويون. وتشمل تلك الافتراضات حقيقة وجود كيان نسميه جملة sentence وكيان نسميه جملة صغرى clause، وأنه يوجد فواعل ومفاعيل ومسانيد، ويوجد أيضا كلمات. وثمة أنواع من الكلمات تعرف بأقسام الكلام (من المصطلح اللاتيني partes orationis)، وأكثرها ظهورا في اللغات: الأسماء والصفات والأفعال والظروف (الأقسام الأربعة الأكبر محتوى)، وأقلها ظهورا هي: الضمائر والمحددات وحروف الجر. ويعتمد عددها على اللغة، أو على النظرية النحوية الخاصة باللغة، فقد تزيد قليلا أو كثيرا. وفي لغة مثل الإنجليزية، تظهر الكلمة بأشكال مختلفة. فالاسم table مثلا، يظهر بصيغة الإفراد table، أو بصيغة الجمع tables . وفي العديد من اللغات الأوروبية، يخصص الفعل المتصرف بخاصية الشخص person (الإسناد)، وبخاصية العدد، الملائمتين للفعل (مثلا الفعل في I laughed للشخص الأول (أي المتكلم) مفرد، وفي We laughed للشخص الأول (أي المتكلم) جمع). كما يخصص بخاصية الزمن tense (مثلا: ماض، مضارع)، وبخاصية الحالة mood (مثلا: إشاري، شرطي ...)، وبالبناء voice (معلوم، مجهول). وترتبط الكلمات ببعضها لتشكل وحدات أكبر كالعبارات الاسمية، أو الفعلية، أو غيرها من مختلف أنواع العبارات، ويمكن أن تضم عبارات متنوعة لبعضها، فتشكل جملة صغرى أو حتى جملة كبرى.

وهناك بالطبع اختلافات في تفاصيل الوصف النحوي والنظرية النحوية، وكل تلك الكيانات تشكل مجموعات ذات حدود غير واضحة. فمثلا، توصف بعض صيغ –ing في الإنجليزية بوصفها صيغا فعلية (‘She was laughing’)، أو صيغا اسمية (‘Laughing uses quite a few muscles’). وتميل مختلف المدارس اللسانية

إلى تحديد هذه الكيانات بطرائق مختلفة، مقدمة إياها بمسميات مختلفة. فمثلا، يسمي العديد من اللغويون the concert في الجملة ('I enjoyed the concert') مفعولا به للفعل enjoy؛ ولكن ثمة أيضا مصطلح أعم قد يستعمل وهو المتمم complement. وفيما يفرق بعض اللغويون بين أنواع مختلفة من 'المفاعيل'، فهم يميزون بين الهدف المادي لأفعال مثل: break -hit، والمفعول به للأفعال السلوكية أو الموقفية مثل: enjoy-dislike.

ومع ذلك، فإن كيانات النحو ومقولاته الأساسية عند العديد من اللغويين، هي موضع اتفاق. وأيا ما سماها اللغويون من أي مدرسة، فإن بعضها إلى حد كبير يقابل بعضها الآخر. ونعوم تشومسكي هو واحد منهم. فلم يعتادوا على وصف اللغة الإنجليزية واللغات الهندو أوروبية وحسب، وإنما قصدوا كل اللغات. وقد تظهر في بعض اللغات خصائص ليست في الأخرى، حيث يوجد مثلا في العديد من لغات سكان أستراليا الأصليين خاصية التثنية، في مقابل الإفراد والإجماع؛ للدلالة تحديدا على وجود شيئين اثنين، أو زوج من الأشياء. ففي البيتجانية ngayulu (أنا)، وngali (نحن اثنان) و nganana (نحن ثلاثة أو أكثر). ولا يوجد في بعض اللغات ـ كالأندونيسية مثلا ـ تصنيفات للأفعال من حيث الزمن، ومن حيث الحالة الإعرابية، ولكنها في الأساس هي نفس المجموعة المحدودة من الكيانات والخصائص التي توصف بها أي لغة من لغات البشر. ولن يكون غريبا استعمالنا لها أيضا لوصف كل لهجات سكان المريخ، إذا ما وقفنا عليها.

ويمكن أن تتصل الكيانات الصغرى ببعضها، فتشكل كيانات كبرى، تقوم القواعد التركيبية بتحديد أي الروابط بينها نحوي، وأيها ليس كذلك. وتعد أصغر الكيانات التركيبية عند العديد من اللغويين هي الكلمات، وعند آخرين تعد الوحدة الصرفية morpheme هي الوحدة الصغرى. إن الوحدات الصرفية، هي أجزاء من

الكلمات، وهي العناصر اللغوية الصغرى التي يمكن أن يسند إليها معنى أو وظيفة. فصيغة الكلمة singing، تتألف من وحدتين صرفيتين هما: sing و –ing. وتوجد أيضا الوحدة الصرفية –ing في معظم الأفعال الأخرى، كما نجدها في أبنية تركيبية معينة، مثل مجيئها بعد مجموعة معينة من الأفعال، نحو: help- see- hear، نحو: 'he heard her singing in the rain'. ولأن وجود الوحدة النحوية، يمكن أن يقال إنه بسبب التركيب syntax؛ اعتبر بعض اللغويين البنية الصرف نحوية morphpsyntax جزء من التركيب، فالوحدات الصرفية morphemes تعد بالنسبة إليهم جزء من التركيب. ولكن ـ بصفة عامة ـ إذا أُخذ التركيب على أنه شيء مختلف عن باقي الأنظمة النحوية المعجمية، فإنه يفهم على أنه وصف لكيفية تركيب الكلمات لتشكيل جملة نحوية.

وفي ضوء ذلك، تكون الكلمات هي النسيج الأساسي للتركيب. فهي تشكل المفردات التي هي معجم اللغة. ويتفق اللغويون ـ ومنهم تشومسكي ـ على أن المعجم هو قائمة محدودة (قليلة أو كثيرة) من المداخل المعجمية. ويتألف كل مدخل معجمي من الكلمة، وإشارة للقسم الكلامي الذي تنتمي له، والخصائص التركيبية والدلالية التي تتضمنها الكلمة. فالمدخل المعجمي boy، يكشف لنا أن الكلمة اسم معدود (ومن ثم يوجد لها صيغة جمع هي boys)، وأنها تتناسب ـ وفقا لقواعد وقيود محددة ـ مع موضع slot (أي: عنصر طرفيّ في البنية التركيبية لأي جملة) يتطلب كلمة تشير إلى كائن بشري (كموضع الفاعل والمفعول للفعل love). فالجملة Big boys love intelligent girls قد توصف بهذا التركيب: صفة + اسم + فعل (متعد) + صفة + اسم. ويمثل كل اسم بالإضافة إلى الفعل موضعا يمكن إدخال عنصر معجمي مناسب فيه يؤخذ من المعجم.

إن الكيانات والخصائص والقواعد، هي الأشياء التي تتكون منها كل لغة حسبما يرى تشومسكي. ولذلك زعمه المتعلق بتشابه اللغات، ليس مستبعدا تماما.

فاللغات تتشابه؛ لأن أصواتها وتركيبها وصرفها، يمكن أن توصف بالمصطلحات نفسها، أو على الأقل بمصطلحات شبيهة. وأما عند عامة اللغويين، فكل اللغات متشابهة تقريبا. إذ قد تتبع قواعد مختلفة، غير أنها تتألف من نفس الكيانات، وتتشارك العديد من الخصائص.

ولكن، هل هذا يعني أن الكيانات، وأنواع الخصائص، وضروب القواعد، هي كليات لغوية؟ إن الجواب عن ذلك ليس سهلا. فما نوع الواقع الذي نصفه عند وصفنا للغة؟ ثمة تتابع من الأصوات، وتسلسل من الحروف الألفبائية (أو غيرها من الحروف الموجودة في اللغات ذات الأنظمة الكتابية غير الألفبائية) اعتدنا على تحليلها (بمهارة) بوصفها لغات. حيث يقوم اللغويون بتقطيع هذه السلاسل الحرفية strings إلى أجزاء، وقطع صغيرة، وإسناد وظائف مختلفة إليها. فنسمي أجزاء معينة منها أسماء، كتلك التي تُسبق في الإنجليزية بمحدِّد، وتشغل رؤوس العبارات الاسمية، أو العبارات الحرفية، وتلك المقيَّدة بعبارة وصفية أو عبارة حرفية). ولكن هل هذا يعني أن الأسماء هي أكثر من أن تكون مجموعة من الخصائص التي نقوم بتحليلها في نظريتنا؟ فهل كلمة fake في الجملة This is a fake diamond اسم أم صفة؟ إنها بكل تأكيد تقييد للاسم diamond الذي لا يمكن أن يكون غير كذلك. وهي بهذا المعنى تشارك خصائص الصفات، ولكن الصفات عادة ما تكون متدرجة (big, bigger, biggest; short, shorter, shortest)، وfake ليست كذلك. وعادة ما تستعمل الصفات على هيئة إسنادية كما في: the house is big, but the garden is small أو isn't his hair short!. وfake قد تقع مسندة، كما في: this diamond is fake، غير أن العديد من الناس يفضل القول: this diamond is a fake. ويبدو أن الوصف النحوي سيتطلب القول بأن fake صفة في this diamond is fake، واسم في this diamond is a fake. ولذلك يترك القرار للغوي أو المعجمي في وصف

fake باسم يمكن استعماله صفة، أو صفة يمكن استعمالها اسما. ولا بد لمثل هذه الملاحظات أن تثير الشك في الاعتقاد السائد بأن الكيانات أو المقولات النحوية ـ كالأسماء ـ موجودة بمعزل عن وصفها، بنفس الحالة التي سيظل وجود الكلمتين Apples و Peas عليها، فيما لو لم يحاول أحد تصنيفها، وإن اختلفتا في التصنيف.

ويوضح تشومسكي أن اللسانيات لا بد أن تصف ملكة الإنسان اللغوية في توليد عدد غير محدود من الجمل النحوية المختلفة. وهذا هو السبب الذي جعله مع العديد من أتباعه يعارضون الدراسات التجريبية اللغوية (حيث تعني التجريبية تحليل النصوص الموجودة). ولا يوجد حجم معين من النصوص ـ كما يدعي تشومسكي ـ يمكن أن يفسر الكفاية اللغوية في التمييز بين التراكيب غير النحوية والتراكيب النحوية. وإذا قبلنا فرضية أنه بإمكاننا دائما نطق جملة (نحوية) لم تنطق من قبل، فالضابط لنحوية الجمل grammaticality لا يمكن العثور عليه في النصوص، والواقع أنه هو ما يميز ملكتنا اللغوية. إنه تطبيق للقواعد التي تولد بلا نهاية جملا جديدة لم تسمع من قبل أبدا، وجميعها جمل نحوية لأنها تمتثل للقواعد اللغوية. إن هذه الكفاية اللغوية في إنتاج الجمل النحوية الجديدة، هي ما لدى الناطق (المثالي ideal) بلغته الأم.

ولذلك، فإن الملكة اللغوية هي سمة للعقل البشري. وإذا أ ردنا معرفة كيفية عمل اللغة، فإن علينا النظر في العقل البشري، لا النصوص. ولنعد مرة أخرى للجملة big boys love intelligent girls. إن بنية الجملة هذه يمكن أن تبين القدرة التوليدية للملكة اللغوية. ونستطيع أن نقول إنها تتكون من جزئين: العبارة الاسمية big boys، والعبارة الفعلية love intelligent girls. وتتألف هذه العبارة الفعلية من فعل متعد love، وعبارة اسمية أخرى هي intelligent girls. ولا بد أن يكون للعبارات الاسمية رأس، عادة ما يكون اسما مثل: boy أو girl سواء بصيغة الإفراد، أم بصيغة الجمع، كما

قد يسبق بمحدد، نحو: a أو the، ويقيد بصفة، نحو: big أو intelligent. والآن، يمكن أن تولِّد هذه البنية ظاهريا، عددا لا نهائيا من الجمل المختلفة وبكل سهولة، وذلك بإدخال أسماء وأفعال أخرى في مواضعها الخاصة intelligent women admire intelligent men - little girls hate spiteful boys، وهكذا. وقد لا تتلاءم بعض الأفعال مع بعض الأسماء، كما في: Fake diamond hate eternity. ولذلك يبدو أنّ علينا تطبيق قواعد أخرى أيضا للتأكد من أن تلك الأسماء فقط يتم اختيارها وهي متلائمة مع فعل معين. (ما يسمى بقواعد التصنيف الفرعي sub-categorizing rules بالنسبة لتشومسكي، هو جانب من علم التركيب وليس علم الدلالة، وهو موضوع يقبل الأخذ والرد).

تتعلق ثورة تشومسكي في اللسانيات بالقدرة التوليدية للقواعد اللغوية. حيث يقول إن القواعد اللغوية لا تصف ما هو موجود، بل ما هو ممكن. وقد غير هذا التركيز على الجانب التوليدي في اللغة أجندة اللسانيات. فلم يعد دور اللسانيات تحليل ما نجده في النصوص، بل أصبحت تصف الملكة اللغوية، أو بعبارة مجردة الكفاية اللغوية لدى المتكلم، لإنتاج جمل نحوية جديدة. وفيما تصاغ القواعد اللغوية من قبل علماء اللغة، لتسهيل فهم النصوص الموجودة، أو لمساعدتنا على تعلم لغة أجنبية، تكون مهمة اللغويين التشومسكيين هي اكتشاف القواعد اللغوية التي نتّبعها كناطقين أصليين، بدون أي إدراك لها (أي القواعد اللغوية التي تكوّن الملكة اللغوية للبشر). لقد كانت الكيانات أو المقولات في اللسانيات التقليدية، كالأسماء، أو الأزمنة، أو الشخص، بنًى صالحة في أساس أي نظرية. وكانت القواعد اللغوية، تعبيرات عن براعة اللغوي في فهم الشاهد اللغوي. وفي إطار الأجندة الجديدة، تشبه اللغة لعبة الشطرنج. فقد ولدنا بقدرة على اتباع القواعد اللغوية، من دون تعلمها أبدا. ومن ثم غيَّر اللسانيون التشومسكيون وضع القواعد اللسانية، فأصبحت الآن الجوهر الحقيقي الميتافيزيقي للغة، بدلا من كونها أدوات لتحليل اللغة.

لقد كانت لسانيات ما قبل العصر الحديث في أوروبا، لا تعتد بإنتاجية اللغة. وكان اللغويون من العصور الوسطى ـ تحديدا ـ وحتى القرن التاسع عشر، فقهاء لغة philologists، وهو المصطلح المرادف إلى حد ما لمصطلح الكلاسيكيين classicists آنذاك. لقد كانت أبحاثهم تجرى على لغات ميتة، كاللاتينية، والإغريقية، والعبرية. ولم يكن هدفهم إنتاج نصوص جديدة في هذه اللغات؛ بل كانوا يريدون فهم النصوص التي ورثناها من العصور القديمة. وكانت القواعد اللغوية التي توصلوا إليها، هي القواعد التي تساعدنا على فهم الجمل. وكان الهدف منها وصف ما قد واجهناه في النصوص. فلم تكن مصممة لتمكيننا من أن نصبح متحدثين أَكْفَاء باللغة الإغريقية. إن القواعد اللغوية التي اهتم بها فقهاء اللغة، هي تلك التي شرحت خصائص الإغريقية مقارنة باللغات الأخرى، وساعدت على فهم نصوصها. فلم يكن يهتم فقهاء اللغة بما كان كونيا، بل كانت قواعدهم اللغوية وصفية، وكان عليهم تيسير تحليل الشواهد اللغوية النصية.

وقد لا يكون لفقهاء اللغة منهج علمي. ولكننا ورثنا منهم المصنفات الأكاديمية، المتعلقة بالنصوص الكلاسيكية، والشرقية، التي ما زلنا نستعملها اليوم، إلى جانب المعاجم الشاملة أو بالأحرى القواميس، التي تستشهد بأي ورود جدير بالملاحظة لأي كلمة مضمنة في سياقاتها. وما زالت تقدم مساعدة لا غنى عنها في فهم هذه النصوص.

لقد كانت الهيرمونـتيقا هي الأساس الفلسفي لفقه اللغة، وليست الأساس للسانيات كما نعرفها اليوم. إنها فن (أو صناعة) التأويل. ويعنى بها في أوائل العصور الوسطى التفسير، ولا سيما تفسير الكتاب المقدس (الإنجيل)، ولكن عني بها أيضا في وقت لاحق تفسير النصوص الكلاسيكية الأخرى. إن هدف الهيرمونتيقا، هو معرفة ما تعنيه النصوص. فما الذي يعنيه النص فعليا؟ وهل علينا أن نعرف ما الذي كان يعنيه الكُتّاب في نصوصهم؟ فقد لا يخبرنا الكُتّاب عن ذلك بوضوح، أو قد يخبرونا بذلك،

ولكن يضللونا بطريقة أو بأخرى. وأيا كان ما يقولون، فإنه ليس المعنى من نصوصهم. أو هل معنى النص هو ما يعنيه النص بالنسبة لي؟ إن المعنى ليس إلا شيئا موضوعيا وفرديا، إنه الشيء الذي لا يمكن التثبت منه من قبل قراء آخرين، ولا بد أن يكون شيئا آخر. فعندما تقابلنا كلمة love في نص من نصوص العصور الوسطى، هل يمكن أن نعرف ما الذي تعنيه الكلمة؟ هل ثمة منهجية علمية للإجابة عن هذا السؤال؟ وهل ثمة إمكانية للتوصل إلى فهم مشترك بين زملائنا اللغويين؟ هذا هو السؤال الأساسي الذي تعنى به التأويلية.

فقدت التأويلية وفقه اللغة في الدول الناطقة بالإنجليزية ـ خصوصا ـ كثيرا من جاذبيتهما السابقة. فقد مهدت الإمبريقية البريطانية منذ السنوات الأولى من القرن العشرين الطريق للنموذج الجديد للفلسفة التحليلية. وهذا النوع من الفلسفة يهتم بالحقيقة والواقع، ويعود تاريخه إلى كل من: كامبرج، وأسماء مرتبطة بها مثل: بيرتراند راسيل، وكذلك حلقة فينا، وأسماء مرتبطة بها، كماتش وكارناب و(الشاب) فيجينشتاين. إن السؤال الذي يمثل صميم النموذج السائد الحالي لفلسفة اللغة، ليس ماهية معنى النص، والجملة، والكلمة، بل كيف نعرف ما إذا كان ذلك صحيحا، وما إذا كان يعكس حقا واقع الخطاب الخارجي أم لا. وليس هذا هو السؤال الذي تعنى به الهيرمونتيقا، أو فقه اللغة. فلا يريد أن يعرف فقهاء اللغة تحت أي ظرف تكون الجملة Mary, the mother of Jesus, was a virgin صحيحة، حيث يكتفون بأنفسهم بالبحث عن معاني الكلمات بأسئلة على نحو: هل الكلمة الإنجليزية virgin والكلمة اللاتينية virgo والكلمة الإغريقية parthenos ترجمات ملائمة للكلمة العبرية almah تلك الكلمة التي عادة ما تعني فقط «المرأة الشابة».

واليوم غالبا ما تعد التأويلية وفقه اللغة علمين قديمين لا أهمية ولا قيمة لهما. ويرى إدوارد سعيد ـ المستشرق اللبناني الأمريكي، والاستثنائي البارز ـ فقه

اللغة «المجال الثقافي الخصب والمعروف» الذي قدم للكلاسيكية، والاستشراقية، وغيرهما، أساسياتها المنهجية. فعالم فقه اللغة، هو مفسر للنصوص القديمة في أفق حداثتنا، وهو من يجعلنا نفهم التاريخ الثقافي والفكري. وعملية الفهم هذه عملية ذات اتجاهين، حيث إن فهمنا لتلك النصوص دائما ما يمثل تحديا للطريقة التي نفهم بها أنفسنا أيضا. ومن ثم تكمن «إشكاليات فقه اللغة نفسه في الوقت الحاضر في ممارِسها». وينقل سعيد عن ايرنست رينان مستشرق القرن العشرين قوله: («مؤسسو العقل الحديث، هم علماء فقه اللغة». وما هو العقل الحديث ...، إن لم يكن «العقلانية، والنقد، والليبرالية، [وكلها] تأسست في نفس اليوم مثل فـقه اللغة؟») (سعيد ١٩٩٥ و ص. ١٣٢). فما الذي جعل فقه اللغة علما غير مرغوب فيه في السنوات الأخيرة؟ ربما يكون ذلك بسبب الشعور بالاعتباطية، والذاتية، وفـقدان المنهج العلمي الدقيق. إن تفسير النص دائما، هو عمل على عكس العملية التي تتبع فيها قواعد واضحة. فدائما يتضمن فن التأويل، وصنعة فقه اللغة، صناعة القرارات. وهو ما يعني الاختيار من بين بدائل، دون تعليمات واضحة حول كيفية اختيار أحد الخيارات.

ونجد في القرن العشرين اهتماما مستحدثا باللغات، يختلف عما هو عليه في فقه اللغة التقليدي. لقد كان هو القرن الذي أتى فيه التنويرُ أكلَه، وبُدِئ فيه فهم الطبيعة باعتبار قوانينها. وقد وضعت الأسس الرئيسية للعلوم كما نعرفها اليوم. وكل الانبهار العلمي الآن هو في العلوم، أما العلوم الإنسانية بما في ذلك الفنون الأدبية، توارت عن الأنظار. فلم يكن المذهب التأويلي في اللغة، يعنى بالقوانين أو القواعد الثابتة، غير القابلة للتغير أبدا. غير أن هذا لا يعني بالضرورة، أنه لم يكن هناك أي اهتمام إطلاقا. فقد كان المجال الأول لهذا المذهب «العلمي» الجديد في اللغة، هو دراسة العلاقات بين اللغات التي أصبحت نقطة الانطلاق للسانيات الحديثة. حيث بدا أن العديد من اللغات المتحدَّثَة في أوروبا، وفي الشرق الأدنى [تركيا وشمال أفريقيا]، أو

حتى في أماكن بعيدة، كالهند، كانت مرتبطة مع بعضها بطريقة ما، بل إن بعضها كان قريبا جدا من الآخر، كالقيلية، والبريتونية، بوصفها لغات كلتية، أو الليتوانية، واللاتيفية، والبروسية القديمة، بوصفها لغات بلطيقية، أو التشيكية، والبولندية، والروسية، بوصفها لغات سلافونية. وتوجد أيضا اللغة السنسكريتية، واللغات الرومانية، واللغات الجيرمانية، وغيرها الكثير، سواء كانت لغات ميتة أو حية. ويبدو أنها جميعا تنحدر من لغة واحدة فريدة، هي الهندو ـ أوروبية. كما يظهر أنها على مر التاريخ انفصلت تدريجيا عن بعضها أكثر فأكثر، واعتراها تغيير أثناء وجودها على مدى تاريخها. فقد أصبحت كلمة patēr الإغريقية، و pater اللاتينية: padre في الإيطالية، وpère في الفرنسية، وvater في الألمانية، و vader في الهولندية. كما تطورت father الإنجليزية، من fæder في الإنجليزية القديمة. فكل هذه اللغات تتشارك في النهاية نفس الأصل. ويمكننا على نحو مشابه، أن نحدد أن الكلمة الإنجليزية rich، ترتبط بالكلمة الألمانية reich، وأن الجيرمانية الأولى أخذت الصيغة الأصلية لتلك الكلمات من الكلتية، وأنها ترتبط أيضا بالكلمة اللاتينية rex (الملك king)، أو أن الكلمة الإنجليزية glamour مستعارة من الاسكتلندية، في حين أن الكلمة الاستكلندية مشتقة من الكلمة الإنجليزية grammar، المشتقة بدورها من اللاتينية grammatica (ars).

لقد بدا للغويي القرن التاسع عشر الذين درسوا تلك الظواهر، أن التغييرات الصوتية التي جرت على هذه الكلمات على مر التاريخ، كانت مقيدة بالقوانين. وكان اللغويون الجدد أقل اهتماما بتفسير معاني النصوص، أو الجمل، أو الكلمات، وراغبين في اكتشاف قوانين التغير الصوتي. وقد كانت لديهم ثقة تامة بقدراتهم العلمية، حيث لم ينثنوا عن محاولات رد اللغات إلى أصلها كالهندو ـ أوروبية، حتى تلك اللغات التي لم يبق منها أي نص. وقد أصبح من الممكن للمرة الأولى، أن توصف اللغة وفقا لقواعدها. تلك القواعد اللغوية التي لا تنطوي على اتخاذ أي قرار من جانب اللغويين.

القواعد اللغوية التي تسفر عن نتائج يجب تصحيحها تصحيحا موضوعيا، بمجرد قبولك للمقدمات. وإذا كانت هناك قوانين في التغيير الصوتي، يجب أيضًا أن تكون هناك قوانين للنحو. ولذلك نجد من منتصف القرن التاسع عشر ـ تزامنا مع تراجع اللسانيات ـ ثورةً للأدب على النحو، الأدب الذي يتعامل مع المفردات، ومعاني الكلمات، بموقف أقل ظهورا. وهذا هو الحال الذي ما زلنا نجد فيه أنفسنا اليوم.

لقد رأى اللسانيون المحدثون ـ الذين جاؤوا بعد علماء فقه اللغة ـ أنفسهم علماء لغة. وعلى أية حال، لم يكن هؤلاء اللغويون من فرديناند دي سوسير، والبنيويين من مدرسة براغ، إلى لويس هلمسليف، ورومان جاكبسون، يهتمون بالعمليات العقلية المتعلقة باللغة. فقد سعوا للبحث في تركيب اللغة، بالاعتماد على تحليل النصوص؛ لفهم النظام اللغوي الذي تنطوي عليه تراكيب اللغة، والمسمى عند دي سوسير بالكلام la parole. كما أنهم سعوا إلى وصف نظام من القواعد اللغوية والأدوات، الموجود عند كل متحدث باللغة وخاص به، ووصف تطوره التاريخي (دراسة اللغة في فترة معينة synchrony). على الرغم من أن هذا النظام قد يدرس من وجهة نظر تاريخية، بوصفه نظاما يخضع للتغير تدريجيا وفق قوانين اللغة (دراسة اللغة في فترات متعاقبة diachrony).

إن ما يميز اللسانيات الحديثة غير التشومسكية (سأطلق عليها اللسانيات المعيارية من الآن فصاعدا) المنشغلة بفكرة النظام، والدراسات التشومسكية المتنوعة (الأقل اهتماما بالنظام)، هو الانشغال التام بالقواعد والقوانين اللغوية. فكلاهما ينظر للغة بوصفها نظاما، يمكن أن يوصف باعتبار القواعد اللغوية، والكيانات، والمقولات، والخصائص. ومن وجهة نظر بنيوية، هذه القوانين والكيانات والخصائص ـ على المستوى العام ـ متطابقة إلى حد ما في جميع اللغات البشرية، وإن كانت في بعض الأحيان تختلف اختلافًا كبيرًا في تفاصيلها.

ورغم أن تشومسكي يصر على التشابه الأساسي بين كل اللغات (على مستوى بيولوجي)، فهو يشير أيضا إلى أمر مهم جدا، وهو أن مفردات كل اللغات في أنحاء العالم، لا يمكن فهمها فهما تبادليا في الغالب، حيث يتكلم الناس بلغات مختلفة، ولا يفهم بعضنا البعض الآخر. فهل هذا يتعارض مع ادعاء التشابه بين اللغات؟ إن اهتمام تشومسكي بالمعجم عموما، هو مجرد اهتمام ثانوي على عكس اهتمام البنيويين. ولكن ما مدى أهمية المعجم؟ وما مدى أهمية معرفة معاني الكلمات؟.

١-٢ اللسانيات المعيارية ومعنى الكلمة

رغم أنه قد يكون ثمة مغالطة عملية في وضع تشومسكي آلية فطرية تُحدِّدُ من خلال حد أدنى من المدخلات الخارجية قواعد اللغة التي نشأنا بها، إلا أنه ما يزال واقعنا الذي نبدو فيه عند تعلم بناء الجمل في لغة أجنبية، أننا نواجه صعوبة أقل بكثير من تعلم مفرداتها. فليس من الصعب دائمًا تفسير جمل صحيحة من الناحية النحوية في لغة ثانية، ولكن إن لم نُلمّ بها إلماما دقيقا، فسوف نقع في أخطاء، عندما نحاول أن نضع أفكارنا في كلمات، أو نترجم نصا من لغتنا الأم إليها. إننا بمقدورنا أن نتتبَّع القواعد اللغوية بسهولة، ولكن كيف يمكننا فعل الشيء الصحيح، إذا كان يبدو من المستحيل تعليمنا ما هو الصواب؟ هذه هي الفكرة فعلا، إذا حاولنا أن نسترشد أنفسنا بقاموس ثنائي اللغة. فالقواميس توفر العديد من الخيارات، ولكن بالقليل من التوجيهات.

إن مسألة التمييز بين النحو والمفردات، هي بوجه عام رؤية أو منهج. ونرى من النظرة الأولى، أن هناك القليل من القواعد اللغوية التي يمكننا اتباعها فيما يتعلق بالمفردات. والقواعد اللغوية يمكن أن نتعلمها، أما التوجيهات فيمكن أن نتبعها. ولكن يبدو أنه لا يوجد قاموس كبير بما يكفي لإظهار كيفية ترجمة كلمة بسيطة جدا، مثل ترجمة كلمة grief إلى الفرنسية. ويوجد في قاموس Collins-Robert الفرنسي

(١٩٩٨، معاد نشره، ٢٠٠١) خياران لترجمة الكلمة grief (الحزن)، وهما: chagrin و peine. غير أنه لا يشار بوضوح متى نختار كل كلمة. فحتى القواميس الشاملة الثنائية اللغة، تخيب آمالنا في غياب التوجيهات إذا ما أردنا ترجمة نص للغةٍ غير اللغة الأم.

ويعطينا نفس القاموس السابق نفس الكلمتين chagrin وpeine كمقابل لكلمة sorrow، بالإضافة إلى كلمة أخرى هي: douleur المسبوقة بالتعليق المهم (stronger أقوى). ولا يتضح تماما ما الذي يعنيه ذلك، فهل هذه الكلمة تستعمل إذا كانت دلالة حزنك grief أقوى مما تحمله grief من معنى بنفسها، أو هل douleur هي كلمة أقوى دلالة على المعنى من chagrin وpeine؟ إن الكلمتين المتقابلتين sorrow و grief تبدوان من وجهة نظر الفرنسية مترادفتين. ومع ذلك، لا يقبل معظم الناطقين الأصليين بالإنجليزية في الجملتين Grief gave way to a guilt that gnawed at him و A magic harp music made its listeners forget sorrow، أن تستبدل grief بكلمة sorrow، والعكس كذلك، ومن ثم لا يمكن أن تكون الكلمتان مترادفتين على الأقل من وجهة نظر الإنجليزية الأحادية. وتصبح الأمور أكثر خلطا، حين نبحث في معاجمنا الثنائية اللغة عن المقابلات الإنجليزية للكلمة الفرنسية chagrin فنجد: «(= affliction)، grief، sorrow». ومن ثم يحدونا الفضول لمعرفة ما الذي تعنيه afflication الفرنسية في الإنجليزية، ولو أنّ المقابل الإنجليزي الوحيد المقدم لنا للكلمة هو: affliction. إن المقابلات الفرنسية لكلمة affliction الإنجليزية، هي: affliction وdétresse، فيما يقابل détresse المذكورة لنا: distress في الإنجليزية. كما أننا نجد في المقابلات الإنجليزية لكلمة peine الكلمتين: sorrow وsadness، ولا نجد grief. وهكذا يكشف تحليلنا عن غياب مزعج للانتظامية، ونبقى نتساءل عما إذا كان ذلك يرجع إلى اللغات كما هي، أو بسبب عجزنا عن وصفها على الوجه الصحيح (ويجب أن يقال إن Collins-Robert ليس مثل أي قاموس إنجليزي ـ فرنسي، حيث

يمثل مع قاموس Oxford-Hachette French ذروة الصناعة المعجمية الحديثة الثنائية اللغة).

إن معاني الكلمات عموما مبهمة وملبِسة، مقارنة باطراد مظاهر التغير الصوتي، وبناء الجمل. وليس ذلك فقط حين نقارن لغة بلغة أخرى، بل حتى من منظوريةٍ أحاديةِ اللغة. وقد تكون الكلمات (الكلمات المفردة) هي الوحدات الأساسية الأفضل، عندما يتعلق الأمر بوصف القواعد اللغوية. ولكنها أقل ملاءمة بكثير، عندما يكون اهتمامنا بالمعنى. فالكلمات المفردة ملبسة بالعادة، وتعكس القواميس هذا اللبس بإسناد معنيين أو أكثر للكلمة. إننا نواجه هذا اللبس الموضح سابقا في الكلمات المفردة، إذا ما أردنا ترجمتها إلى لغة أجنبية. ومن ثم علينا أن نختار من بين خيارات متعددة، خيارا واحدا موافقا. ولكننا حين نقرأ جملة أو نصا، لا يضللنا في الظروف الطبيعية أي لبس. ولا يكون لدينا أي مشكلة في فهم معنى الجملة عادة. وهذا لأننا لا ننظر إلى الكلمات معزولة عن سياقها، بل مضمنة فيه. إذ نقرأ الكلمة مع الكلمات المجاورة لها، وليس لدينا إشكال في معرفة ما الذي تعنية أي كلمة. إن اللبس هو نتيجة لاعتقادنا الخاطئ بأن الكلمة المفردة هي وحدة المعنى. فوحدات المعنى وفقا لتعريفها لا لبس فيها، حيث إن لها معنى واحدا فقط. وفي حين أن بعض الكلمات هي وحدات معنى، فإن الكثير منها ليس كذلك.

إن البحث في المعنى يجعل مسألة المعنى جانبا من جوانب اللغة التي لا يمكن أن توجد خارجها. ففي حدود الخطاب تماما، يمكننا إيجاد إجابة عما تعنيه وحدة المعنى، سواء كانت كلمة واحدة، أو متلازمة لفظية (تضام كلمتين أو أكثر) وهو الأكثر شيوعا. إن وحدة المعنى، كلمة تسمى غالبًا العقدة أو الكلمة الرئيسة keyword، فضلا عن كل تلك الكلمات التي تقع في سياقها النصي، ولا بد منها لفك اللبس عن هذه الكلمة، ولجعلها أحادية الدلالة. وبما أن معظم الكلمات الأكثر تكرارا هي بالفعل

كلمات متعددة المعنى، فليست ـ بوصفها كلمات مفردة ـ وحدات مؤلّفة للمعنى. وبما أن أي قاموس كبير يخبرنا أن كلمة fire مثلا كلمة مُلبِسة، فهي ليست وحدة معنى. وبتركيب الكلمة مع الاسم enemy، تصبح جزءا من المتلازمة اللفظية enemy fire، التي تعني «إطلاق القذائف من قبل العدو في نزاع مسلح». إن هذه المتلازمة اللفظية (في الحالات الاعتيادية) أحادية الدلالة، وبالتالي تشكل وحدة معنى.

وفي مجال علم العبارات phraseology الرصين، كان الناس دائما على علم بأن اللغة ملأى بوحدات معنى أكبر من الكلمة المفردة. فعندما نسمع She has not been letting the grass grow under her feet [تعني الجملة حرفيا: لم تكن تدع العشب ينمو تحت قدميها]، فلا نتوقع أن ذلك صحيح حرفيا، بل تعلمنا أن هذه العبارة not let the grass grow under one's feet، هي تعبير اصطلاحي، ووحدة معنى دالة على not delay in acting or taking an opportunity [ترك الوقت يمر سدى/ أضاع فرصته/ أضاع الوقت سدى]، حسبما جاء في معجم أكسفورد الجديد للإنجليزية NODE (٢٠٠١). والحقيقة أن اصطلاحية اللغة idiomaticity، هي أمر مفضل في المجتمع الخطابي discourse community. فالناس يفضلون الحديث بالتعبيرات الاصطلاحية، وندرك بأنها جزء مهم من موروثنا الثقافي. وثمة كتاب حاليا يشرح أصول هذه التعبيرات الاصطلاحية، فضلا عن أنه لا يكاد يوجد قاموس، لا يُضمَّن مثل هذه التعبيرات الاصطلاحية. لقد توصلنا خلال القرن الماضي إلى نماذج تصنيفية من التعبيرات الاصطلاحية أكثر دقة. وتقدم الدراسة الرصينة لروزامند موون (العبارات الثابتة والتعبيرات الاصطلاحية في الإنجليزية) Fixed Expressions and Idioms in English (١٩٩٨) تحليلا دقيقا لظاهرة اللغة الاصطلاحية، بالاعتماد على المدونات اللغوية. ففي حين أن بعض التعبيرات الاصطلاحية لا تقبل التغيير تماما (it's raining cats and dogs) [تمطر بغزارة]، فالأخرى منها تقبل التغيير بعض

الشيء (a skeleton in the closet، a skeleton in the cupboard) [سر دفين]. إن معظم التعبيرات الاصطلاحية تتأرجح بين نقيضين من الثبات وقابلية التغيير. وإذا ما بحثنا بدقة في ذلك، سيخالفنا «حدسنا» في الغالب، فهل figments of imagination [صور من الخيال] تعبير اصطلاحي أم توجد figments أخرى؟ وهل لـ figment معنى يخصها؟ لا بد من أن ننظر في مدونة (وهنا هي المدونة البريطانية الوطنية British National Corpus)؛ لاكتشاف ما إذا كان هناك figments أخرى بالفعل، وتحديدا figments of linguistics bewitchment [صور من السحر اللغوي] و figments of fiction [نسج من الخيال]. ويوجد في صيغة المفرد بعض العدول عن المتصاحب الأساسي لـ imagination: a figment of his own mind – a figment of my neurosis– a figment of its leaders' fantasies – a figment of his own name، لكن تلك أربعة أمثلة (أي أقل من ٥٪) من أصل ٥٨ سياقا واردا للكلمة.

لقد وجدت التعبيرات الاصطلاحية طريقها إلى القواميس الثنائية اللغة أيضا. حيث جاء في قاموس فيلدهاقن هيغاكوغ (ألماني ـ إنجليزي) Wildhagen Héraucourt German- English (١٩٦٣–٧٢)، أن المقابل الإنجليزي لـ wie ein Blitz aus heiterem Himmel [المقابل حرفيا لـ: مثل صاعقة من السماء الهادئة] هو: like a blot from the blue [غير متوقع ـ مفاجئ]. وفي الواقع تحتل التعبيرات الاصطلاحية مكانة بارزة في تعلم اللغات الأجنبية، ونتيجة لذلك يميل متحدثو اللغة الإنجليزية كلغة ثانية إلى الإكثار من استعمال ما تعلموه منها، مثل: it's raining cats and dogs [تمطر بغزارة] (تعبير اصطلاحي لا يستعمل كثيرا من الناطقين بالإنجليزية بوصفها لغة أصلية).

لقد بينت لنا اللسانيات الحديثة أن ثمة تسلسل فعلا من المكونات المعجمية، وجدير أن يكون وحدة معنى. فهناك المورفيمات المقيدة التي تحمل معنى فقط، لكونها

جزءًا من مكوِّن أكبر (مثل الجمع في الإنجليزية -s)، وهناك المورفيمات الحرة التي تبدو معانيها ثابتة إلى حد ما، وهناك الكلمات، وهناك التعبيرات الاصطلاحية، ومنها الأمثال التي تشكل جملة تامة. كما بينت لنا اللسانيات أيضا، أن الحدود الفاصلة بين هذه المكونات المعجمية موضوع خلافي. وفيما لا نشك أبدا بأن المورفيمات هي أبنية لغوية، فإننا نسلم بالواقع الوجودي للكلمة.

واليوم عندما نسمع «الكلمة» يتبادر إلى الذهن عادة بأنها «عنصر من الكلام»، كما حدد في المعنى الثاني الوارد في قاموس أكسفورد للإنجليزية OED (١٩٨٩). وإذا ذهبنا إلى ما ذهب إليه جاك قوودي (قوودي ٢٠٠٠) فإن هذا المفهوم دخيل على المجتمعات الشفهية. وهذا ليس غريبا، حيث لا نتوقف عادة بين الكلمات. ولم يكن الإغريق والرومان في العصور القديمة يضعون في العادة مسافات بين كلماتهم المكتوبة. حيث إن إدراج المسافة بين الكلمات مسألة عرف سائد ـ إلى حد ما ـ لا اتفاق مطلق. ابحث في أي قاموس إنجليزي كبير عن المداخل المبدوءة بـ half، ستجد قاموسا يحتوي على half brother بوصفها كلمتين، وآخر يعطيك إياها مع شرطة half-brother، وقاموسا يحتوي على halfback بوصفها كلمة واحدة، وهلم جرا. فـ linguistique de corpus في الفرنسية، هي نفسها corpus linguistics في الإنجليزية، وKorpuslinguistik في الألمانية. ولا يوجد سبب مقنع بخلاف العرف الداعي إلى عدم وجود مسافة بين عناصر المكوِّنات الألمانية، أي سبب كونها Korpuslinguistik بدلاً من Korpus Linguistik.

لقد فاتت بعض اللغات الحديثة الأخرى فرصة تحديد الكلمات فيها بمسافات. فحين أنه كان من المسلَّم به في معظم الأحوال، ألا معنى من تحديد الحرف الصيني الواحد بوصفه كلمة، وصار من المقبول أن تتكون معظم الكلمات الصينية من حرفين أو حتى ثلاثة أحرف، أصبح ثمة مشكلة في تحديد الكلمات في الجملة. وعادة ما تُقطَّع

الجمل الصينية إلى كلمات بطرائق مختلفة، طالما أننا نطبق القواعد الشكلية متجاهلين دلالاتها. ولذلك لا توجد حتى الآن أدوات تقطيع يعول عليها تماما عند معالجة اللغة الصينية. فكيف تختلف؟ قد توجد عمليا حالات التباس في جميع اللغات الغربية، إذ برزت إشكالية وجود المسافة وغيابها في تعديلات الإملاء الألماني بمنتصف التسعينيات.

إن الاستماع للغات الأجنبية التي لا نفهمها يجعلنا أكثر وعيا بهذه المشكلة. فأين تبدأ الكلمة وأين تنتهي؟ والبشر لا يضعون عادة حدودا للكلمات صوتيا، فكيف نعرف أن ورود كلمتين لهما نفس التسلسل من الفونيمات، هما نفس الكلمة المقصودة أم لا (no مثلا مقابل know)؟ كيف يمكن لمن لا يتحدث الإنجليزية أن يكشف ما إذا كانت (a) و (an) شكلين لكلمة واحدة هي أداة التنكير، أو أن the في in the enemy، وthe في in the friend، هما نفس الشكلين لأداة التعريف the ولو جرت العادة بنطقهما نطقين مختلفين[١]؟

ويبدو في أول الأمر أن اللغات في صورتها المكتوبة تبسط الأمر لنا، خصوصا إذا كانت مكتوبة بالألفبائية اللاتينية، حيث نجد فيها مسافات بين الكلمات. ولكن ما مدى إمكانية الاعتماد على ذلك؟ لقد رأينا تباينا فعلا في الكلمات التي تبدأ بـ half. فهل half time هي نفسها halftime؟ لقد ميزت بعض القواميس بين المصطلح الموسيقي half tone والمصطلح الطباعي halftone. وإذا كانت لسانيات المدونات كلمة واحدة في الألمانية (Korpuslinguistik) لماذا هي اثنتان في الإنجليزية، أو لماذا لم تكن كلمة واحدة؟ وهل الكلمات المركبة تتألف من كلمتين، أو هل هي كلمة واحدة رغم وجود المسافة التي تفصل بين العنصرين اللَّذين تتألف منهما؟ وهل الكلمات التي تتألف في كثير من الأحيان من عناصر متعددة، كما في اللغة الهنقارية، واللغة الويلزية، هي كلمات بنفس معنى الكلمات في اللغة الإنجليزية؟ إن الكلمة الفنلندية talossanikin

---

(١) يشير المؤلف إلى أن the إذا تلاها صامت، تنطق / ðə/ وإذا تلاها صائت تنطق / ðɪ/ [المترجمة]

تعني «في منزلي أيضا» وتترجم إلى أربع كلمات في الإنجليزية. ونجد في الصينية نفس المسافات بين كل الحروف، ولا يوجد ما يشير إلى أي الحروف له صلة بالآخر، ولا من أين تبدأ الكلمة، أو أين تنتهي. ولذلك لا بد من الاعتماد على قوائم الكلمات والقواميس، إذا ما أردنا تحديد الكلمات، وإن كانت بشكل أو بآخر، اختيارات عشوائية من صناع المعاجم. فماذا سيظل إذن، إذا ما استبعدنا المسافات بين الكلمات؟

ندرك دوما أن ثمة وحدات معنى، أكبر من الكلمة المفردة. فمنذ الطفولة المبكرة وَعَيْناها، وأصبحت عبارة «غض الطرف عن شيء مّا» مثلا جزءا من تراثنا الثقافي. فهي تعبير اصطلاحي، والتعبيرات الاصطلاحية عادة ما تدرج في قواميسنا. ومع ذلك، لا نعي تماما أن أجزاءً كبرى من نصوصنا، هي عبارة عن وحدات معنى أكبر، وغالبا ما تكون مركبة، نحو: أسلحة الدمار الشامل weapons of mass destruction، أو نيران صديقة friendly fire. ومثل تلك الوحدات المركبة تغيب في الغالب عن قواميسنا. واهتمامنا المتمحور حول الكلمة المفردة ليس غريبا. بل إن وحدات المعنى الأكبر، لا تسترعي اهتمام صناع المعاجم، حتى من هم من أصحاب التجارب، وذوي الخبرات. فلا تستوقف أنظارنا حين نقع عليها. بل لم يكن لدينا منهجية للكشف عنها، قبل ظهور المدونات اللغوية ولسانيات المدونات. ولم يكن ممكنا لا للسانيات المعيارية، ولا للسانيات التشومسكية، تحديد وحدات المعنى تلك.

فما السبب في أن الكلمة المفردة ما زال ينظر إليها بوصفها الوحدة الوجيهة في الدرس اللغوي؟ يبدو أن الكلمات وحدات مناسبة جدا للقواعد اللغوية، خاصة القواعد اللغوية التي لا تمس المعنى، والبنى التركيبية لنعوم تشومسكي (١٩٥٦) مثال جيد على ذلك. فنجد فيها الجمل (S) وهي الرموز غير النهائية، كالجمل الاسمية (NP)، والجمل الفعلية (VP)، وكذلك الرموز النهائية كالأسماء (N)، والصفات (Adj)، والمحددات (Det)، والأفعال (V) ... إلخ. ونجد القواعد النحوية المبتدئة

بالرمز –S، تولد سلاسل حرفية من الرموز النهائية. وحسب المبدأ، يمكن أن نضيف العناصر المعجمية المماثلة في الفراغات التي تتيحها هذه الرموز، وتلك العناصر المعجمية عبارة عن كلمات مفردة. ويظهر ـ إلى حد ما ـ أن هذا النحو يعمل، لا سيما في اللغات غير المتصرفة non-inflecting languages ذات الترتيب المقيد للكلمات. ولا نواجه معه أي مشكلة فعلية، إلا عندما نطالب فيما لو كانت هذه الجمل المولدة من هذا النحو منطقية، بحيث يمكن تفسيرها دلاليا. ويظهر في النحو المستقل عن المعنى، أن الكلمة المفردة هي العنصر المعجمي الأمثل. كما يعد كافيا في تعلم اللغات عند بناء الجمل النحوية في اللغة الهدف، بصرف النظر عن معانيها. فالكلمة المفردة تتوارى خلف المعنى، وليس النحو. ويمكن بنظرة سريعة على أي قاموس أحادي اللغة، أو ثنائي اللغة، أن نتأكد من أن المشكلة الأساسية ـ من منظور دلالي ـ للكلمات المفردة، إنما هي تعدد معانيها، وغموضها، وإبهامها. فقاموس NODE، يسرد للفعل strike أحد عشر معنى. أحدهم هو 'make (a coin or medal) by stamping metal' [يسك عملة معدنية، أو يصنع قلادة بالحفر على المعادن]. ونجد أيضا معان فرعية، هي: «reach [يصل]، أو achieve [ينجز]، أو agree to [يقبل بـ] (أمر ينطوي عليه اتفاق أو موازنة أو تسوية)، نحو: the team has struck a deal with a sports marketing agency [لقد أبرم الفريق اتفاقا مع وكالة تسويق رياضية]. وعلى الرغم من أننا قد نصل بعد إنعام النظر إلى قبول هذا المعنى بوصفه استعارة من سك النقود المعدنية، إلا أن الأفعال لا تتضمن شيئا مشتركا على الإطلاق. فالفعل strike في strike a deal [أبرم اتفاقا]، يعني شيئا مختلفا عن strike في strike coins [سك نقودا معدنية]، كما أنه معنى مختلف عن المعاني العشرة الأخرى المسندة إليه في المدخل المعجمي. وبالفعل يمكن أن نؤكد بسهولة أن strike ليس لها معنى خاص بها، ومع deal تعني «التوصل إلى اتفاق». وهذا هو جوهر مقالة جون سنكلير (١٩٦٦) «المعجم الخاوي Empty Lexicon». فبمجرد تحديد المتصاحبات المرتبطة دلاليا بالكلمات، نحو:

(strike a blow [يسدد ضربة]، a deal [يبرم اتفاقا]، oil [يكتشف نفطا] ... إلخ)، يزول غموضها وإبهامها. إن المتلازمة اللفظية strike a deal هي ما نسعى إليه، فهي كلمة أحادية المعنى ولا لبس فيها. ورغم أنها لم تدرج بوصفها تعبيرا اصطلاحيا في قاموس NODE، وفي قاموس لونقمان للتعبيرات الاصطلاحية (١٩٧٩)، إلا أنها تبدو منتمية لهذا النوع من الكلمات. وقد وردت struck a deal [أبرم اتفاقا] في المدونة البريطانية الوطنية British National Corpus (BNC) ٢٥مرة. ويكشف غياب strike a deal عن أكبر القواميس، وقواميس التعبيرات الاصطلاحية المتخصصة، أن ذلك الرصيد من التعبيرات الاصطلاحية المعروفة التي وعيناها كجزء من تاريخنا الثقافي، لا تمثل سوى قطرة من غيث. ونؤكد على أن الشواهد المدوناتية تشير إلى أن ثمة العديد من المتلازمات دلاليا، وتفوق عددا عما في بطون القواميس.

ماذا عن المعنى المذكور في معجم NODE: يكتشف (الذهب أو المعادن أو النفط) عن طريق الحفر أو التعدين؟ هناك ٢٣,٠٩٦ ورودا لكلمة struck في بنك الإنجليزية. وقد وجدنا في عينة عشوائية من ٥٠٠ سياق فيه، ٧ أمثلة تحمل هذا المعنى لـ strike، 4 منها struck gold [اكتشف ذهبا]، واثنان struck oil [اكتشف نفطا]، وواحد struck paydirt [اكتشف شيئا قيما]. وكل تلك الشواهد تمثل الاستعمال المجازي للكلمة. وهنا مثالان:

> Dixon, who, together with the unfailing Papa San, struck gold with 'Run The Route'.

> telephone franchises. No one has struck paydirt yet, although the Bells have captured business

ويبين مثال strike المتعلق بالاكتشاف بواسطة الحفر، أو التعدين، أنه من غير الملاحظ وجود أي ملمح يوجب أن نحلل العبارة باعتبارها وحدتين معجميتين

منفصلتين (strike و gold)، أو باعتبارها متلازمة لفظية: أي وحدة معجمية واحدة (strike gold).

إن القضية ليست قضية وصف لما هو موجود، بل أمر يتعلق بالاستفادة من الموجود. ولكن حمل الأمور على النقيض تماما، والإسراف في استبدال معظم الكلمات المفردة في قواميسنا بالمتلازمات اللفظية، يعني أن هذه القواميس ستصبح حتما هائلة الحجم. حيث يجب علينا أن نعتد أيضا بـ strike a chord [يضرب على الوتر الحساس]، و strike a balance [يحقق توازنا]، و strike a blow [يسدد ضربة]، و strike a pose [يتخذ وضعا]، و strike a note [يرسل إشارة]، و strike fear [يزرع الخوف]، و strike terror [يبث الرعب]، وstrike home [يصيب الهدف]، وstrike someone (as) [يقوص/ يضرب شخصا) يدفع شخصا للتفكير بشخص ما بأسلوب معين)]، ومن الممكن بعض الأمثلة الأخرى. وإذا تركنا الأمور كما هي، سنجد أن strike a coin، وstrike a deal، تابعتان لنفس النوع من المعاني. إن ما يبدو الآن يكشف أن مبدأ الاستفادة من الموجود وحده غير كاف، فهل ثمة دلائل أخرى أكثر إقناعا؟

١-٣ الكلمات والتعبيرات الاصطلاحية والمتلازمات اللفظية

دعونا ننظر الآن في مثال آخر أكثر تفصيلا. حيث إن بعض الأنماط النحوية تكون عرضة بشكل خاص للتشكل على صورة متلازمات لفظية، كالأسماء المقيدة بالصفات. وهذه الحقيقة لم تكن بمنأى عن صناع المعاجم. إلا إنه بدون تطبيق المنهجية المطورة من لسانيات المدونات، سيظل ما يُضمَّن القاموسَ رهن هوى صناع القواميس. ويسرد قاموس التراث الأمريكي American Heritage Dictionary (النسخة، ٢٠٠٠) للصفة false المتلازمات اللفظية التالية: false alarm, f. arrest, f. consciousness, f. fruit, f. imprisonment, f. indigo, f. ipecac, f. memory

syndrome, f. miterwort, f. pregnancy, f. pretense, f. rib, f. Solomon's seal, f. spikenard, f. start. أما قاموس NODE فيسرد المتلازمات اللفظية التالية: false acacia, f. alarm, f. bedding, f. card, f. colour, f. coral snake, f. cypress, f. dawn, f. economy, f. face, f. friend, f. fruit, f. gharial, f. helleborine, f. memory, f. move, f. oxlip, f. pretences, f. rib, f. scorpion, f. start, f. step, f. sunbird, f. teeth, f. topaz, f. vampire. وحتى لو سلمنا بوجود اختلافات بين الإنجليزية الأمريكية والبريطانية، سنجد تداخلا عجيبا: f. alarm, f. fruit, f. memory, f. pretense/pretences, f. rib, f. start. وتؤكد عينة عشوائية من ٥٠ شاهدا من مدونة BNC على متلازمات false التالية: f. alarm, f. dawn, f. pretences, f. start, f. teeth، بالإضافة إلى العديد من المتلازمات الأخرى لـها، وهي: assumptions, cheerings, claims, complaints, confidence, declarations, decisions, denial, distinctions, echo, enquiries, expectations, formastation (!), hopes, idea, information, market, money, position, proportion, readings, reasoning, report, take, testimony, theory, tradition, understanding, witness. فأي من تلك المتصاحبات، لا بد من أن توصف بوصفها وحدتين معجميتين؟ وأيها لا بد من أن يوصف بوصفه وحدة معجمية واحدة؟ وكم من المعاني يجب أن تسند لكلمة false؟ وهل false في false alarm تعني معنى مختلفا عن معنى false في false echo، أو false witness؟ أم أنه سيكون من الأسهل أن يقال إن معنى false في هذه الأمثلة ليس مهما، ولا بد من أن نحاول وصف ما تعنيه false alarm, false echo , false witness؟ وأي الأمثلة توصف بمتلازمات لفظية، وأيها عبارة عن (معنى واحد) لـ false مرتبط بـ(معنى واحد) للاسم الهدف.

ومن غير الممكن داخل حدود اللغة الواحدة أن نصل إلى معايير واضحة. ولكن بمجرد ما نستحضر أي لغة ثانية، نعثر على الدلائل التي كنا نبحث عنها. فقاموس

فيلدهاقن هيغاكوغ Wildhagen-Héraucourt، يشير إلى أن ما يلي من الكلمات كلها مرادفات ألمانية ممكنة لكلمة false: ١. falsch, unrichtig, irrig; ungesetzlich, widerrechtlich. ٢. unwahr, trügerisch, täuschend, verräterisch, treulos; untrue. ٣. falsch, gefälschl; unecht, nachgemacht, vorgetäusch, blind; vorgeblich; Falsch-, Schein-, irrig, so genannt. فما مدى فائدة هذا المدخل المعجمي؟ لقد ميزت المعاني بمجموعات مختلفة من المترادفات، ولكن بعض المترادفات تجدها في أكثر من مجموعة، فهل هذا يعني أن المترادفات نفسها متعددة المعاني، أو أن التصنيفات الدلالية مبهِمة؟ (لاحظ أن falsch هي المرادف الأول، والأهم ضمنيا، لكلا المعنين الأول والثالث!) وأيضا يتضح مباشرة ـ بالنسبة لأولئك الذين لديهم معرفة بالألمانية ـ أن الكلمات التي نجدها في أي معنى من هذه المعاني بعيدة كل البعد عن مرادفاتها، ولا يمكن أن تستبدل الكلماتُ مواضعَها في سياقات مختلفة. فلماذا إذن نقدم لك ثلاثة معان، وليس معنى واحدا، أو قل عشرة، أو عشرين؟ ستساعدنا قائمة الكلمات على اختيار الكلمة الأفضل في أي سياق معين، إذا كنا نجيد الألمانية. وأما إذا كنا لا نجيدها، فكيف نختار المرادف المناسب؟

يدرك صناع المعاجم ـ بطبيعة الحال ـ معضلتهم. فإذا أرادوا تلبية حاجة الناطقين أصلا بالإنجليزية من ذوي المعرفة السطحية بالألمانية، قدموا المزيد. حيث لا بد أن من أن يزوِّدوهم بالمقابل المترجم، ليس لكلمة false وحسب، بل لـ false، وما يصاحبها من الأسماء التي ترد معها. فلا بد من إضافة الترجمات للمتلازمات اللفظية المتعلقة بالكلمة false. وتدرج بعض تلك المتلازمات اللفظية من ضمن المعلومات الإضافية داخل كل تصنيف دلالي معين. فنجد في المعنى ١: false quantity [كمية زائفة]، false arrest [اعتقال غير قانوني]، false imprisonment [سجن بدون تهمة]. وفي المعنى ٢: false mirror [مرآة مزيفة]، false oath [حنث]

[المقابل المُسَاق هو Meineid [شهادة زور]]، false pretences [ادعاءات كاذبة]، false swearing [يَمِين غَمُوس]. وفي المعنى ٣: false coin, teeth, hair [عملة مزيفة، أسنان مزيفة، شعر مزيف] والتعبير الاصطلاحي to sail under false colours [يتظاهر بما ليس فيه]. وثمة أيضا قسم تال يسمى Verbindungen [المتلازمات اللفظية]، وفيه المزيد من العبارات: false alarm, f. bottom, f. cap, f. door, f. key, f. ogive, f. shame, f. report, f. step, f. take-off.

ونجد بالنظر في قاموس أكسفورد دودين Oxford-Duden (المنشور سنة ١٩٩٠، أي بعد خمسين عاما تقريبا من إصدار أول طبعة لقاموس فيلدهاقن)، أن false تقسم إلى ثلاثة تصنيفات دلالية أيضا. ومرة أخرى بإيجاز شديد، المعنى ١: (خطأ) falsch ; ; Fehl- (Fehldeutung,...); Falsch- (Falschmeldung, ...); treulos; falsch; kunstlich; geheuchelt, gekünstelt (مزيف)، والمعنى٢: gefälscht، والمعنى ٣: (مضلل) falsch; unberechtigt, trügerisch. وليس ثمة سبيل لمطابقة تلك المعاني الثلاثة، مع المعاني الثلاثة المتعلقة بقاموس فيلدهاقن هاغاكوغت. ويظل يساور مستعمل المعجم الشك، حول ما إذا كان تقسيم المعاني في القواميس يعكس الأسلوب الذي تستعمل به false في اللغة الإنجليزية، أو أنه يعود لافتراض وجود ثلاث ترجمات رئيسية مختلفة لـ false في الألمانية. وهذا الزعم لا يبدو أنه مفيد فائدة واضحة، أو أنه مدعم بالأدلة. وقد حدث بالفعل أن Cobuild (قاموس Collins Cobuild للغة الإنجليزية، ١٩٨٧) يصنف معاني false أيضا إلى ثلاثة معان، هي كما يلي: (١) incorrect [غير صحيح]، (٢) artificial [مزيف]، (٣) insincere [مضلل]. ومع ذلك، لا تدور treulos [خائن/ كافر] (المعنى ١) في قاموس أكسفورد دودين في فلك incorrect [غير صحيح]، ولا تدخل geheuchelt [نفاق] (المعنى ٢) تحت معنى artificial [مزيف]، ولا unberechtigt [غير مبرر] تحت معنى insincere

[مضلل]. أما فيما يتعلق بالطريقة الألمانية في سَوْق معاني الكلمات، فإنه محال أن نـزعم بأن treulos وgefälscht أو kunstlich وgeheuchelt، أو unberechtigt وtrügerisch ينتميان لنفس التصنيف الدلالي.

ومع ذلك، قد يفيد المدخل القاموسي في تقديم بعض الأفكار المتعلقة بجعل المداخل المعجمية أكثر إفادة لمستعملي القواميس. فقد يحبذ عند الترجمة للغة الأم، أن تكون هناك قائمة من كل المقابلات ذات الصلة (مرتبة حسب تكراراتها أو ألفبائيا)؛ لنختار من بينها حسب كفاءتنا اللغوية. أما عند الترجمة إلى لغة أخرى لا نملك فيها كفاءة تشابه كفاءتنا بلغتنا الأم، فسنحتاج أولا إلى ترجمة افتراضية للكلمة. والأمر يسير في كلمة false. فحسب قاموس أوكسفورد دودين، نجد المقابل الأول في كل التصنيفات الدلالية الثلاثة هو falsch. ولا شك أن هذا هو المقابل الأكثر شيوعا لها؛ إذ يرتبط به ارتباطا اشتقاقيا وثيقا. ولا تستعمل هذه الترجمة المقابلة، إلا إذا لم يكن قد تلا false اسما واردا في قائمة المتلازمات اللفظية الملحقة بالمدخل المعجمي. وقد نحدد في المعاجم الثنائية اللغة أي متلازمة لفظية، باعتبارها عبارة لا يمكن ترجمتها بالترجمات الافتراضية المتاحة للعناصر التي تتكون منها. ولذلك ليس من الضرورة أن ينبه مستعمل القاموس بأن مقابل false teeth [أسنان مزيفة] هو alsche Zähne؛ لأنها ستكون الترجمة الافتراضية على كل حال (في الواقع يستعمل الألمان Gebiss استعمالا أكثر من Zähne، المقابلة لـكلمة teeth الأكثر استعمالا من dentures في الإنجليزية، وهي المقابلة لـ Gebiss). ولكنهم بحاجة إلى معرفة أن المقابل لـ false coin هو Falschmünze (وليس falsch Münze). فكيف نصل إلى هذه القائمة من المتلازمات اللفظية؟ إننا إذا قارنا القوائم الموجودة في قاموس التراث الأمريكي، وقاموس NODE، وقاموس فيلدهاقن هيغاكوغ، سنجد أن هناك تداخلا بسيطا نوعا ما.

إن في ذلك إشارة إلى أنه بدون مدونات مناسبة، سيقع صناع المعاجم في الحيرة، حين يتعلق الأمر بالمتلازمات اللفظية. وستبقى نتائجهم عشوائية، حتى وإن كانوا على دراية بهذه المشكلة. وبصرف النظر قليلا عن مسألة التعريف الدلالي للمتلازمات اللفظية في السياق الأحادي اللغة، بوسعنا الآن أن نوضح ما ينبغي علينا القيام به في السياق الثنائي اللغة. فلا بد من أن ننظر في مدونة ذات حجم كبير يعكس نوع اللغة التي نجدها في الكتب، والصحف، و«كلام المثقفين»، أي نوع اللغة الذي نميل إلى تعليمه عند تدريس اللغة، والذي من شأنه أن يأتي بمتلازمات لفظية، أكثر مما يظنه صناع المعاجم. ومن ثم، لا بد من أن نجد الترجمات المناسبة لها، ثم يضم للقاموس كل ما كان من الخطأ أن تسند لعناصره الترجمة الافتراضية. وسننتهي حتما إلى مجموعات مختلفة من كل لغة. ففي الألمانية العبارة false alarm، هي blinder Alarm (وليست falscher Alarm). ومن ثم تعد هذه العبارة من المتلازمات اللفظية وتضم للقاموس، على أننا في الفرنسية نجدها alarme fausse، أي أنها هي الترجمة الافتراضية لـ alarm وfalse، ومن ثم ليس علينا أن نتعامل معها بوصفها من المتلازمات اللفظية. وإذا لم يكن من السهولة بمكان إدخال جميع المتلازمات اللفظية إلى القاموس؛ بسبب كثرتها، فالتكرارات frequency ستكون هي المؤشر الذي يعتد به في هذه الحالة. وقد نقوم بالعمل بدون إدخال false Solomon's seal [اسم علمي لنبات]، وfalse coral snake [اسم علمي لنوع من الثعابين] التي تميل ـ على أية حال ـ إلى كونها من المصطلحات، أكثر من كونها مفردات عامة. ومن جانب آخر، تتكرر false dawn [الفجر الكاذب] إلى حد ما، وتعد متلازمة لفظية من وجهة نظر ألمانية. إذ يشير قاموس أكسفورد دودين إلى أن ترجمتها هي Zodiakallicht, (fig.) Täuschung. ولكن هل false dawn في السياق الأحادي اللغة، هي حقا وحدة معنى، أو مادة معجمية مفردة، أم أنها مجرد مركب من وحدتين معجميتين منفصلتين؟ وهل يمكننا تطبيق فكرة المعنى الافتراضي في سياق أحادي اللغة؟

يصف قاموس NODE كلمة false dawn [الفجر الكاذب] بأنها «ضوء عابر يسبق ظهور الشمس بحوالي ساعة، ويشاهد عادة في البلدان الشرقية». وحسب هذا التعريف تكون false dawn وحدة معجمية مفردة؛ لأننا لا يمكن أن نستنتج من معنى false (أو من أحد معانيها التي قد يقدمها قاموس أحادي اللغة)، ولا من معنى dawn (أو أي من معانيها المعجمية) ما معناه: ما يسبق شروق الشمس بحوالي ساعة واحدة، وما يخص البلدان الشرقية (أو أيهما كان المقصود). ولكن هل هذه السمات ضرورية فعلا، أم أنها لا تعدو أن تكون جوانب كمالية؟ إن كانت ضرورية، فـ false dawn هي وحدة معنى. وفيما يتعلق بمستعملي قاموس التراث الأمريكي، فقد وصف false dawn بأنه «أشبه ما يكون بالوقت الذي يبدأ فيه الضوء بالظهور كل صباح، ولكن ليس على التمام والدقة». وهذا معنى يمكن استنتاجه من معرفتي بمعنى false ومعنى dawn. حيث لم يشر التعريف هنا إلى أنه ما يسبق الفجر الحقيقي، وأنه موجود أكثر في البلدان الشرقية. فلا تعد false dawn وحدة معنى، إلا فيما عدا ذلك. وفي هذا التعريف false dawn [الفجر الكاذب] يشبه الفجر، فهو فجر [غير صحيح] incorrect. ولنلق نظرة على المدونة البريطانية الوطنية BNC لمعالجة هذين التعريفين. حيث نجد في مدونة BNC ثمانية عشر ورود لكلمة false dawn، يشير اثنان منها فقط إلى حالة جوية:

> ... it was not until another hour had passed and the moon was paling in the light of the false dawn that they were at last among strange scattered rocks...
>
> [لم تمر ساعة أخرى إلا والقمر قد اختفى في ضوء انبلاج الفجر، وكانوا في نهاية المطاف بين الصخور الغريبة المنثورة ...]

It was a *false dawn*, replaced soon after by a now starless night that was blacker than the previous hours.

[لقد كان فجرا كاذبا حل محله سريعا ليل طمست نجومه، وكان أشد سوادا من الساعات التي تسبقه.]

ولم يذكر في أي من الشاهدين دولة شرقية، كما أنه لم يشر إلى شروق الشمس الذي يحدث بعد ساعة. وإذا كان هذان الشاهدان ممثلَيْن، فيمكن الاعتماد على قاموس التراث الأمريكي أكثر من غيره، وfalse dawn ليست وحدة معجمية. ولكن ماذا عن الشواهد الأخرى؟ تذكر جميعها مواقف الحياة الاجتماعية التي تظهر في بادئ الأمر أفضل من حالها فيما بعد. وتشير تلك المواقف في معظمها إلى المشاريع الاقتصادية. وفيما يلي بعض من الشواهد النموذجية:

It is our belief that Christmas will prove to be yet another *false dawn* as far as reawakening consumer confidence is concerned.

[في اعتقادنا أن عيد الميلاد سيثبت من جديد أنه غير واعد فيما يخص تحسين ثقة المستهلك.]

The organisation's chief executive was optimistic that the latest figures did not merely represent another *false dawn*.

[لقد أعرب الرئيس التنفيذي للمنظمة عن تفاؤله بأن الأرقام الأخيرة لم تكن مجرد أرقام مزيفة.]

Unhappily, it was a *false dawn*.

[لسوء الحظ، كان زيفا.]

ويسرد قوقل ١,٢٦٠,٠٠٠ نتيجة للفظة false dawn. وتشير بعض الشواهد من بين النتائج الأولى إلى مدخل معجمي في مجال الاقتصاد هو False Dawn، وهو اسم لكتاب، كما تشير العديد من الشواهد مجددا إلى مواقف يبدو ظاهرها أفضل من باطنها، كالعنوان: Another *false dawn* for Africa? [هل هي خيبة أخرى في أفريقيا؟]. ويمكن بطبيعة الحال تفسير هذا المعنى المتعلق بـ false dawn باعتباره استعارة من معنى false dawn الموجود في قاموس التراث الأمريكي. وبقدر أهمية موضوع الصياغة الاستعارية عند صناع المعاجم، إلا أن المجال هنا ليس مناسبا للحديث عنها. ولكن قوقل في أحد الشواهد الأولى يعطينا تحت الرابط www.space.com/spacewatch/zodiacal_light/ المعنى التالي الذي يتسق تماما مع المقابل الألماني Zodiakallicht [ضوء بروجي]:

> At certain times of year in the right locations, a faint cone of light appears in the predawn sky for lucky viewers in dark locations. This eerie glow is the Zodiacal Light.
>
> It is best seen before daybreak, generally two to three hours before sunrise in the eastern sky. But it's also visible in the west at certain times of year. Over the centuries countless individuals have been fooled into thinking the Zodiacal Light was the first vestige of morning twilight. In fact, the Persian astronomer, mathematician and poet Omar Khayyam, who lived around the turn of the 12th Century, made reference to it as a 'false dawn' in his one long poem, The Rubaiyat.
>
> [يظهر في أوقات ومواضع معينة من السنة، قبيل الفجر، ضوء خافت مخروطي الشكل، للمشاهد المحظوظ الموجود في مكان مظلم. ويسمى هذا الوهج الغريب ضوء بروجي.

ومن الأفضل أن يشاهد قبل الفجر، وعادة ما يكون قبل شروق الشمس بساعتين إلى ثلاث ساعات في السماء الشرقية. ولكنه يُرى أيضا في السماء الغربية، في أوقات معينة خلال السنة. وقد خدع الناس على مدى قرون بأن الضوء البروجي هو العلامة الأولى لشفق الصباح. والحقيقة أن عالم الفلك والرياضيات، الشاعر الفارسي عمر الخيام الذي عاش في مطلع القرن الثاني عشر، قد أشار إليه بوصفه «false dawn السَّحَر» وذلك في قصيدته الطويلة (الرباعيات)]

فإذا كان هذا ما تعنيه false dawn، فهي وحدة معنى لا يمكن أن تختزل بمعنى يربط أي معنى من معاني false المعجمية، بأي معنى من معاني dawn. إنها وحدة معنى مستقلة، ومتلازمة لفظية، ليس فقط بمجرد الاعتماد على التكرارات المتصاحبة لعناصرها متصاحبة، بل أيضا على أساس الارتباط الدلالي.

وحين يتعلق الأمر بمعنى الكلمة، نقع في المأزق. حيث يفهم المتحدثون الأصليون باللغة معاني الكلمات (الأكثر تكرارا) في لغتهم، ولكنهم أقل كفاية في وصف تلك المعاني. ويبدو أن صناع المعاجم يتشاركون إلى حد ما عدم الكفاية معهم. ومهما يكن السبب، يمكن أن يُفسِّر ذلك انشغال اللسانيات ـ كما نعرفها ـ بالنحو. فالقواعد اللغوية أكثر بساطة من تعقيدات المعنى، ولها قدرة تفسيرية تساعد على الإيضاح والفهم، وإرشادنا لما ينبغي علينا فعله. بينما لا توجد قاعدة تكشف لنا عدد المعاني للكلمة الواحدة. فالقرارات المعتمدة اعتباطية. وليس من اليسير أن نحدد من النظرة الأولى، ما إذا كان الأمر ببساطة هو أن علم اللسانيات لم يطور أبدا منهجية مقبولة للتعامل مع معاني الكلمات، أو ما إذا كان الحال الذي نواجهه يعجز أي منهجية. والأسوأ من ذلك كله، هو أن التقسيم إلى معان مختلفة، لا يعكس على الوجه الصحيح كيفية فهم الناس لهذه الكلمات عند قراءتها في نص ما. لقد أثبتت التجارب أنه لا

يمكن للمتحدثين الأصليين باللغة الإنجليزية، ولا للمتحدثين بها بوصفها لغة ثانية، ولا للغويين المدربين، أن يتفقوا على المعنى المعجمي الذي يجب أن يسند للكلمة المبحوثة بلا خلاف (فيلبام ١٩٩٨؛ راجع أيضا إدمندز ٢٠٠٢).

فما الذي أدى إلى أن تهمل القواميس ذات الشهرة الواسعة الكثير من الأمور التي ينبغي القيام بها؟ قد يكون لذلك تفسير أفضل من التعليل بعدم الكفاية. إننا عندما نواجه كلمة غامضة في إحدى الجمل، لا نسأل أنفسنا عادة عن أي معنى مستعمل فيها. وقد لا يعني فهمنا لكلمات مبهمة مثل friendly، أننا وضعنا استعمالا معينا في تصنيف معين. كما أن فهمنا للكلمات قد لا يعتمد في الغالب على قدرتنا على التصنيف، بل على إمكانياتنا العقلية في الاستفادة من الأصول، واستكشاف الفروع.

لم يكن للسانيات المعيارية واللسانيات التشوميسكية (أو ما بعد التشومسكية) فاعلية في صناعة المعاجم. ومع أفول فقه اللغة، لم يعد البحث في معاني الكلمات موضوعا علميا جادا إلى حد ما. فما زال هناك علم المعاني، وعلم الدلالة، إلا أن علم المعاني لم يثر التساؤلات يوما حول الأسلوب القاطع في تحديد معاني الكلمات. وبدلا من وصف معنى الوحدة المعجمية بوصفها كتلة واحدة، سعى إلى تحليلها إلى سماتها، أو مقولاتها الدلالية. وما يزال العديد من علماء المعجم يؤكدون على أننا سننتج قواميس أفضل، ما دمنا نحسن التحليل بالمقولات الدلالية. وفي الوقت الحاضر، يغلب على علم الدلالة علم الدلالة الإدراكي. وهو الذي يسعى إلى توسيع دائرة زعم تشومسكي المتعلق بتشابه جميع اللغات، ليشمل المعنى. حيث يرى علماء الدلالة هؤلاء، أننا من حيث المبدأ نتشارك جميعا نفس اللغة، المعروفة بلغة الفكر، والمسماة في الوقت الحاضر «لغة الذهن mentalese» (فودر ١٩٧٥، بينكر ١٩٩٤). ويقولون إننا عندما نتحدث ننقل تعبيرا بلغة الذهن إلى لغة طبيعية، ولأننا مستمعون،

نعيد نقل التعبير باللغة الطبيعية الذي سمعناه، إلى لغة الذهن مرة أخرى. وقد وصف ستيفن بينكر هذه اللغة العقلية الكلية كما يلي:

> إن البشر لا يفكرون باللغة الإنجليزية، أو الصينية، أو الأباتشية، بل يفكرون بلغة الفكر. وقد تبدو لغة الفكر هذه أشبه بتلك اللغات، إذ من المفترض أن تتضمن رموزا للصور الذهنية، وتنظيمات للرموز... ولغة الذهن بالمقارنة مع أي لغة، أثرى من جانب، وأبسط من جانب آخر. هي أثرى؛ لأنها ـ على سبيل المثال ـ عبارة عن صور ذهنية متعددة، يقابلها كلمة إنجليزية معينة، نحو: مقعد، ووتد. ... وهي أبسط من اللغات المنطوقة من جانب آخر؛ بسبب غياب الكلمات، والبنى الخاصة بالمحادثات فيها، نحو: (a وthe). كما أن المعلومات المتعلقة بنطق الكلمات، أو حتى ترتيبها ليست ضرورية فيها أيضا.
>
> (بينكر ١٩٩٤، صص. ٨١-٢)

مع ذلك، لا يخبرنا بينكر عن عدد الصور الذهنية المختلفة المقابلة لـ friendly، ومن ثم لا يتضح لنا كيف سيكون الحل الكلي لتصنيف معاني الكلمات. إذ يبدو أن كليات اللغة الذهنية تتحقق من خلال التخلص من كل ما هو متعلق بلغة معينة دون غيرها. فالعديد من اللغات لا ترد فيها أدوات التعريف، وكذلك الحال في اللغة الذهنية. وفيما تأتي اللغات بترتيب مختلف لكلماتها، لا تعتد بذلك لغة الذهن. ولم يكن بينكر فريدا في إيمانه بالتمثيلات العقلية. فقد دعمه ـ من بين آخرين ـ دان سبيربر وديردر ويلسون اللَّذان ناقشا الخيارات التالية: «ثمة صور ذهنية أقل من الكلمات»، و«هناك تقريبا تمثيل أحادي بين الكلمات والصور الذهنية»، «ومعظم الصور العقلية لا تمثل في كلمات» (سبيربر وويلسون، صص. ١٨٦-٧). إن الصور الذهنية أكمل من كلمات البشر في لغاتنا الطبيعية. ويبدو أنها تتفادى التعامل مع العديد من خصائص الكلمات

غير المطردة، والموجودة في كل لغات البشر. وبالنسبة لعلماء علم الدلالة الإدراكي، فإن للكلمة العديد من الدلالات، كالصور الذهنية التي تترجم إليها. ولا يوجد للأسف قاموس للصور الذهنية يمكن للقواميس الرجوع إليه. بل إن الأمر مختلف. وما يعرف بالأنطولوجيات التصورية التي ما زالت تشيع في مجال الذكاء الاصطناعي ـ كما يدعي أنصارها ـ لا بد أن تكون في نظرية لغوية مستقلة. فكيف سيتحقق ذلك؟ وكيف يمكننا وصف محتوى الصورة الذهنية، بدون استعمال اللغة؟ إن الأنطولوجيات التصورية ـ كما نعلم ـ تقترض كثيرا من القواميس، والأمل ضعيف في أن يحدث غير ذلك. وعلم الدلالة وعلم المعجم ـ كما يمارسان اليوم في الأوساط الأكاديمية ـ لا يساهمان كثيرا في تحسين معاجمنا.

لقد أتت اللسانيات المعيارية بقواعد لغوية أفضل. وفيما أدت أيضا إلى تحسن ملحوظ في القواميس، وخاصة القواميس الثنائية اللغة، لم تزل القواميس الحديثة تزودنا بما هو أقل من المأمول عند الإجابة عن أسئلتنا المتعلقة بمعاني الكلمات. ومع ذلك، فالغالبية العظمى من البشر، ممن يستمع إلى الآخرين، أو يقرأ نصوصهم، أو ممن يسعى لنقل الأخبار إليهم، يقومون بذلك؛ لأنهم بحاجة للفهم، أو الإفهام. فهم لا يحللون جملة لرصانة بنائها التركيبي، أو لأنهم يريدون الوقوف على أنواع نادرة من صيغ الأفعال. بل إنهم قد لا يعرفون أن الجملة التي نطقوها للتو في صيغة البناء للمجهول، وكل ما يريدونه هو التأكد من أنهم فهموا المعنى الصحيح، أو أوصلوه للمتلقين. وهنا يبدو أن اللغويين عاجزون عن تقديم المساعدة إليهم. قد يخبرونك أن جملة «بول يحب ماري» تقابل تقريبا «ماري محبوبةٌ من بول». لكن حين يُسأل عن معنى الحب، سيحيل اللغويون موضوع ماري وبول إلى من دونهم (صناع المعاجم)، الذين ينصون في القواميس (وفي هذه الحالة قاموس COBUILD لمتعلمي الإنجليزية في المستوى المتقدم) على: «إذا أحببت أحدا ما، ستشعر نحوه بالانجذاب عاطفيا،

أو جسديا»، أو «أن تقول إنك تحب أحدا ما، حين تكون سعادته مهمة جدا بالنسبة إليك، فتتصرف بطريقة لطيفة مبديًا الاهتمام». فاذا أخبر بول ماري أنه أحبها، سترى أنه من المهم أن تعرف ما الذي يعنيه بالحب. وليس من الواجب عليها أن تعرف أن القاموس قد يزودها بالعديد من دلائل هذه الكلمة الغامضة جدا بالنسبة إليها. إن كل ما يعنيها هو: هل يريد بول الزواج منها لأجل الجنس فقط؟ أم أنه يرغب في غسل الأطباق أيضا؟ إذا كانت نشأة ماري في دول غربية، حيث اللغة الإنجليزية هي لغتها الأم، فلن تواجه إشكالية في فهم بول. أما إن كانت من بيئة إسلامية أو هندوسية، فقد لا تعرف هذا النوع من الحب لدينا. إن اللسانيات المعيارية لن تتمكن من إفادتها، وثمة أمر مستجد مّا، هو ما نحتاجه. إننا حين نرغب في معرفة كيفية استعمال اللغة (ما الذي تعنيه الكلمات، والجمل، والنصوص) علينا أن نحلل النصوص. وبالنظر إلى نصوص المسلسلات، وأفلام هوليود، والروايات، والمجلات، التي يقرؤها الشباب، يمكننا أن نعرف ماذا يحدث عادة بعد أن يقول الشاب: «أحبك». ومن هذه المسلسلات، والأفلام، والقصص، بالإضافة إلى مجموع ما يشاهده من أقرانه، تعلم بول بنفسه، متى يستعمل هذه العبارة.

١-٤ لسانيات المدونات: نظرة مختلفة إلى اللغة

ما هي اللغة؟ هل هي الملكة اللغوية المعجزة التي نولد بها جميعا، والتي بمجرد إثارتها بالاتصال اللفظي مع المتحدثين بلغتهم الأم، نصبح متحدثين بها لغةً أم أيضا، ولا تتطلب إلا حدًّا أدنى من المدخلات؛ لضبط الآلية الفطرية لخصائص تلك اللغة؟ هل من الكفاية أن ننتج جملا نحوية لم تُقَلْ أو تسمع من قبل؟ وهل يوجد جهاز لغوي فطري، مثلما توجد قدرة فطرية على رؤية الألوان وتمييزها؟ إذا كانت تلك هي اللغة، فينبغي أن ندرسها بوصفها مزية للعقل البشري. وألا نعير القواعد أي أهمية، حيث

تنتقل إلى عقولنا، ونتبعها دون قصد. وألا نتعلم ما الذي تعنيه الكلمات. وما إن نتعرَّض لأي كلمة، نربطها بالمفهوم العقلي الذي تترجم إليه.

أم أن اللغة مهارة مكتسبة تمكننا من القيام بدور فعال في التواصل الشفهي؟ هل يمكننا أن نتعلم اللغة، بنفس تعلمنا لطريقة ربط أحذيتنا، أو لعب الشطرنج، أو حل المعادلات؟ إننا نتعلم بنفس الأسلوب، حين نرغب في التحدث بلغة أجنبية. نُعلَّم القواعد النحوية والتصريفية، ونُعلَّم ما يقابل الكلمات الأجنبية في لغتنا الأم، والعكس كذلك. ثم نتمكن في النهاية من إنتاج عبارات باللغة الجديدة، تطابق ما قد تعلمناه. ولا يهم ما إذا كانت اللغة المراد تعلمها مستعملة أم لا. بمعنى أنه لا يهم إن كان هناك من يتحدث بها أم لا. فتعلم اللغة الفرنسية لا يختلف عن تعلم الإسبرانتو، بل إنه من حيث المبدأ، ينبغي ألا يختلف تعلمها كثيرا عن تعلم لغات البرمجة. وإذا كانت تلك هي اللغة، فسنعدها حصيلة معلومات متراكمة لازمة؛ لإتقان التحدث بها. وإذا كانت تلك هي، فاللغة ليست مزية في الدماغ. إذ بمجرد جمعنا للمعلومات، لن يكون ثمة جديد لنتعلمه عن اللغة.

أو هل اللغة شيء مادي؟ بمعنى هل هي مجموع كل أشكال التواصل التي حدثت في مجتمع لغوي، مثلما نرى أن العمارة البريطانية هي مجموع المباني التي بنيت في بريطانيا، ونحن على معرفة بذلك؟ هل لغة الأتروسكان، أو المايويون، هي ما تبقى من نصوصهم، أو أنها عموم أشكال التواصل التي حدثت في الأترورية والماوية؟ إذا سلمنا بالحال الأخير، فلا أمل في أن نفهم الأترورية، أو الماوية، فهما تاما. وإذا كانت الإنجليزية، هي كل أشكال التواصل المتعلقة بمجتمع اللغة الإنجليزية (كل النصوص الموجودة، أو كانت موجودة في وقت معين)، فاللغة ليست مزية في الدماغ. إنها شيء موجود على نحو مادي مّا، وشيء يبقى من الماضي القريب، والأبعد، وشيء يستمر في النمو والتطور. وإذا كانت الإنجليزية كذلك، فإن معظمها مفقود (معظم النصوص

المنطوقة، باستثناء القليل جدا مما سُجّل، والعديد من النصوص المكتوبة، باستثناء ما بقي في المكتبات، أو ما أتيح في الأرشيف). وإن كان علينا أن نقتصر في دراستنا للإنجليزية على ما هو متاح لنا، لأنه سُجّل وحُفظ، فتصورنا للغة الإنجليزية، سيكون حتما أكبر بكثير مما نأمل أن نصل إليه، ولن يكون هو التصور الكامل أبدا.

إن اللغة هي الملكة الإنسانية التي يكتسبها الأطفال اكتسابا طبيعيا، دون تزويدهم بأي توجيهات. إنها مجموعة من القواعد التي تعلمناها من بناء الاسم المجموع، إلى استعمال الكلمات بترتيبها الصحيح، واتباع العرف الكتابي في الرسائل، أو المقالات، أو التقارير. وهي القائمة الطويلة من الكلمات التي تعلمناها (من أبسط المفردات اليومية، إلى تعلم أن «القول المأثور: قول موجز، يسري مسرى الأمثال»). إنها أيضا مجموع النصوص في تلك اللغة. وفي مسرحية ماكبث، الفصل ٤، والمشهد ٢، والصفحة ٢٢٠، يستعمل شكسبير الفعل dispute [ينازع] بمعنى revenge [ينتقم]. ولم يعد أحد يستعمل هذه الكلمة بهذا المعنى على الإطلاق. ولكن، هذا الاستعمال لم يختفِ تماما. فما تزال نصوص شكسبير جزء من خطابنا، حيث نقرؤها، ونشاهد مسرحياته، ونناقش لغته. ومن ثم هناك طرق مختلفة، للبحث في اللغة. والأمر إلينا في تحديد كيفية دراستها. ويعتمد ذلك على الجانب اللغوي الذي يهمنا. فإذا أردنا معرفة ما هو مشترك بين اللغات جميعا، ينبغي أن نتبنى اللسانيات التشومسكية. وإذا أردنا معرفة ما إذا كانت الجملة الفرنسية صحيحة نحويا، فيجب أن نعتمد على اللسانيات المعيارية. وإذا أردنا معرفة ما تعنيه الكلمات، والجمل، والنصوص، فعلينا أن نختار لسانيات المدونات.

إن لسانيات المدونات تنظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية. والمعنى مثل اللغة ظاهرة اجتماعية. إنه أمر يمكن أن يتداوله أعضاء مجتمع الخطاب. فلا توجد صيغة خفية تتضمن معنى لأي كلمة، أو عبارة، لا في اللغة الطبيعية، ولا في المنطق

الرياضي. فليس ثمة ما هو صحيح، أو خاطئ. وما أسميه «سلاح دمار شامل»، قد يختلف عما يسميه الرئيس جورج دبليو بوش «سلاح دمار شامل». وما أسميه «الرغيف الفرنسي»، ليس هو ما تبيعه معظم الأسواق، بوصفه رغيفا فرنسيا. وما أسميه «الحب»، قد لا يكون هو الحب عند شريكي. إن مختلف الناس يعيدون صياغة الكلمات، أو العبارات، بطرق مختلفة. وليس من الضروري أن يحدث اتفاق فيما بينهم. وفي ظل المساواة الاجتماعية، رأي كل شخص لا يختلف عن رأي الآخر.

إن المعنى هو ما يمكن أن يوصل لفظيا. فإذا لم تكن تعرف ما معنى «القول المأثور apophthegm»، يمكنك سؤال من حولك من أعضاء مجتمع الخطاب الإنجليزي. والعديد منهم قد لا يكون متأكدا من جوابه، وقد يحيلونك إلى القواميس. كما قد يقتبس أحدهم المقولة الشهيرة لصمويل جونسون: «الوطنية هي الملاذ الأخير للأوغاد». ولعلك لن تنسى معنى هذه الكلمة من الآن. إذن معنى «القول المأثور» بالنسبة إليك، هو مجموع كل ما سمعته من الأشخاص الذين سألتهم، بالإضافة إلى كل ما وجدته في القواميس. وبكل تأكيد هناك ما أكثر من ذلك عن معنى «القول المأثور». فهناك العديد من القواميس التي يمكن الرجوع إليها، والمزيد من الأشخاص الممكن سؤالهم، والعديد من النصوص التي توجد في المكتبات والأرشيفات، والتي تضم الكلمة مضمنة في سياقات مختلفة. إن المعنى التام للكلمة، لا يمكن أن نقف عليه، إلا بعد رصد جميع السياقات التي وردت فيها الكلمة في نصوص مجتمع الخطاب. فجميع الشواهد، فضلا عما يخبرك الناس عنه عند سؤالهم، هو كل ما يمكن للمرء معرفته عن معنى «القول المأثور». ولا يوجد ما سوى ذلك مما قد يخبرنا عن معناها، وجميعه عبارة عن تواصل لفظي.

وتمثل رؤية اللسانيات التشومسكية والإدراكية للغة، نظرة مختلفة تماما. حيث اللغة هي ظاهرة نفسية ذهنية حسب رؤيتهم. وكلا الرأيين طبعا مشروعان ومتكاملان. أما

لسانيات المدونات فتتعامل مع المعنى. واللسانيات الإدراكية معنية بالفهم. والتداخل بين المعنى والفهم وارد، إلا أنه من المفيد أن يفصل بينهما. إن الفهم أمر شخصي، وفعل نقوم به بوصفنا متكلمين ومتلقين. وبالنسبة لعلماء اللسانيات الإدراكية، الفهم يعني ترجمة كلمة، أو جملة، أو نص، إلى لغة الفكر (لغة الذهن). ولكن ما تزال العديد من التساؤلات دون إجابة. فهل جميع الصور العقلية كليات بما في ذلك «البيروقراطية» و«المكربِن» التي تبدو وكأنها ذات خصوصية ثقافية؟ يرى تشومسكي أن هناك حججا قوية تأخذنا إلى أن جميع الصور الذهنية، بما في ذلك الصور الذهنية التي لم نعرفها بعد (كالمستجدات اللفظية التي ستظهر مستقبلا)، هي فطرية (تشومسكي ٢٠٠٠، ص. ٦٥). ويرى آخرون، مثل آنا ويرزبيكا، أن عددا محدودا فقط من الصور الذهنية الأساسية، أو الأولية هي كليات. وأن الصور الذهنية ذات الخصوصية الثقافية، هي تركيبية، بمعنى أنها تتكون من عدد من الصور الذهنية الأساسية. وهذه الصور الذهنية المركبة، ليست كليات (ويرزبيكا ١٩٩٦). إلا أن جيري فودور يرفض فكرة التركيبية (فودور ١٩٩٨؛ فودور وليبور ٢٠٠٢).

إن مسألة طَبَعيَّة الصور العقلية التي لم يبت فيها، ليست سوى واحدة من المسائل المعضلة التي يواجهها اللسانيون الإدراكيون. والمشكلة الأخرى الرئيسة، هي الصفة الشعورية الأرسطُوِيّة qualia. ويعرف دانيال دينيت الصفة الشعورية بأنها «الطريقة التي تبدو بها الأشياء لنا». إنها «عصيَّة الوصف» (أي لا يمكن وصفها)، وهي «ذاتية» (داخلية في العقل)، و«خاصة» (معروفة لصاحبها فقط) (دينيت ١٩٩٣، صص. ٦٥، ٣٣٨ وما يليها). فالصورة التي تستدعيها كلمة «زهرة الربيع» في ذهني تختلف عن الصورة التي تستدعيها الكلمة نفسها في ذهنك. وما يترافق معها من الكيفيات الشعورية (أي ما تشعر به، عندما تسمع كلمة «زهرة الربيع»)، هو أمر لا يمكن إيصاله بالكامل إلى الآخرين.

ومن الصعب رؤية كيف أن افتراض أساس صوري ذهني كلي، يمكن أن يوفق بينه، والرأي القائل بأن الفهم تجربة فردية عصيٌّ إيصالها. ولكن، حتى وإن كان هناك إجماع بين اللسانيين الإدراكيين في كيفية عملية الفهم، فستظل ضرورة فصله عن المعنى. إن المعنى هو ما نتبادله عندما نتواصل معا، ومن خلال تبادل المحتوى نتشاركه. ومن ثم تختلف اللسانيات الإدراكية ولسانيات المدونات في اهتماماتها. حيث تعنى اللسانيات الإدراكية بما يحدث في العقل من ترميز، وفك ترميز للرسالة. أما لسانيات المدونات فمعنية بالرسالة نفسها.

ويمكن أن تزودنا لسانيات المدونات بما يتصل بالمعنى، أكثر من اللسانيات الإدراكية، أو اللسانيات المعيارية. ورغم ذلك، لا يمكن أن تعطينا لسانيات المدونات الصورة الكاملة أبدا. وإذا لم يكن المعنى صيغة (أي صياغة واضحة بالمنطق الرياضي، وهو ما كان يأمله العديد من أتباع الفلسفة التحليلية)، ولم يكن صورة ذهنية قد استفادت من الصفة الشعورية العصية الوصف qualia، ولا صورة ذهنية كلية في لغة الفكر التي لا نعرف عنها شيئا، وكان هو ما يمكن (ويجب) نقله لفظيا، فالمعنى هو شيء يمكن الحديث عنه باللغة الطبيعية، وحسب. وغالبا أننا نعرف ما تعنية كلمة school [المدرسة]، ليس لأننا قد بحثنا عنها في القاموس في مرحلة مّا ماضية. بل نعرف ما تعنيه، لأنه لا بد وأن شخصا مّا، أو على الأرجح عددا من الأشخاص، قد نقلوا لنا ما الذي تعنيه هذه الكلمة خلال طفولتنا. ولا بد وأن هؤلاء الذين نقلوا المعنى لنا، قد نُقل لهم المعنى بنفس الطريقة. فتكررت عملية ـ أو بالأحرى تكرر نشاط ـ نقل المعنى جيلا بعد جيل، منذ ظهور المدارس. وإذا جمعنا كل ما قيل في هذا الخطاب المتعلق بالمدارس، سنقف على معنى كلمة المدرسة. ولكن، لن يصوغ الجميع معنى الكلمة لنا بنفس الكلمات. وقد يتبين لنا أن الرابط المشترك بينها، لا يكاد يذكر. وهذا التنوع ستُظهره لنا مجموعة لا بأس بها من الاقتباسات. فالاقتباسات التالية، عبارة عن

مجموعة مختارة لكلمة school، وقد أخذت من بنك اللغة الإنجليزية، المتضمن ٤٥٠ مليون كلمة:

and offers an after- school club. There are infant and
them in detention after school. Yet pupils in adjoining
having a tough time at school and came home in tears again
as they can, because school fees are so unpredictable,
he was sent to boarding school in England, where he was a
small private day school in California. There were
children' s camps during school holidays, which include
at eleven to a grammar school. The rest stayed on at
And, I' m still in high school!" While rewarding the first
university medical school but it could be rented or
Oxford, said that more school sport is the answer to the
career after leaving music school to start the family, saw it
we are a caring sort of school that looks after everybody' s
written by Head of School, Heather Dixon. 'The two-day
like some kind of prep school, with its Standing Committee
currently still at primary school, later gained a place at
I' ll have to go to public school. Iz and Jude say the teachers
The boy, now 15, skipped school for a year as he took orders
is practical: ' In Sunday School they told us what you do.
last night demanded that the school council and head nun Mother
teenagers. The four go to school, do homework and finish
said: '1 used to walk to school with Lisa and her children.

إن لسانيات المدونات تَدرُس اللغات معتمدة على الخطاب. والخطاب الإنجليزي هو مجموع النصوص التي أنتجت على مر القرون، من قبل أعضاء مجتمع

الخطاب الإنجليزي. وحتى لو اقتصرنا على النصوص التي حُفظت، يظل هذا الخطاب برمته كبيرا جدا على موضوع بحثنا. ولن يكون من الممكن أبدا دراسة جميع النصوص الموجودة. وكل ما قد تقوم به لسانيات المدونات هو العمل على عينة (مناسبة) من الخطاب، تسمى المدونة. ولأنه لا يمكننا الوصول أبدا للخطاب كاملا، ولا حتى لكل النصوص الموجودة، فلا نستطيع أن نجزم بأن كل ما جمعناه بوصفه معنى لكلمة school، سيكون هو الصورة الكاملة لمعنى الكلمة. والأهم من ذلك، تلك الحقيقة التي مفادها أن الصورة المستنتجة، ملأى بالتناقضات. فهناك من يحب المدرسة، وهناك من يكرهها، وبعضهم يجدها مفيدة، والبعض الآخر يراها مضيعة للوقت. وبالنسبة لجميع الوحدات المعجمية، الجديرة بالتفكير والحديث عنها، لا يوجد رابط مشترك، ولا يوجد أي اتفاق يذكر. فالخطاب ليس بالبساطة التي تُشعرنا بها القواميس. ويبدو أن بعض صناع المعاجم، يرون أن ما نجده في مدونتنا، ليس سوى مجموعة اعتباطية وعشوائية من سياقات الكلمة، ولذلك لا بد من التحقق من هذا الشاهد، من خلال حقيقة المدرسة في الواقع، ومن الخطورة بمكان الاعتماد على شواهد الخطاب. ولكن، إذا كان هناك حقيقة موجودة خارج الخطاب، فلا بد أن تحول إلى نص، وأن تصبح جزءا من الخطاب، بحيث يمكن نقله.

لذلك، ينبغي ألا يأخذنا الظن بأننا إذا استدعينا معلومات غير موجودة في مدونتنا، فإننا نستدعي الخطاب الخارجي discourse-external (المعرفة الحقيقية factual knowledge). كما يجب ألا نخطئ فيما يتعلق بحقيقة ما هو خارج مدونتنا، إذ يظل خطابا. وقد وجدنا مثلا في العديد من القواميس عادة إضافة الاسم اللاتيني لفصيلة النباتات. فقاموس NODE يخبرنا أن اسم فصيلة شجرة الدردار elm، هو ulmus، وهذا لا صلة له بالواقع. حيث نُقلت المعلومات من نصوص أخرى (تصنيف لينيوس للنباتات والحيوانات). إن هذا التصنيف هو في الواقع جزء من الخطاب، ويمكن أن

يناقش في الخطاب. ولكن، أليس هذا التصنيف ـ كما يعتقد الكثير من الناس بما فيهم فلاسفة اللغة ـ مرآة للواقع؟ أليست الفصيلة هي نفس النوع الطبيعي الذي يعده هؤلاء الفلاسفة (والعديد من اللسانيين الإدراكيين) من المسلّمات؟ أليست حقيقة وجود فصيلة تدعى elm، أو ulmus ستظل موجودة، حتى وإن لم يكن هناك بشر يطلقون عليها اسما؟ أليس صحيحا أن الشجرة إما أن تكون شجرة الدردار، أو لا تكون ـ بغض النظر عما تظنه أو أظنه ـ ؟ وهل فصيلة النوع خليط من أعضاء مجتمع الخطاب؟ أم أن هناك ـ في أي واقع يكون ـ كيانات يمكن تصنيفها على أنها تنتمي إلى هذا الفصيل، أو ذاك؟

ويعرب ارنست مايـر ـ عالم الأحيـاء والنـشوئي الرائـد ـ عن بالغ شكـه في حقيقة الأنـواع الطبيعيـة. ويستحضر في كـتابه الأخيـر (ما هي نـظرية التـطور؟ What Evolution Is?) تاريخ مفهوم الفصائل فيقول:

> جرت العادة أن يُسمى أي صنف من الكائنات الحية، أو غير الحية فصيلا ما دام مختلفا تماما عن أي صنف آخر مماثل.... ويشير الفلاسفة إلى مثل هذه الأنواع بـ«الأنواع الطبيعية» ... هذا المفهوم التصنيفي، يتعارض مع الطبيعة السكانية للفصيلة، وإمكانيتها التطورية.
>
> (ماير ٢٠٠٢، ص.١٦٥-٨)

وفي نهاية الأمر، يبدو أن مفهوم الفصيلة، كان مناقشا في الخطاب، بأطروحات لا تعد ولا تحصى. حيث تُظهر نتائج البحث في قوقل عن ' definition [تعريف] + species [الفصيلة]' ٧٣٥,٠٠٠ نتيجة. ويتيح لنا مفهوم الفصيلة، أو النوع، وضع العناصر داخل تصنيف؛ لأنها تشترك في خصائص نراها مهمة. إنها وسيلة مفيدة، ولكن يجب ألا ننسى أننا نحن من يحدد الخصائص المهمة التي تنتمي إليها العناصر المشاركة في نفس التصنيف. وقد وسم جورج لايكوف ـ العالم اللغوي الإدراكي

المعروف ـ ببحوثه في الاستعارات أحد كتبه بالعنوان (النساء، والنار، وأشياء خطيرة)؛ لأن أحد أصناف الأسماء الأربعة في اللغة الديربالية الأسترالية، تشمل: الإناث، والنار، والحيوانات الخطيرة (من بين أشياء أخرى؛ انظر: لايكوف ١٩٨٧، صص. ٩٢-١٠٤).

إن النقاش حول ما إذا كان هناك شجر الدردار؛ لأننا اتفقنا على تسمية شيء شجرة الدردار، أو حول ما إذا كنا نسمي شيئا شجر الدردار؛ لأن شجر الدردار موجود في الواقع، يعود إلى خلاف بين أفلاطون وأرسطو. وتخبرنا الواقعية الأفلاطونية أن هناك أنواعا طبيعية، لا يسعنا إلا أن نعترف بها، ونسميها. ولن نتمكن ـ وفقا لهذا الرأي ـ من التعامل مع الواقع على المدى الطويل، ما لم نكشف الطبيعة الحقيقية، ونقبلها. وهذه الطبيعة موجودة وجودا مستقلا عن تسمياتنا للكيانات التي تتألف منها. ولا تتفق مع ذلك الاسمية الأرسطيّة. إذ تنص على أن الناس أحرار في وضع بعض الأشياء داخل تصنيف معين، ووضع الأخرى في تصنيف آخر. لقد ابتكر البشر الأنواع لفهم الواقع، وهذا ليس لأنهم يكتشفون الأنواع من خلال تقصيهم للواقع. فنجد أنه من المهم أن نميز بين البرتقال والليمون، ولكن الماندرين، وساتزوما، والتانجليو، واليوسفي، عند بعضنا كلها متشابهة. فهل تنتمي لتصنيفات مختلفة؟ وهل الموريلو مجرد نوع من الكرز، أم أنه فاكهة مختلفة؟

أينما تظهر الفلسفة التحليلية، فهي تظهر مترافقة مع صيغة أو أخرى من الواقعية. وهذا ليس غريبا في الواقع. فبالنسبة للفلاسفة التحليليين، السؤال المهم هو: ما الذي ينبغي أن يكون عليه الحال، لجعل جملة مثل: «هذه شجرة دردار»، أو «هذه موريلو» صحيحة؟ ما الذي يجعل هذ الجملة تتطابق مع الواقع؟ لكن السؤال عن ذلك، يفترض مسبقا أن ثمة أشياء هناك هي شجر الدردار. وسيلزمنا أن نعيد تعريف مفهوم الحقيقة، إذا كان شجر الدردار أي شيء اتفقنا أن نسميه شجر الدردار. وترى اللسانيات الإدراكية أنه إذا لم يكن هناك كلمات تشير إلى الأشياء بدقة، فحتما هناك صور ذهنية تشير

إلى الأشياء الموجودة فيما يعرف بالواقع (فودور ١٩٩٤). ولذلك تقدم اللسانيات الإدراكية نفسها، كخلف للفلسفة التحليلية.

بالنسبة للواقعيين، من المهم جدا أن تكون كلمات الأشياء ترمز لموجودات حقيقية، وليس لمجرد خيالات، كمفهوم النازية العرقية. ويخبرنا جون سيرل ـ الباحث الفذ في فلسفة مجتمع الفكر ـ في كتابه الأخير (العقل، واللغة، والمجتمع) أن: «من بين الظواهر المستقلة عن الفكر في العالم، أشياء كذرات الهيدروجين، والصفائح التكتونية، والفيروسات، والأشجار، والمجرات، حيث واقع هذه الظواهر مستقل عنا» (سيرل ١٩٩٨، ص ١٣-١٤). فهل يمكننا التأكد من ذلك؟ قبل مائتي عام، لم يسمع الناس عن ذرات الهيدروجين، أو الصفائح التكتونية، أو الفيروسات، لكنهم رأوا أنهم يعرفون ـ بوصفها حقيقة ـ أنّ الفولوجيستن مادة قابلة للاشتعال، تتسرب إلى الهواء أثناء احتراق أي مادة. وهل سنظل مستبشرين ـ في مائتي عام أخرى ـ بوصفنا لبعض التركيبات الجزيئية الكبرى، بأنها فيروسات قادرة على التكاثر؟ أو هل يمكننا ـ في هذا الصدد ـ أن نكون على يقين من واقع الأشجار؟ وهل هناك معايير ثابتة لتمييز الأشجار trees عن الشجيرات shrub [ذات الجذوع المتعددة]، أو الشجيرات bushes [ذات الأغصان الكثيفة]؟ يعرف قاموس NODE شجرة البندق «بأنها «شجيرة shrub، تعيش في البيئات المعتدلة، أو شُجيرة صغيرة». وهي في قاموس Cobuild، «شجيرة صغيرة» فقط. أما بالنسبة للألمان، فهي إما شجيرة bush (Haselnussbusch)، أو شجيرة shru (Haselstrauch)، وليست شجرة tree أبدا. فيبدو أن ما نسميه شجرة، يعتمد على القرارات التي يتخذها مجتمع اللغة، أكثر من اعتماده على الحقائق.

وفي العصور الوسطى، أعلن اجتماع للأساقفة أن الأرانب مثل الأسماك. وفي هذا تصريح بوجود الأرانب في قائمة طعامهم ليوم الجمعة. ونحن اليوم أكثر معرفة؛ إذ نَعْلمُ أن الأرانب تنتمي إلى فئة القوارض. ولكن، هل هذا التصنيف أكثر واقعية من

التصنيف الذي يجمع الأشياء التي يمكن أن يأكلها الكاثوليكي الصالح يوم الجمعة؟ ويبدو انتماء الأرانب لصنف القوارض صحيح علميا، في حين أن صنف الأشياء المسموح تناولها غداء يوم الجمعة تعسفي جدا، ولم يعد يحظى بالقبول كثيرا. لكن النظام اللينيني لتصنيف النباتات والحيوانات حسب العلاقة والأصل ليس دائما. لقد أصبح مقبولا في العالم الغربي خلال القرن التاسع عشر، وقد يستبدل يوما مّا بتصنيف جديد قائم على الحمض النووي DNA. فما هي أنظمة التصنيف التي تشير إلى الواقع أكثر بإشارة مباشرة ـ إذا كان من الممكن طرح مثل هذا السؤال ـ ؟

إذن، إذا لم نجد في مدونتنا شيئا يخبرنا عن معنى الكلمة، فأين نجد الحقائق التي تحدد معنى الكلمة؟ إن الحقائق ـ كما رأينا ـ تصبح حقائق، بمجرد إدخالها للخطاب. وقد تكون ـ بقدر ما نعلم ـ خارج الخطاب. لكن الأمر موكل إلى أعضاء مجتمع الخطاب، لتقديم ما يعدونه حقائق في خطابهم. إن معظم الأشياء التي نعتقد أنها حقائق، أو نظن أننا نعرف أنها صحيحة، هي أشياء لم نصادفها أبدا من قبل، ولم نتحرَّ عنها شخصيا، ولكن أُخبرنا عنها في الخطاب. ومن المستحيل تماما، أن يثبت أي أحد منا حقيقة دون نقاشها من خلال الخطاب. فالخطاب هو ما يقرر إن كانت الظاهرة حقيقية، أم لا. وقد يكون هناك الكثير من الحقائق خارج الخطاب، لكن الحقائق الوحيدة التي يمكن الحديث عنها، هي تلك التي أُدخلت في الخطاب.

ولذلك يبدو من الواضح أن المصدر الوحيد الذي نأمل أن نصل من خلاله إلى معنى الكلمة، هو الخطاب. ولا يمكن أن نؤمل في جعله متناولا كليا لغرض البحث المعجمي، بل يمكننا أن نجمع مدونات أكبر وأكبر، وأن نستعمل أيضا الانترنت المتنامي المحتوى بوصفه مدونة افتراضية. ومع ذلك، لا يمكن من ناحية نظرية الوصول إلى مدونة تتضمن جميع مفردات مجتمع الخطاب، بسبب سك العديد

من الكلمات والعبارات الجديدة يوميا. إذ ستكون هناك كلمات، ليست مضمنة في المدونة دائما. وهناك فرصة دوما لإضافة تلك النصوص المُتضمِّنةِ تلك الكلمات لمدونتنا. فعندما يتعلق الأمر بمعنى الكلمات، ينبغي على لسانيّ المدونات أن يراجعوا مدوناتهم، ويعدلوها، ويراجعوها مرة أخرى بجهد جهيد. إن ما يقف عليه لسانيو المدونات بوصفه معنى للكلمات، ليس أكثر من مقاربة للمعنى. ويمكن دائما أن تبنى مدونة أكبر بصيغ جديدة لم تكن موجودة في المدونة الأصلية.

وتؤلف كل أشكال التواصل معا خطابا يتعلق بمجتمع خطاب محدد. فنستطيع أن نقول إن هناك مجتمع خطاب لجميع الناس الذين يتحدثون الإنجليزية، فهو موجود منذ قرون، ومنذ أن وُجدت الإنجليزية. وفيه نصوص كتبها جيفري تشوسر، ووليام شكسبير، وإليزابيث جاسكل، وسيلفيا بلاث، وجميع النصوص الأخرى التي نجدها في مكتباتنا وأرشيفاتنا. وقد أضعنا جميع أشكال التواصل الشفهي (باستثناء بعض أشكاله الحديثة)، لأنه لم يكن بالإمكان تسجيلها. وفقدنا كذلك المواد المكتوبة غير المطبوعة لأنه قد تُخُلّص منها. وكل هذه النصوص هي جزء من الخطاب، ولا يمكننا دراسة كل ذلك أبدا، ولا حتى كل ما هو موجود.

ولقد رفض نعوم تشومسكي، وعدد من أتباعه، المدونة بوصفها مصدرا لمعرفتنا اللغوية. حيث يقولون بأن اللغة إنتاجية، وبالمعاني المحدودة، والمفردات المعدودة، والقواعد المنطقية، تمكننا ملكتنا اللغوية من توليد عدد لا نهائي من العبارات. وفي كل آن، تقال أشياء لم يحدث أنها قيلت من قبل. فباحثو المدونات اللغوية، يزعمون أن المدونة ستخبرنا فقط عما قاله الناس حتى هذه اللحظة، ولن تخبرنا عما سيقوله الناس غدا. وهذا قطعا صحيح، فالتنبؤ في لسانيات المدونات يضاهي تنبؤ خبراء الأرصاد الجوية لطقس الغد، أو الأسبوع القادم، حيث لا تستطيع التنبؤ بالتغيرات اللغوية. وعندما استعمل تيد ليفيت كلمة globalization [العولمة]

في عنوان مقالته «The globalization of markets [عولمة الأسواق]» التي نشرها في مجلة Harvard Business Review [هارفارد بيزنيس ريفيو] عام ١٩٨٣م، لم يكن يعرف أنها ستشيع، ولم يكن اللغويون قد تنبؤوا بأن العولمة ستصبح كلمة مميزة keyword في خطاب التسعينيات (انظر ٢. ٣ و٢. ٥). however

إذ لم يكن اللسانيون التوليديون ـ كما رأينا ـ معنيون كثيرا بالتغير الدلالي. فهم مهتمون بالنحو، والنحو بالطبع يتغير أيضا مع الزمن. وإذا اعتبرنا أن الاقتباسات جزء من النحو، لا المعجم، فهي مثال للتغير النحوي، حيث يمكن أن نقول الآن: «He comes into the room and he *is like* 'It's much too hot for me in here', and he turns on the air». إن القواعد النحوية القديمة لا توجد فيها البنية (be like + direct speech [كلام مباشر]). ولكن هل هذا ما يقصده النحويون التوليديون؟ إن ما يَعْنُونَهُ من القدرة التوليدية النحوية، هو أنه باستعمال نفس النحو (نحو الناطق الفصيح باللغة، بوصفها لغة أم) يمكننا أن ننتج عددا لا محدودا من الجمل. وهذا قطعا ادعاء مقبول، ولو أن تشومسكي يصرح أيضا بأن «التعبيرات في اللغات الطبيعية، لا يمكن تحليلها غالبا (ولا يرجع ذلك إلى الطول، أو الغموض، بمعنى استقلال طبيعة الملكة اللغوية)». (تشومسكي ٢٠٠٠). وأيا كان التعبير الذي يتوافق مع القواعد اللغوية (والواضح أن بعض العبارات لا تعمل بمقتضاها)، فلن يثبته النظر في البيانات. إن المزيد من الأدلة التجريبية، لن تجعلنا أكثر معرفة. فبمجرد أن نكتشف أن الصوت ينتقل في الهواء القياسي بسرعة ٣٣٠ مترا في الثانية، لا فائدة من البحث في المزيد من الحالات الصوتية. وإذا كنت قد عرفت كيفية تصريف الأسماء الليتوانية إلى حالاتها السبعة معرفة صحيحة، فلا حاجة إطلاقا إلى دراسة تصريف الأسماء الليتوانية في أي مدونة. وإذا كنت تعلم يقينا أن المصادر المفروقة split infinitives «غير صحيحة»، فلن يجعلها بوجود عدد منها في مدونتك صحيحة. وعلى لسانيات المدونات أن تبتعد

عن النحو ابتعادا يضمن ألا يكون هناك أي خلاف مع القواعد اللغوية في كتبنا النحوية (وهذا ليس دائما).

لذلك لا تعد لسانيات المدونات ـ بهذا المعنى ـ مُعِينَة عندما يتعلق الموضوع بدراسة نحو لغة «استكشفت» قواعده من قبل (رغم ذلك، هل هذه القواعد اللغوية «المستكشفة» كافية إلى الأبد؟). إلا أنها تخبرنا عن معاني الكلمات أكثر من اللسانيات المعيارية والتشومسكية. فهي تستخرج من الخطاب كل ما يمكننا كشفه عن المعنى. واللغة البشرية الطبيعية فريدة من نوعها في هذا الشأن. إنها مجتمع الخطاب الذي يناقش كيفية استعمال الكلمات، وماذا تعني. وليست نتيجة هذه النقاشات إيجابية دائما. فقد يقول البعض إن أسلحة الدمار الشامل weapons of mass destruction تعبير محايد وغير متحيز، ويقول البعض الآخر إنه تعبير فيه استنقاص؛ لأنك تستعمله لأسلحة عدوك فقط. ويبدو أنه لا يوجد فهم مشترك لتلك الأسلحة بدقة، ولا ما تعنيه عبارة weapons of mass destruction تبعا لذلك. فهل تنتمي القنابل العنقودية لتلك المجموعة؟ وماذا عن اليورانيوم المنضّب؟ إن ما يجب علينا هو أن ننظر فقط في الخطاب المعاصر؛ للعثور على العديد من الاستشهادات التي يحرص الناس فيها على إبداء ما يرونه، فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل. وتظهر لنا نتائج البحث في بنك اللغة الإنجليزية عن عبارة weapons of mass destruction أنها على نقيض الأسلحة التقليدية، وغالبا ما تعني الأسلحة البيولوجية، والكيميائية، والنووية، كما يظهر في الاقتباسات التالية:

Terrorists were seeking weapons of mass destruction: chemical, biological and nuclear.

[كان الإرهابيون يسعون إلى أسلحة الدمار الشامل: الكيميائية والبيولوجية والنووية.]

... Bush's policy goal of regional security and stability meant eradicating Iraq's capability to build weapons of mass destruction - chemical, biological, and nuclear -...

[كان هدف سياسة بوش المتعلق بالأمن والاستقرار الإقليميين، هو القضاء على قدرة العراق في بناء أسلحة دمار شامل ـ الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية ـ ...]

The Security Council is still not satisfied that all weapons of mass destruction, notably biological and chemical arms, have been purged from Iraq...

[ما يزال مجلس الأمن غير مقتنع بأن جميع أسلحة الدمار الشامل، ولا سيما الأسلحة البيولوجية والكيميائية، قد طهرت العراق منها ...]

The evidence that it is assembling biological, chemical and other weapons of mass destruction is overwhelming.

[والأدلة على أنها تصنع أسلحة بيولوجية، وكيميائية، وأسلحة أخرى للدمار الشامل أدلة قاطعة.]

لكن المدونة تخبرنا عن أكثر من ذلك، حيث توضح لنا صورتنا العالمية الواضحة. وتعرفنا بأننا عندما نتحدث في الواقع عن أسلحة الدمار الشامل، فإننا غالبا ما نعني بها أسلحة العدو.

إن الخطاب يزخر بصيغ جديدة للكلمات وتعليقات تخص معانيها الأصلية، وأخرى تخص معانيها الضمنية التي تحملها. أليست هذه التفسيرات هي نوع المعلومات الذي نرغب في الحصول عليه عند البحث عن كلمة، أو عبارة في القاموس؟ بمجرد أن

نضع نصب أعيننا أن معنى الكلمات هي ما يزودنا به أعضاء مجتمع الخطاب بوصفه معان للكلمات، فالتمييز الذي أصبح مرتبطا بصناع المعاجم ـ أي التمييز بين المعرفة المعجمية والمعرفة الموسوعية ـ تلاشى. وتعد المعرفة الموسوعية جزءا من خطابنا، كالمعرفة التي تقدمها القواميس بوصفها معاني للكلمات. فمعنى عبارة «أسلحة الدمار الشامل» هو ما يخبرنا الناس عنها. وكذلك، ليس ما يريدنا أن نؤمن به الفيلسوف الأمريكي الشهير هيلاري بوتنام هو المعنى الصحيح للماء، بل ما يخبرنا عنه الناس هو الماء فعلا (بوتنام ١٩٧٥، ص ٢١٥-٧١).

وتشكك لسانيات المدونات في جعل الكلمة وحدة أساسية في اللغة. فالكلمة ليست أصل في اللغة. إن الكلمة اليونانية logos التي نرى أنها تقابل كلمة word [كلمة]، تعني ابتداء «الكلام» أو «فعل التكلم»، ثم «الاتصال الشفهي» و«تعبير» أيضا. وحيثما تعني logos: word [كلمة]، فهي تعني أولا «الكلمة المنطوقة» (على عكس rhema [الفعل]، أو onoma [الاسم]). وتعني أيضا كلمة verbum اللاتينية ابتداء «التعبير»، و«الكلام»، و«الكلمة المنطوقة». وعندما ننظر في الكلمة اليوم، فهي تبدو حدثا صوتيا انتقاليا بعيدا عن الكلمة المكتوبة التي تحدد بسهولة، لأنها تسبق وتتلى بمسافة، تلك المسافة التي لا تُنطق ولا تُسمع. والمسافات بين الكلمات ابتكار حديث نسبيا. إذ كان الرهبان في مناسخ القرون الوسطى، هم من بدأ بها لتسهيل نسخ النصوص. إن الكلمات تشكل المداخل المعجمية للقاموس، ولأن «أسلحة الدمار الشامل» ليست كلمة واحدة، فلن تكون بارزة في القاموس، وهذا في حال ورودها أصلا. ولقد عُثر على عبارة: weapons of mass destruction [أسلحة الدمار الشامل] في قاموس NODE تحت مدخل destruction [دمار] وفيه: 'the action or process of killing or being killed: weapons of mass destruction'.

١-٥ نبذة تاريخية عن لسانيات المدونات

تعد لسانيات المدونات منهجا حديثا في اللغة نسبيا. وقد ظهرت في الستينيات، في الوقت الذي كان لتشومسكي أثر في الدراسات اللغوية الحديثة. فقد صدر كتابه (البنى النحوية) عام ١٩٥٧، ورغم أنه أصبح في زمن وجيز متداولا على نطاق واسع، إلا أن منشوره «جوانب من نظرية النحو» في عام ١٩٦٥، والتداولات التي تلت هذا العمل فقط، هو ما حمل اللغويين على مراجعة النموذج القياسي في اللغويات النظرية. وإذا كانت نظرية اللغة قد أصبحت مهتمة اهتماما متزايدا باللغة بوصفها ظاهرة كلية، فإن لغويين آخرين أصبحوا أكثر وأكثر استياء من التوصيفات التي وجودها للُّغات المختلفة التي تناولوها. إذ إن بعض القواعد النحوية في هذه التوصيفات، قد مورس خلافها بوضوح في جميع النصوص (المكتوبة)، فلا يمكن أن تكون مناسبة. كما أن هناك خصائص لغوية معينة، لم توصّف توصيفا كافيا. فدائما ـ على سبيل المثال ـ يميز بين الأفعال اللازمة والأفعال المتعدية، ولكن هذا لا يكفي لتوصيف عدد ونوع المفاعيل، أو المكملات المتعلقة بالفعل. وتشمل تلك المفاعيل: المفعول به المباشر، وأنواع أخرى من المفاعيل غير المباشرة، والمفاعيل الحرفية، والمفاعيل العبارية. والواجب عند توصيف البنية النحوية بدقة أن يفصل بينها على وجه صحيح. فإذا حُوّل فعل من فعل مبني للمعلوم، لفعل مبني للمجهول ـ على سبيل المثال ـ ، قد تغيب بعض المفاعيل، فيما تصبح الأخرى فواعل. وفي الخمسينيات، أثارت تفصيلات مثل تلك أسئلة تجريبية لا يمكن الإجابة عنها عن طريق التأمل وحسب، إذ لا بد من البيانات اللغوية الواقعية.

لقد كان أول مشروع ضخم لجمع البيانات اللغوية لأغراض البحث النحوي التجريبي في البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، هو مشروع راندولف كويرك (مسح

لاستعمال اللغة الإنجليزية Survey of English Usage) الذي نتج عنه ما أصبح مرجعا لقواعد اللغة الإنجليزية المعيارية لعدة عقود: (القواعد الشاملة للغة الإنجليزية A Comprehensive Grammar of the English Language (كويرك وآخرون ١٩٨٥). لقد بدأ المشروع في أواخر الخمسينيات، وشكل نقطة مرجعية لكل المهتمين بالدراسات اللغوية التجريبية، بما فيهم مدونة براون Brown Corpus التي سنأتي عليها. ولكن، في ذلك الوقت، لم تكن بيانات المسح Survey محوسبة. إلا أنها حوسبت فيما بعد في منتصف الثمانينيات في المشروع اللاحق لهذا المشروع، وهو مشروع كويرك وقرينباوم، المعروف باسم المدونة العالمية للغة الإنجليزية International Corpus of English (ICE) (http://www.ucl.ac.uk/ english-usage/ice /).

لقد كان مسح كويرك بيانات منطوقة ومكتوبة مضمومة معا. وكان يتضمن ٥٠٠ ألف كلمة من الإنجليزية المنطوقة، من بين مليون كلمة، وهو المجموع الكلي للكلمات. والمحتوى المنطوق هو ما خزن أولا على الحاسوب، من قبل جان سفارتفيك، وأصبح في أواخر السبعينيات مدونة لندن ـ لُند London Lund Corpus. وقد نسخت بطريقة مفصلة بالكثير من المعلومات الأصواتية phonological، وحتى الصوتية phonetic. وأصبحت أول مدونة منطوقة متاحة للاستعمال على نطاق واسع، ونشرت في كتاب رغم تعذر الحصول على نسختها الصوتية (سفارتفيك ١٩٩٠).

ويهتم المسح في الغالب بالقواعد اللغوية، وليس بالمعنى. غير أنه كان أحد المشاريع النادرة التي تعمل على البيانات التجريبية. وبسبب انتشار نموذج تشومسكي، تزايدت في الستينيات صعوبة تقبل هذا النوع من الأبحاث اللغوية الموجه بالبيانات. وكان المسح هو العمل الاستثنائي في بريطانيا آنذاك. وفي وقت لاحق في السبعينيات، كان من المقرر أن يتناول هذا النوع من الأبحاث عدد من اللغويين الاسكندنافيين، ومعظمهم في بيرقن، ولُند، وأوسلو.

أما المشروع الثاني الموجه بالبيانات في الستينيات، فقد كان مدونة براون Brown Corpus التي سميت باسم جامعة براون في بروفيدنس بولاية رود آيلاند. حيث جُمعت من قبل نيلسون فرانسيس، وهنري كوسيرا، وتتضمن مليون كلمة، ضُمت في عينات من ٢٠٠٠ كلمة، أخذت من ٥٠٠ نص أمريكي، مصنف إلى ١٥ مجالا من النصوص، كما تصنفها مكتبة الكونجرس. وكانت المدونة منظمة تنظيما دقيقا، وسهلة الاستعمال جدا، ومصححة، حتى بدت خالية من الأخطاء تماما. ونظير هذه المدونة، المدونة الإنجليزية البريطانية. وهي مدونة لانكستر ـ أوسلو\بيرقن LOB (Lancaster-Oslo/Bergen) التي ظهرت في السبعينيات (يوهانسون وآخرون ١٩٧٨). وقد وسمت المدونتان فيما بعد بأقسام الكلام يدويا. وفيما كان يؤمل منهما بِدْءًا، أن يجيبا عن الأسئلة المتعلقة بالقواعد والمعجم معا، سرعان ما أدركوا أن مليون كلمة، لا يمكن أن تحتوي إلا على قدر ضئيل جدا من مجموع المفردات الكلي. وبعد أن جمعت مدونة براون ودققت، بدا أن اللغويين ـ على الأقل في أمريكا ـ فقدوا الاهتمام بها. فلم تعد تلعب دورا في اللسانيات عبر الأطلسية، ولو أنها صارت موردا شائعا للغويات الأوروبية. لقد اُستثمرت مدونة LOB في دراسات المدونات التي تلتها، لأغراض البحث في القواعد اللغوية، والأهم أبحاث شيوع الكلمات، وليس في البحث في المعاني. وكان ذلك يحدث في الغالب، بالتعاون بين العلماء البريطانيين، والاسكندنافيين، بما فيهم جيفري ليتش، وكنوت هوفلاند، وستيج يوهانسون.

ويبدو أن نيلسون فرانسيس، هو أول من أطلق مصطلح مدونة على مجموعة النصوص الإلكترونية. ويوثق جون سنكلير الكيفية التي نشأ بها الاستعمال الجديد:

> هناك قصة يرويها سفارتفيك عنه [نيلسون فرانسيس]، وهو قادم من لندن، ومعه شريط ممغنط، يحتوي على مدونة براون، أو جزء منها، لمقابلة راندلوف كويرك في منتصف الستينيات. ألقى نيلسون على مكتب كويرك

هذا المحمول الكبير، والثقيل ـ كما كانت الأشرطة آنذاك ـ ، وقال: 'Habeas corpus'. كما يستعمل فرانسيس أيضا corpus في عنوان مجموعته النصية، أي مدونة جامعة براون Brown University Corpus، كما يشار إليها في تقرير OSTI.

(مقابلة مع جون سنكلير في كريشنامورثي، ٢٠٠٤)

أما المشروع الثالث والأهم، فهو المشروع الأحدث (الدراسات المعجمية الإنجليزية English Lexical Studies) الذي بدأ في أدنبرة عام ١٩٦٣م، واكتمل في برمنقهام. وكان الباحث الرئيس فيه جون سنكلير، وهو أول من استعمل المدونة للبحوث المعجمية تحديدا، وأول من اهتم بالمفهوم الحديث للتلازم اللفظي، الذي بدأ به في الثلاثينيات هارولد بالمر وإيه. إس. هورنبي، في تقريرهما المرحلي الثاني حول المتلازمات اللفظية Second Interim Report on English Collocations (١٩٩٣)، ثم تناوله جيه. آر. فيرث في ورقته العلمية الموسومة بـ «Modes of meaning [أنساق المعنى]» (فيرث ١٩٥٧). وقد بحث هذا المشروع في المعنى، المتعلق بالوحدات المعجمية lexical items ـ المصطلح الذي يتضمن المتلازمات اللفظية ـ بالاعتماد على عينة نصية إلكترونية من النصوص المنطوقة والمكتوبة القليلة جدا، والتي لا يصل حجمها إلى مليون كلمة. ووزع تقرير جون سنكلير النهائي «[الدراسات المعجمية الإنجليزية] English Lexical Studies» (غالبا ما يشار إليه بتقرير OSTI) في السبعينيات، بأعداد قليلة جدا من النسخ المطبوعة. وكثيرا ما كان يذكر في الدراسات اللاحقة، لكنه نشر مؤخرا، ولأول مرة من قبل مطابع جامعة برمنقهام (كريشنامورثي ٢٠٠٤). وفي ذلك الحين، لم يكن سنكلير قد تخلى تماما عن مفهوم الكلمة بوصفها وحدة معنى، لكنه كان حريصا على إحداث التغيير في النظرة التقليدية للكلمة، بوصفها وحدة أساسية. وفيما استقرى المشاركون في المشروع العلاقة بين الكلمة ووحدة

المعنى، لم يكن هناك اعتبار واضح بأن تكون الوحدة الدلالية، وحدة متعددة الكلمات multi-word unit مع تنوعاتها الدلالية، حسب العبارات. ومع ذلك، كانت نقطة انطلاقة.

ومن المؤسف أن البحث في المعنى اختفى تماما من أجندة أبحاث المدونة المبنية حديثا في السبعينيات، والثمانينيات، وحتى التسعينيات. وهذا ليس كما يبدو غريبا. ففي نهاية المطاف، كشف جمع المدونات ـ وخصوصا المدونات الضخمة ـ عن العديد من المشكلات التي غالبا ما كانت مشكلات فنية، فضلا عن مسألة التمثيلية التي لم تزل حاضرة. فهل يوجد مدونة يمكن أن يقال عنها إنها مدونة تمثل الخطاب؟ وهل من الممكن تحديد أنواع النصوص، والمجالات، أو الأوعية، بوجه عام؟ وهل يوجد تعليمات وصفية لبناء ما كان يعرف بالمدونة المرجعية reference corpus؟ وما مدى أهمية الحجم؟ وما دور المدونات الخاصة؟

وقد أصبح التقييس standardisation أيضا قضية ذات أهمية كبرى في الثمانينيات والتسعينيات. فكيف ترمز المدونة؟ وهل يسمح بأن تضاف للمدونة معلومات خارجية في صورة تحشية annotation، أو توسيم tagging؟ وهل يمكن أن يكون هناك مجموعة وسوم tag-set عامة لجميع اللغات؟ ألا يعني استعمال مدونة موسمة، أنك تستخلص منها ما قد أضفته إليها فقط، ومن ثم تثبت الأخطاء المحتمل وقوعها فيما أضفته؟

ثم إن هناك مسألة الشيوع. فمع المدونات كان من الممكن ـ لأول مرة ـ التوصل إلى قوائم الكلمات الأكثر شيوعا، والتي تمثل المفردات الأساسية. فقد أمكن حساب كل شيء ومقارنته، كأبنية المتممات الفعلية، أو توزيع الضمائر الموصولة على اختلافها، أو مواضع المخصِّصات الوصفية في العبارات الاسمية، في أواخر اللغة الإنجليزية الوسطى. وما زال تنوع السجل اللغوي register variation في مختلف

الإنجليزيات موضوعا مدروسا في العديد من الدراسات المدوناتية. ويمكن أن تفيد معلوماتُ الشيوع القواعدَ النحوية. فقد أصبح بوسعنا البحث في العلاقة بين الحالات النادرة، ونقص الكفاية اللغوية، لما يمكن للمرء أن يقوله، وما كان يقوله. وبهذا الإطار، تستعمل بيانات الشيوع لمراجعة رؤيتنا حول تركيب الجملة.

وإذا نظرنا في أوراق المؤتمر الدولي الثالث عشر، والمؤتمر الرابع عشر لأبحاث اللغة الإنجليزية في المدونات المحوسبة (آرتز وآخرون ١٩٩٢؛ فرايز وآخرون ١٩٩٣) المنظم من قبل رابطة ICAME الفريدة، كانت تلك الموضوعات هي التي نشرت فيهما. لقد تناولت الأوراق العلمية بناء المدونات مع مسائل تصميمها، وتحشيتها، وتنوعاتها اللغوية، وتقنيات تحليلها. ومن بين ٣٨ ورقة علمية قدمت في المؤتمرين، يوجد أربع أو خمس أوراق علمية تركز على وجوه التلازم في اللغة، وواحدة فقط تناولت القضايا الدلالية. وهي ورقة ويليم ميجس المعنونة بـ (Analysing nominal compounds with the help of a computerised lexical knowledge system تحليل المركبات الاسمية بمساعدة نظام معرفي معجمي محوسب). فهنا نقف أيضا على القليل مما يتعلق باستخلاص المعاني من المدونات، والكثير مما يتعلق بإسناد الخصائص الدلالية المحددة سابقا من أنطولوجيا تصورية للمتلازمات اللفظية الموجودة في المدونة.

وليس من الغريب أن يتحدث التقرير النهائي لمشروع المفوضية الأوروبية ١٩٩١/ ٩٢ (نحو شبكة من المدونات المرجعية الأوروبية) ـ المنشور مؤخرا في ١٩٩٥ ـ عن احتياجات المستعملين، ومعايير تصميم المدونات، والترميز، والتوسيم، بل واستخلاص المعرفة. ولكن لم يتطرق للمعنى، بوصفه أحد المحاور الممكنة في مجال البحث المدوناتي (كالزولاري وآخرون ١٩٩٥). وحتى المداخل في لسانيات المدونات التي ظهرت في التسعينيات، لم تتطرق ـ إلا قليلا ـ لدراسة المعنى الموجهة

بالمدونات. ولعل توني مكنري، وأندرو ويلسون (مكنري وويلسون ١٩٩٦) مثالان على ذلك. حيث خصصا من كتابهم أربعين صفحة للترميز، وعشرين صفحة للتحليل الكمي، وخمسا وعشرين صفحة لوصف فائدة بيانات المدونات في اللسانيات الحاسوبية. وغطت ثلاثون صفحة استعمال المدونات في الدراسات المتعلقة بالكلام، والمعجم، والقواعد، والنحو، والدلالة، والتداولية، وتحليل الخطاب، واللغويات الاجتماعية، والأسلوبية، وتعليم اللغة، والتاريخ اللغوي، وعلم اللهجات، والتنوع اللغوي، واللسانيات النفسية، والأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم النفس الاجتماعي. أما العشرون صفحة الأخيرة، فهي تقدم دراسة حالة، تتعلق باللغات الفرعية، مع الخاتمة. وفي مقدمة جريم كينيدي للسانيات المدونات (كنيدي ١٩٩٨)، خصص ثلاثين صفحة من ثلاثمائة صفحة «للوصف المعجمي lexical description»، بما في ذلك اثنتي عشرة صفحة للتلازم اللفظي. وليس من المستغرب أن يبدو وصف كينيدي المعجمي مرادفا تقريبا لمعلومات الشيوع. ففي كتاب دوغلاس بيبر، وسوزان كونراد، وراندي ريبين (لسانيات المدونات: البحث في بنية واستعمال اللغة Corpus Linguistics: Investigating Language Structure and Use) (أيضا ١٩٩٨) ذي الحجم القريب من الكتاب السابق، خُصصت ثلاثون صفحة تقريبا مرة أخرى «لعلم المعجم». وقد تناولوا سؤالين رئيسين هما: ما مدى شيوع الكلمات على اختلافها؟ وما مدى شيوع المعاني المختلفة لكلمة معينة؟ (بيبر وآخرون ١٩٩٨، ص ٢١). وهذا يشابه تحليل الشيوع الذي يتوازى مع الاعتقاد بأن دلالات الكلمة، هي نوعا ما خطاب خارجي، يمكن أن يسند للوحدات المعجمية. لكنهم ـ على الأقل ـ يتحدثون في صفحتين عن أهمية السياق في تحديد الدلالات. وقد خصصوا باقي المبحث للبحث في توزيع كلمة deal، بدلالاتها المختلفة على مستوى الأساليب اللغوية registers المتعلقة بالأوعية genres النصية المختلفة. وفي ظل غياب مدخل يتناول بوضوح

قضايا المعنى، يأتي جون سنكلير بمنشوره Corpus Collocation Concordance المدونة، والتلازم اللفظي، والمكشاف السياقي) (١٩٩١)، ليسد هذه الفجوة، إلى أن نشر مايكل ستابس (Words and Phrases: Corpus Studies of Lexical Semantics الكلمات والعبارات: الدراسات المدوناتية للدلالات المعجمية) عام ٢٠٠١.

ومع ذلك، كان هناك مشروع معجمي قائم على مدونة كبرى، وهو مشروع قاموس Collins Cobuild للغة الإنجليزية، الذي خطط له، وصمم في منتصف السبعينيات، ونشر في ١٩٨٧ بتوجيه من جون سنكلير. وقد أشير إلى قصة هذا المشروع في (Looking Up: An Account of the Cobuild Project in Lexical Computing البحث في أهمية مشروع Cobuild في الدراسات المعجمية) المنشور أيضا عام ١٩٨٧. لقد كان هذا القاموس أول قاموس لغوي عام، مبني بالاعتماد على مدونة فقط. ولذلك، كان من اللازم أن يكون حجم المدونة كبيرا، بحيث تُضمن كل الوحدات المعجمية lemmas، وكل دلالاتها التي أسندت لها، في هذا القاموس. وكانت النتيجة أن الكلمات النادرة على نحو: apo(ph)thegm [قول مأثور] لم تكن في هذا القاموس؛ لأنها لم تكن في المدونة. ومع ذلك، لم يستعمل صناع المعاجم معلومات المدونة، لتقسيم معنى الكلمة إلى دلالاتها، باستثناء الحالات المشكوك فيها. وبدلا من ذلك، استعملت المدونة؛ للتحقق من صحة قرارات صناع المعاجم في المقام الأول، وتوفير الأمثلة. ولم يتسن إنجاز المزيد من العمل مع هذه المدونة المكونة من ١٨,٣ مليون كلمة (Birmingham Collection of English Text مجموعة برمنقهام للنصوص الإنجليزية)، ومن ثم مدونة الإنجليزية العامة الأكبر في العالم. ومن منظورنا اليوم، لم تنل المتلازمات اللفظية الاهتمام الذي يجب أن تحظى به. ولم تكن قواميس المتلازمات اللفظية تلقى اهتماما من ناشري المعاجم. إن قاموس Cobuild ما يزال فريدا من نواح متعددة. وفيما شجع صناع المعاجم على

تضمين المزيد من الشواهد المدوناتية، إلا أنه لا يوجد حتى الآن قاموس آخر، يعتمد حصرا على مدونة.

وتميز إيلينا توقنيني ـ بونيلي بين الأسلوب القائم على المدونات corpus-based والأسلوب الموجه بالمدونات corpus-driven (إيلينا توقنيني ـ بونيلي ٢٠٠١). فالقرارات اللغوية (بما في ذلك محتوى القواميس) قائمة على المدونات، إذا بُحث عن صحة كل ما يقال عن طريق شواهد المدونة. وتكون القرارات اللغوية موجهة بالمدونات، إذا كانت القرارات مستخلصة من المدونة، بالانطلاق من منهج لسانيات المدونات، ومن ثم تعالج بالتحليل وتحول إلى نتائج. وهذا فارق مهم. فالأسلوب القائم على المدونات، سيقدم نتائج في إطار اللغويات المعيارية فقط. ويمكن أن يظهر أن أحد المعاني الخمسة التي تدرج بالعادة لكلمة friendly ليست واردة في المدونة إطلاقا. وأنه بالإضافة إلى المعاني الخمسة، يوجد استعمال آخر أهملته القواميس الأخرى. ولن يبين هذا الأسلوب أنه يمكنك فك معظم الغموض بتحديد متصاحبات friendly، وجعل تلك المتلازمات اللفظية موادك المعجمية lemmas. فإذا كانت لسانيات المدونات ستكمل اللسانيات المعيارية فعلا بدلا من توسيعها، فلا بد أن تتبع الأسلوب الموجه بالمدونات، وليس الأسلوب القائم على المدونات. وهذا ما نسعى لتوضيحه في الفصل التالي.

٢ ـ اتجاهات في لسانيات المدونات

وولفقانق تيوبيرت، وآنا شيرماكوفا

ملخص الفصل:

٢-١ اللغة، والتمثيلية

٢-٢ تصنيف المدونات

٢-٣ المعنى في الخطاب

٢-٤ المعنى استعمالا، وصياغة

٢-٥ Globalization [العولمة]

٢-٦ ما الذي يتكشف لنا عن معاني الكلمات من لسانيات المدونات

٢-٧ المتلازمات اللفظية، والترجمة، والمدونات المتوازية

٢-٨ الخاتمة: من المعنى إلى الفهم

٢-١ اللغة والتمثيلية

لقد كان بناء المدونة موضوع يشغل اللسانيين، منذ أن شرعوا في استعمال المدونات. فلا بد أن تمثل المدونة الخطاب، أو جزء منه يحدد مسبقا. وقد كان ما مثلته مدونة براون، هو اللغة الإنجليزية المطبوعة عام ١٩٦١، كما صنفت من قبل مكتبة الكونقرس. وفي هذه المدونة، أسند كل منشور لصنف واحد من أصناف المحتوى الخمسة عشر. ويمثل هذا الخطاب فهرس منشورات عام ١٩٦١، كما يكشف لنا عدد النصوص المنشورة في كل صنف. وقد أفيد من هذه الأرقام في اختيار النصوص. فمن كل نص من النصوص الـ ٥٠٠ التي اختيرت، أخذت عينة من ٢٠٠٠ كلمة فقط، وضمت إلى المدونة. ويمكن إعمال عملية الاختيار إجرائيا، وتحويلها إلى تعليمات واضحة، لا لبس فيها ـ ومن ثم ـ تكون موضوعية. ولكن، هل المدونة مُمثِّلة؟

إنها تمثل بأسلوب غير دقيق تماما فهرس مكتبة الكونقرس. فلغة المدونة، لم تمثل الخطاب الذي يشكل كل المنشورات الأمريكية المطبوعة عام ١٩٦١. ويمكن القول بأن الأصناف الخمسة عشر، التي قسمت حسبها مدخلات فهرس مكتبة الكونقرس، محل جدل. فيمكن أن تزيد وتنقص، وبحقول موضوعية مختلفة تماما. فقبل بضعة قرون، كان يمكن أن يكون هناك صنف للكيمياء وآخر لعلم التنجيم، ولا يمكن أن يخصص للاقتصاد صنف. إن أهواء الناس تتغير. وبالاعتماد على عدد، ومحتوى تلك الأصناف الأساسية، من الممكن أن نخرج تماما باختيارات مختلفة تماما لنصوص مدونتنا، وهو كاختيار مدونة براون الذي كان موضوعيا من كل النواحي.

ثم إن هناك تساؤلات حول جمهور القراء. ففي أي فهرس، للصحيفة ذات الملايين من النسخ مدخل، كما للكتاب المطبوع في ١٢٠ نسخة مدخل. ولكن هل عدد القراء مهم؟ وما الذي يحدد فعلاً أهمية النص: هل هو من كَتَبَه؟ وكم عدد النسخ التي وزعت؟ وكم عدد الأشخاص الذين قرؤوها؟ وهل من الأصح أن تُضمّن النصوص المنشورة والمطبوعة فقط، ومن ثم استبعاد ما يشكل أكثر من ٩٠٪ من مجموع الخطاب في أي سنة، أي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ : المحادثات غير الرسمية داخل الأسرة، والمحادثات في المدارس والحانات والمقاهي والنوادي ومع الأصدقاء في النزهات وفي أماكن العمل، والرسائل التي نستقبلها، والإعلانات التي نقرؤها، والتقارير والمحاضر والمذكرات التي نجدها على مكاتبنا.

وثمة أسئلة أعم. هل النصوص الإنجليزية المنشورة خارج الولايات المتحدة الأمريكية ـ لكنها موجودة على رفوف مكتبة الكونقرس ـ هي جزء من الخطاب الأمريكي؟ وماذا عن الكتب التي نشرها الأميركيون الذين يعيشون خارج الولايات المتحدة الأمريكية؟ وهل تشمل الإنجليزية الأمريكية ـ على سبيل المثال ـ اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها المهاجرون في الولايات المتحدة الأمريكية، أو لغة أهالي بورتوريكو؟ فما هو الخطاب بالضبط؟

إن اللغة، والخطاب، عبارة عن جميع أوجه التفاعل اللفظي التي حدثت، وتحدث في المجتمع الذي يُتحدث فيه بهذه اللغة. ونسمي هذا المجتمع مجتمع الخطاب. وقد تكون المجتمعات اللغوية صغيرة. بل إن بعضها صغير جدا إلى حد تصبح فيه لغاتها مهددة بالانقراض، أو قد تكون انقرضت فعلا، كما هو الحال في العديد من اللغات الأورالية (الفنلندية ـ اليوقرية). وهناك (أو كانت هناك) لغات يتحدث بها اثنا عشر شخصا فقط أو حتى أقل من ذلك. فلغة المانكس ـ على سبيل المثال ـ انقرضت قبل بضعة عقود. وقبل نهايتها كان هناك شخص واحد فقط يتحدثها بوصفها (لغة

أم)، ويتحدث بها مع عدد قليل جدا من اللغويين المتخصصين بهذه اللغة الكلتية. أما المجتمعات اللغوية الأخرى فهي كبيرة ومتنوعة، كمجتمع الناطقين باللغة الإنجليزية. فلا يبدو من المناسب من منظور اجتماعي أن نسميها مجتمعات على الإطلاق.

ويشمل مجموع أوجه التفاعل اللفظي في مجتمع لغة معين، اللهجات الفردية، واللهجات الاجتماعية، واللهجات المحلية، والتنوعات الإقليمية، واللغات لأغراض خاصة، ولغة القرن الثامن عشر، واللغة المعاصرة، ولغة الإناث، ولغة الذكور، والعامية، والرطانة، وأنواع أخرى لا حصر لها من اللغة، يمكننا أن نميزها أحيانا.

ولا توجد مجتمعات لغة، ومجتمعات خطاب على هذا النحو. فهي بنى اجتماعية نفسرها بما يلبي ما نحن بصدده. لقد كان معظمنا يظن بأن هناك لغة تسمى الصرب ـ كرواتية حتى انقسام يوغسلافيا القديمة. والآن تتحدث كتب كثيرة عن أن مثل هذه اللغة، لم يكن موجودا أبدا. وأن الصربية والكرواتية لغتان مختلفتان عبر التاريخ. وفي الوقت الحاضر، تسعى الكرواتية للتخلص من الكلمات ذات الأصل الصربي (أو حتى التركي)، واستبدالها بكلمات صيغت حديثا مبنية من المورفيمات الكرواتية «الصرفة». وقبل نصف قرن، استبدلت اللغة المشتركة الهندية الشمالية الهندوسية (لغة الرطانة التي أصبحت هجينا) بالهندية والأردية. وليست هاتان اللغتان في أصلهما سوى لغتين مصطنعتين، كالهندوسية. ولكن اليوم، وبفضل التدخل السياسي الهائل، هما بلا شك وعن استحقاق لغتان طبيعيتان، وغير مفهومتين من الطرفين كثيرا. وعادة، لا يفهم الألمان الألمانية السويسرية المنطوقة، ولكن الاصطلاح هو أنها نفس اللغة. ولا يحتاج السلوفاكيون، ولا التشيكيون، إلى مترجمين شفهيين لفهم بعضهم، ولكن الظروف التاريخية، والسياسية، فرضت فكرة أن السلوفاكية، والتشيكية، لغتان منفصلتان. ولا توجد صيغة تخبرنا عن ماهية اللغة، وما مجتمع اللغة. ولنا أن نصمم صيغتنا بحسب ما يتفق ذلك مع مقاصدنا. فنحن من

يحدد اللغات والمجتمعات اللغوية، وفق خبراتـنا، وحسب ما يبدو لنا أنه نافع في ظروف معينة.

قد تكون مجتمعات الخطاب بنى اجتماعية، لكننا نواجه ذلك باعتباره حقيقة. إن أعضاء أي مجتمع خطاب، يتفاوضون حول من ينتمي إليه، ومن لا ينتمي إليه. وهناك آلاف النصوص التي تخبرنا عن عدد المتحدثين باللغة الإنجليزية، أو الصينية، أو المانكس، بوصف ذلك «حقيقة». فالخطاب نفسه لا يدرك غوره، ومعين لا ينضب، كما لا يمكن استكشافه كله. وربما يمكننا أن نقترب من مسألة التمثيل بسهولة أكثر، إذا تناولناه من الطرف الآخر (من المدونة).

وعلى حد تعبير جون سنكلير (١٩٩١)، أي مدونة هي عبارة عن «مجموعة من النصوص اللغوية الطبيعية المنتقاة، لتوصيف حالة، أو توصيف تنوع لغوي». وكل النصوص عينات، ونماذج من الخطاب. لكن أخذ عينات من الخطاب، قد يعني أمورا مختلفة. فإذا نظرنا إلى الخطاب المتكون من النصوص الإنجليزية المكتوبة، يمكننا ـ إذا اخترنا ذلك ـ أن نقول إن المدونة الممثّلة هي مدونة تعكس تكرارات ونسب جميع الحروف الستة والعشرين، بالإضافة إلى المحارف الخاصة، مثل علامات الترقيم، والمسافات بين الكلمات. فهل هذه هي ما يجب أن نسميها بمدونة ممثلة؟

ولكن، ربما لا نهتم بشيوع الحروف بقدر اهتمامنا بشيوع الكلمات. ولنفترض مجددا أن هناك نصف مليون كلمة باللغة الإنجليزية (العدد لا يهم في الواقع، لأننا لن نتفق على تعريف للكلمة). ستتكرر كثيرا بعض تلك الكلمات، كالكلمات الوظيفية نحو: (a، the ، to ، ... إلخ؛ انظر ١ . ١)، وبعضها سيتكرر أكثر (ولنقل العشرين ألف كلمة، أو نحو ذلك من كلمات المداخل المعجمية التي نجدها في قاموس جيب نموذجي)، والباقي من الكلمات سيكون هو الأقل تكرارا إلى حد ما. وتعد الكلمة الأكثر شيوعا في اللغة الإنجليزية هي أداة التعريف (ال the). وكل الكلمات المائة الأكثر شيوعا في الغالب

هي كلمات وظيفية، كالضمائر، وحروف الجر. ومن بين الكلمات الأكثر شيوعا، لا يوجد سوى عدد قليل جدا من الأسماء، والأفعال، التي يمكن أن يقال إن لها معان خاصة بها، وجميعها يعتريها اللبس، أو الغموض (كلمات على نحو: thing أو set). إن كل الكلمات هي جزء من الخطاب، وجميعها مستعمل على الأقل مرة واحدة، ولكن مهما بلغ كبر حجم عينتنا من الخطاب، فسيفوتنا معظمه. فليس هناك أي استعمال لكلمتي المفضلة apophthegm في بنك الإنجليزية ذي الـ ٤٥٠ مليون كلمة. وهذه صدفة محضة. وهناك من جانب آخر عدد من آلاف الكلمات الأخرى التي لم يسمع بها أحد من قبل، وترد في المدونة مرة واحدة فقط، نحو: abelch, airpad, eurocrisis, keyphone. ويسمى هذا النوع من الكلمات الذي لا يرد له سوى شاهد واحد لفظا فريدا hapax legomenon (تعني بالإغريقية: «وردت مرة واحدة»). وقد تكون بعض هذه الكلمات ناتجة عن أخطاء إملائية، ولكن بعضها قد يكون حقيقيا.

إذن يمكننا أن نقول، مع حديثنا عن شيوع الكلمات، إن المدونة تمثل خطابا؛ لأن الـ ١٠,٠٠٠ كلمة الأكثر شيوعا في الخطاب، هي أيضا الـ ١٠,٠٠٠ كلمة الأكثر شيوعا في المدونة. إن وجود، أو عدم وجود كلمات أقل شيوعا أمر لا يمكن التنبؤ به، كما الأرقام الفائزة في اليانصيب. ولكن حتى لو لم نأخذ في الاعتبار سوى الكلمات الأكثر شيوعا، سنجد أنفسنا في حيرة.

وأيا كانت المنهجية التي ننظر فيها إلى مسألة التمثيلية، فسيلزمنا دوما أن نحدد ما الذي ينبغي أن تمثله مدونتنا. وما دمنا لم نحدد ما هو الخطاب الذي نريد أن نمثله، فإننا لا نعرف ماهية الكلمات الـ ١٠,٠٠٠ الأكثر شيوعا. كما أننا لا نعرف كيفية توزيع المجالات domains المختلفة في الخطاب (كالسياسة، أو البستنة، أو قانون الملكية، أو كرة الركبي). والحال كذلك مع الأوعية genres المعتمدة على التصنيف الخارجي للنص (الكتب غير العلمية ـ لغة الصحف ـ الكتابة الأكاديمية ـ إرشادات استعمال

الأجهزة ـ الشِّعر)، أو أنواع النص المعتمدة على الخصائص الداخلية للنص (تضمنها: ضمير المتكلم المفرد ـ الزمن الماضي ـ صيغة المجهول ـ الاقتباسات ...إلخ)، ومع السجل اللغوي (نحو لغة: رسمية ـ غير رسمية ـ تقنية ـ مهينة ـ مبتذلة).

لقد كانت هناك محاولات عديدة لتعريف الخطاب، ولعل فهرسة مكتبة الكونغرس أحد الأمثلة على تلك المحاولات. وقد ترغب في جمع مدونة تمثل خطاب الإنجليزية الأسترالية في عام ٢٠٠٠. وبما أننا لا يمكن أن نؤمّل في الوصول اليسير إلى النصوص المنطوقة، سنقصر الخطاب على النصوص المكتوبة. ولنستثني الآن أيضا النصوص المكتوبة غير المنشورة. ومن ثم نضيق تعريفنا للخطاب الذي سنجمع له مجموعة من النصوص الإنجليزية المكتوبة، والمنشورة في أستراليا، في تلك السنة المحددة. فهل هذا ما نريده؟ لنفترض أيضا أننا اتفقنا على ما علينا فعله بنصوص الأستراليين المنشورة خارج أستراليا، ونصوص الكتاب الإنجليزيين المنشورة داخل أستراليا، وأننا اتفقنا على علاقة كتابة النصوص (كُتّاب العينة)، بقراءة النصوص (قُرّاء العينة). ما تزال هناك معايير أخرى، مثل: الجنس، والخلفية التعليمية، وعمر الكاتب و/ أو القارئ. وبالنسبة لبلد مثل أستراليا، ربما يهتم بعض اللغويين بالخلفيات العرقية لكتاب/ لقراء النصوص أيضا. تلك هي المحددات التي تحدد مجتمع الخطاب، وليس الخطاب. فهل هذه المحددات ينبغي أن نهتم بها؟

على أية حال، ليس هناك ما يسوغ لنا الادعاء بأن مدونة معينة مدونة ممثلة للخطاب، إذا كان لدينا ـ من حيث المبدأ على الأقل ـ إمكانية للوصول إلى جميع النصوص التي يتألف منها الخطاب ـ بيد أننا قد حددناها ـ. وبذلك وحده سيكون لدينا كل المعلومات المتعلقة بالمحددات المذكورة سابقا، وعلى إثر ذلك فقط سنتمكن من التأكد من أن المدونة التي نجمعها بوصفها عينة من هذا الخطاب، هي مدونة ممثلة ـ على الأقل فيما يتعلق بالمحددات المذكورة أعلاه ـ.

ولكن إذا تحققت هذه المثالية، فسيكون بوسعنا العمل جيدا من غير المدونة. حيث إن الخطاب كله في حوزتنا، ولن نحتاج لعينة، ولا للعمل مع عينة، إذ يمكننا العمل مع الخطاب بأكمله. ولربما نتمكن خلال عقد أو عقدين من الزمن من الاطلاع على جميع النصوص المكتوبة المنشورة في أستراليا في سنة معينة. ولكنه من المفترض ألا نتمكن أبدا من حصر كل النصوص المنطوقة والمكتوبة في الخطاب الأسترالي في سنة معينة. ولذلك ليس من المنطق أن نتحدث عن التمثيلية.

٢-٢ تصنيف المدونات

٢-٢-١ المدونة المرجعية reference

إن هذا ليس ما نعنيه أبدا عندما يكون الحديث عن تمثيل مدونة للإنجليزية البريطانية، أو الأسترالية، أو الأمريكية. ولحسن الحظ أن مجتمعات الخطاب تلك ناقشت بإسهاب ما تعنيه بالإنجليزية القياسية. وثمة اتفاق تام تقريبا على نوع الإنجليزية التي ينبغي أن تدرس للأجانب. وبطبيعة الحال، تغيرت تلك المواقف على مر التاريخ. فقبل قرن من الزمان، كانت اللغات تدرس غالبا بالاعتماد على الأدب «الجيد»، بما في ذلك الروايات، والكتب العلمية، المتعلقة ببعض الموضوعات الثقافية، والتاريخية. واليوم، نرى أنه لا بد أن يتضمن السجل اللغوي الذي سيدرّس، اللغة المنطوقة التي تستعملها الطبقات الوسطى المتعلمة. وهذه ليست الشريحة الأكبر في المجتمع، لكنها في نظر مجتمع الخطاب، الأكثر بروزا أو أهمية. ويمكننا أن نحدد أيضا الحمل القرائي السنوي الخاص بمواطني الطبقة الوسطى المتعلمة بوصفه الإنجليزية القياسية. وقد يكون النصيب الأكبر منها للصحف ذات الحجم الكبير، وتكون الحصة الأصغر من الصحف الشعبية التي قد تصل إلى ٥٠ بالمائة من المجموع، وربما ١٠ بالمائة أخرى تتألف من الدوريات الأسبوعية والشهرية التي نشترك فيها، و٢٥ بالمائة تتألف

من الكتب غير العلمية التي نقرؤها خلال السنة، والـ ١٥ بالمائة المتبقية خليط متنوع من الكتيبات، والنشرات التعليمية، والمواد المطبوعة المختلفة، التي نقع عليها من النماذج الضريبية، وفواتير الهاتف، إلى الكتيبات السياحية، والبرامج المسرحية. ونستطيع أن نضمن ـ بالتناسب ـ أدب الطفل. كما أنه لا يوجد سبب مقنع لاستبعاد الحمل القرائي المهني لدينا، ولكن العديد من الناس ـ بما فيهم العديد من اللغويين ـ يعتقدون أن هذه النصوص متنوعة جدا، وبعيدة جدا عما نقرأ عادة، إذ لا نتقاسم معها أي خلفيات مشتركة. فليست ـ على سبيل المثال ـ لغة المجلات الطبية، أو لغة كتيبات صيانة الطائرات، أو لغة اللوائح الجمركية، جزءا من ذخيرتي اللغوية. ومن ثم فإن مدونتنا تتكون مما اتفق عليه أعضاء مجتمع الخطاب في أن يمثل الإنجليزية القياسية (البريطانية أو الأسترالية أو الأمريكية). وللأسباب التي نوقشت أعلاه، لا ينبغي أن نطلق على مدونة تمثل مثل هذا المعيار المقبول اجتماعيا مدونة ممثلة. ويفضل لسانيو المدونات في الوقت الحالي أن يطلقوا على مثل هذه المدونة، اسم «مدونة مرجعية».

ويتطلع لسانيو المدونات اليوم إلى مدونة مرجعية للغة الوطنية، تضم ما بين ٥٠ و٥٠٠ مليون كلمة، إن لم يكن أكثر من ذلك. وتوجد بالفعل مدونات مرجعية بهذا الحجم (أو أكبر)، أو تحت الإنشاء لما يقارب الخمسة والعشرين لغة. فبالنسبة للألمانية، توجد مدونة معهد اللغة الألمانية IDS (Institut fur Deutsche Sprache) التي تضم أكثر من بليون كلمة. وهناك مدونة سبراكبانكين السويدية Språkbanken Swedish corpus التي تحوي ٧٥ مليون كلمة، وكذلك المدونة الوطنية التشيكية Czech National Corpus من ١٠٠ مليون كلمة. كما توجد مدونتان مرجعيتان كبيرتان للغة الإنجليزية، هما: المدونة البريطانية الوطنية المكونة من ١٠٠ مليون كلمة، وبنك اللغة الإنجليزية ذو الـ ٤٥٠ مليون كلمة. وتعد المدونات المرجعية للُّغات المختلقة متشابهة comparable، إذا كانت متقاربة في الحجم، وكان تكوينها متماثلا

في الأوعية و/ أو المحددات الأخرى. فمدونات PAROLE لجميع لغات الاتحاد الأوروبي الرسمية ـ على سبيل المثال ـ هي مدونات متشابهة بهذا المعنى، ولكن ـ حسب معايير اليوم ـ هي صغيرة إلى حد ما، إذا لا تزيد على ٢٠ مليون كلمة في كل لغة.

وتستعمل المدونات المرجعية لأغراض عديدة، وتتضمن المفردات القياسية للغة. إنها المورد الرئيس للسانيي المدونات، لمعرفة المزيد من المعاني. وإذا كان حجمها كافيا، ستكشف عن السياقات التي عادة ما تضمن الكلمات فيها، والسياقات التي تتصاحب فيها الكلمات مع كلمات أخرى، لتشكل المتلازمات اللفظية. ويمكننا في مدونات من هذا الحجم فقط، أن نكشف عن تلك الوحدات من المعنى، الأكثر وضوحا من الكلمات المفردة، مع ما يعتـريها من غموض ولبس. ونحن نحتاج المدونات المرجعية ـ ويفضل الأكبر حجما ـ للبحث في الدلالات المعجمية. وستمثل المدونة المرجعية النموذجية ما يوافق عليه مجتمع الخطاب بأن يكون المادة القرائية للعضو المتعلم ـ نوعا ما ـ من الطبقة الوسطى خارج العمل، وغالبا ما يكون مطبوعا، ولكن بالكتابة اليدوية، أو الآلية. ولا بد أن تتضمن المدونة المرجعية ـ من حيث المبدأ على الأقل ـ عينة مما سيسمعونه في المحادثات، وفي المناسبات الاجتماعية الرسمية، ومن الإذاعة. إنها موضحة بدقة، وذات بنية مدروسة. ولعل المدونة البريطانية الوطنية ذات الـ١٠٠ مليون كلمة والمجموعة في أوائل التسعينيات خير مثال على ذلك (http://www.hcu.ox.ac.uk/BNC/).

ومع ذلك، تخدم المدونة المرجعية غرضا آخر أيضا، حيث يمكن أن تستعمل كمعيار مرجعي للمدونات المتخصصة. فإذا كنا لا نرغب البحث في اللغة المعيارية شموليا، ونسعى للبحث في ظاهرة لغوية خاصة، فإنه عادة ما ينبغي أن نجمع مدونة تتلاءم مع دائرة بحثنا، ومثل هذه المدونة يطلق عليها المدونة المتخصصة. وتكون المدونة المتخصصة أحيانا صغيرة الحجم جدا بحيث لا تتجاوز المليون كلمة،

وأحيانا قد تكون أكبر. دعونا نفترض قليلا أننا نسعى للبحث عن المتلازمة اللفظية friendly fire [نيران صديقة]. أسئلتنا البحثية ستكون: إلى أي مدى يتسارع انتشار هذا اللفظ المستحدث بعد أول استعمال له في عام ١٩٧٦؟ وكيف يصاغ؟ وهل يدرك الناس السخرية الكامنة فيه؟ هل هناك استعمالات مختلفة له؟ هل يرد عند الحديث فقط في المجال العسكري، أم أن هناك مجالات أخرى قد نستعمله فيها الآن؟ متى ازداد استعمال هذا التعبير في اللغة الإنجليزية البريطانية؟ ماذا كانت تعني friendly fire قبل أن تصبح مسكوكة؟ ما الذي حدث للكلمة؟ فإذا كانت مجموعة الأسئلة هذه، هي ما نريد الإجابة عنه، فلا بد أن نجمع مدونة مناسبة. ولا بد أن تتضمن نصوصا من عام ١٩٧٦، وما بعده. وحتى نعرف التكرارات على مدى فترات زمنية أطول، لا بد أن ننشئ مدونات فرعية subcorpora لأطوار مختلفة، ولنقل لـ ١٩٧٦–٨ و١٩٨٠ و١٩٨٥ و١٩٩٠ و٢٠٠٠. ولا بد أن تكون تلك المدونات الفرعية متطابقة في الحجم، والبنية، بحيث يكون من المنطقي مقارنة تكراراتها. وأسهل الطرق للوصول لمثل تلك المجموعة من المدونات الفرعية، هو التوجه للصحف. ولذا ربما يكون علينا أن نتوجه للصحف: USA Today – Washington Post – Los Angeles Times – Springfield Examiner – Intelligencer Burlington، وتحديدا للسنوات التي قررنا النظر فيها. فأين نجد هذه الصحف، وملفاتها النصية؟ إن بعض الصحف تنشر نصوصها كل عام على أقراص ضوئية، تصدر سنويا ويمكن أن تبتاع. وفي أحوال أخرى، قد تضطر إلى الاتصال بالناشر، وإذا لم تحصل على الصحيفة يجب أن تجد بديلا مناسبا. فلا بد أن نبحث عن بنوك البيانات الموجودة على الإنترنت، والمتضمنة هذا النوع من المحتوى. لكن هل نحتاج كامل الصحيفة؟ يمكننا في الواقع أن نقلل من حجم المدونة، باختيار المواد التي يرد فيها التعبير. أم يجب أن نأخذ الجمل التي تتضمن friendly fire فقط؟ من الأفضل ألا نأخذ الجمل فقط؛ لأنه من الممكن العثور على المعلومات الدلالية ذات الصلة، في سياق أوسع من الجمل التي ورد فيها التعبير.

وهل يمكننا استبعاد بعض الأقسام، كقسم الرياضة؟ ليس كذلك، إن كان التعبير موجود فيه. إن علينا بعد ذلك أن نجمع مدونة متشابهة جدا من الصحف البريطانية؛ لنتمكن من إيجاد أوجه التشابه والاختلاف. وإذا ما تضمنت مدونتنا البريطانية صحيفة Times اللندنية، بتاريخ ٢، نوفمبر، ٢٠٠١ فسنجد الاقتباس التالي:

Blair's war effort is put under *friendly fire*. Labour rebels, disgruntled backbenchers, forced the first Commons vote on the conflict in Afghanistan.

[تتعرض جهود بلير الحربية *لنيران صديقة*. فقد أجبر متمردو حزب العمال (أعضاء البرلمان المتعصبون) مجلس العموم الأول على التصويت للصراع في أفغانستان.]

ويعرفنا هذا الاقتباس بعدد من الأشياء. أولا، أن friendly fire تستعمل في الإنجليزية البريطانية. وثانيا، التعبير يستعمل أيضا في المجال السياسي. وثالثا، وجود استعمال مجازي له خارج المجال العسكري، فأعضاء البرلمان لا يستعملون البندقية، ولا الصواريخ، بل يستعملون حقهم في التصويت. ورابعا، وجود فارق دلالي مع الاستعارة، فهذه النار الصديقة، لم تعد طارئة بل متعمدة.

ولا توجد صفة قياسية لبناء مدونة متخصصة. وكل ما علينا القيام به هو أن نصوغ مجموعة من الفرضيات التي ستوجهنا في تحديد المدونة المتخصصة التي نحتاجها. وقد يتبن لنا في سياق استقصائنا، أن فرضياتنا لا بد من تعديلها. وهذا قد يعني أنه قد يصبح توسيع مدونتنا ضرورة، ومن المتاح دوما أن يضاف إليها. فالمدونات ليست مُنزّلة. إنها من وضع لسانيي المدونات، ويمكن أن يتعاملوا معها بكل ما يرونه مقبولا.

وتعد المدونة الناهزة opportunistic (أو الآكلة cannibalistic) بديلا للمدونة المرجعية. ولا تدّعي المدونة الناهزة أنها تمثل لغة، أو تعكس خطابا. إنها تعتمد

على افتراض أن كل مدونة غير متوازنة. وبمجرد تسليمنا بأن المدونات غير متوازنة بطبيعتها، فإننا أحرار في معالجة إشكالية التمثيل أو التوازن من زاوية مختلفة. هذه النظرة الحديثة، فصلت فصلا قاطعا بين جمع المدونة وتطبيقها. وتأتي المدونة الناهزة نتيجة لجمع كل ما تقع عليه أيدينا من مدونات. وستكون كل تلك المدونات تقريبا مدونات متخصصة، ولكن قد يكون هناك عدد قليل من المدونات التي ستظل محتفظة بمسمى مدونة مرجعية. وكلما كانت المدونات الناهزة أكبر، كان ذلك أفضل. غير أن الأفضل أيضا منها، هي تلك التي توثق بأكثر الطرائق شمولية.

ولذلك علينا أولا أن نحدد الأوعية والمجالات وأنواع النصوص، وخلال عملنا على ذلك لا بد أن نضع أمرين في الحسبان. الأول هو المقاصد التي يسعى إلى النظر فيها مستعملو مدونتنا الناهزة. وما هي الأوعية والمجالات وأنواع النصوص التي نوقشت وحللت من قبل اللغويين؟ فلا بد أن يكون ذلك نقطة الانطلاقة لتصنيفنا الخاص. أما الأمر الآخر، فهو نوعية المعلومات التي نسعى للعثور عليها في أي مدونة نود إضافتها لمدونتنا الناهزة. فهل سيكون هناك أي معلومات متعلقة بالوعاء/ المجال/ نوع النص ـ سواء كانت مضمنة في النصوص، أو مرفقة بها ـ يمكن استرجاعها آليا، وتضمينها في ملفات التوثيق؟ هذه مسألة مهمة؛ لأن عملية دمج مدونة جديدة، في مدونة ناهزة موجودة لا بد أن تكون آلية بقدر ما يمكن. وما نحتاجه أيضا، هو أن لكل نص تاريخ للنشر، واسم مؤلف، مع التفاصيل الأخرى المتعلقة به، وعنوان النص، وجميع المعلومات الأخرى التي يرغب الباحث في وضعها في الفهرسة. إن المدونة الناهزة النموذجية هي المدونة التي تقدم هذا النوع من المعلومات لكل نص، في كل المدونات التي تتكون منها.

ومتى ما توفرت مدونة ناهزة ذات حجم كاف، يمكن للأشخاص الراغبين في استعمال المدونات في أبحاثهم الاستعلام عن ملف التوثيق، من أجل تحديد النصوص

التي يرغبون في استعمالها. فالباحث الذي يعمل على مفردات الروايات الفكتورية، سيختار كل الروايات ذات الصلة المتوفرة في المدونة الناهزة، وسيدع الباقي جانبا. وقد يكون هناك مشروع آخر لاستكشاف اللغة الخاصة بالرياضة. وستضم المدونة الناهزة الكثير من المواد الصُّحُفية. ونؤكد أنه من خلال ملف التوثيق المحكم لكل النصوص، سيسهل جدا اختيار النصوص التي نسعى للحصول عليها، أي: الأقسام الرياضية في الصحف، بالإضافة إلى المواد الأخرى التي تنتمي إلى المجال الرياضي. وسنجد أن هناك موضوعات بحثية لا تتوفر لها مدونات ناهزة أساسا. فكلما كانت أكبر حجما، وَسِعَتْ أغراضا بحثية متعددة. ويجب أن يضيف المحتفظون بالمدونات الناهزة أي مدونة متخصصة يقعوا عليها، يمكن أن تكون مفيدة في أعمال بحثية مستقبلية. إن المدونات الناهزة، هي مدونات مفتوحة في الأساس. وتعد مقتنيات معهد مانهايم للغة الألمانية من المدونات التي تتضمن الآن أكثر من بليوني كلمة أكبر مدونة ناهزة حاليا، وما زال نموها يتسارع.

٢- ٢-٢ المدونة الراصدة monitor

المدونة الراصدة عبارة عن مدونة ترصد التغيرات اللغوية. وهي ـ بشكل عام ـ تحدث بانتظام، وغير محدودة الغرض أو الزمن. ولسانيات المدونات تهتم ـ على وجه التحديد ـ بالتغييرات المعجمية، على نحو ما يلي:

- التغير في شيوع الكلمات، أو وحدات المعنى الأخرى (المركبات ـ الوحدات المتعددة الكلمات ـ المتلازمات اللفظية ـ العبارات الاصطلاحية)، وهو ما يشير غالبا إلى حدوث تغيير في المعنى، أو تغيير في المجالات التي تستعمل فيها الكلمات.
- ورود كلمات جديدة.
- ورود وحدات معنى أكبر وأحدث.

• التغيير في ملامح السياق، أي التغيرات في شيوع الكلمات التي تحدث في سياق الكلمات، أو وحدات المعنى الأخرى.

إن أكثر ما يلاحظ في الخطاب هو إدخال كلمات جديدة، ولكن ليس ذلك هو التغيير المعجمي الأكثر شيوعا. فقد أظهرت الدراسات التي أجريت على صحيفة ألمانية (Suddeutsche Zeitung, Munich) أن غالبية السلاسل الحرفية الجديدة التي تكون بين فراغين ـ يعني السلاسل الحرفية التي لم يسبق أن سجلت من قبل ـ هي في المقدمة أخطاء طباعية، ثم أسماء أشخاص ومنظمات ووحدات جغرافية، فاختصارات. أما البقية الباقية القليلة، فهي حوالي خمسة عشر وحدة في اليوم، تضم صيغا غير مسجلة من قبل، ومركبات مخصوصة (تكتب في كلمة واحدة بالألمانية)، وأحيانا كلمات مستحدثة صحيحة.

وينبغي أن تلتزم المدونة الراصدة بنفس البنية الأولى لها بقدر ما يمكن. ومهما بلغت مكوناتها من الصحف والدوريات، فلن يكون ذلك عسيرا. وتميل الصحف إلى تطوير أساليبها الفريدة الخاصة بها، ويتجلى هذا النمط في مفردات محددة. إن مقارنة صحيفة الديلي تلقراف، مع صحيفة القارديان، ستظهر نتائج لا يمكن الاعتماد عليها. فما هو جديد في صحيفة، قد يكون هو الاستعمال الشائع في صحيفة أخرى لفترة طويلة. والمدونة التي لا تضم سوى الصحف والدوريات، لن تكون كافية إلى حد معين، وسنرغب بتضمين الأوعية الأخرى فيها أيضا. ولكن ما الذي سنحققه من توثيق التغيير المعجمي بهذه الاختيارات العشوائية ـ لنقل عشرة كتب من الكتب العلمية، وعشرة كتب من الكتب غير العلمية من كل سنة؟ إن الروايات، فضلا عن كتب العلوم العامة، أو التاريخ، يغلب على محتواها الموضوع الواحد. وكتاب واحد يتعلق بالتنس، من شأنه أن يغير من تكرارات مصطلحات التنس المتعلقة بهذه المدونة الراصدة في هذه السنة، إلى درجة أنها قد تحدث انحرافا إحصائيا في النتائج. وهذا الميل قد يظهر

فقط إذا ما أضفنا مئات الكتب سنويا، لا عشرة كتب فقط. فالحل الوسط، هو أن تضمن صحف مراجعات الكتب، كملحق التايمز الأدبي Times Literary Supplement. والعادة أن مراجعة الكتب، تتضمن المفردات الجديدة التي يحويها الكتاب، ولكن ليس بالحد الذي يحدث الميل في الحسابات التكرارية. ومما يُؤسَف له، أن المدونات الراصدة الكبرى الممثلة لما يوصف باللغة الإنجليزية القياسية غير متوفرة، إلا أن هذا الحال سيتغير خلال السنوات القادمة.

٢-٢- ٣ المدونة المتوازية parallel

تدعى المدونة المتوازية أحيانا مدونة الترجمة، وهي عبارة عن مدونة من نصوص أصلية بلغة ما، مع ترجماتها إلى لغة أخرى (أو عدة لغات أخرى). والمدونات المتوازية المتماثلة مدونات تضم نصوصا أصلية، ونصوصا مترجمة لها بكل اللغات المعنية. وتحتوي أحيانا على ترجمات بلغات مختلفة لنفس النص، ولكن من دون النص باللغة الأصلية. ومثل هذه المدونة، تكشف لنا مدى اختلاف الإنجليزية في النصوص المترجمة، عن الإنجليزية الأصلية. وأحيانا لا يعرف النص الأصلي من النص المترجم، ولا يشك فيه أيضا. فعلى سبيل المثال، لم نُشْعَر بأية لغة صدرت بها الوثائق القانونية التي حررتها المفوضية الأوروبية. لقد كانت غالبا تكتب بالفرنسية، ولكن كُتبت نسختها الأخيرة مؤخرا بالإنجليزية، وقد يحدث أن النسخ التي عُمل عليها سابقا، صيغت بلغات أخرى. وينطبق هذا الأمر على النصوص الصادرة من الفاتيكان. فقد مر وقت طويل على اعتماد اللاتينية لغة أصلية لكتابتها. وكانت اللغات المكتوبة بها، هي الإيطالية، والفرنسية، بل والإنجليزية، والأسبانية، والألمانية، وأضيفت اللاتينية في مرحلة لاحقة. إن هذه المدونات المتوازية، لا يمكن أن تعرفنا بكيفية ترجمة النصوص الفرنسية إلى الإنجليزية، بيد أنها توضح الحالات التي تقابل فيها كلمة travail (أو جمعها travaux) كلمة work [عمل]، وكلمة labour [عمل] أو غيرها من التعبيرات الأخرى.

إن المدونات المتوازية مستودعات لأعمال المترجمين. ويعرف مجتمع المترجمين الذين يترجمون من اللغة أ إلى اللغة ب، والعكس كذلك، الكثير من الترجمات المقابلة أكثر مما يعثر عليه في أي (أو كل) قاموس ثنائي اللغة لتلك اللغتين. بل إن أكبر القواميس الثنائية اللغة، ستعطينا القليل جدا من الترجمات المقابلة التي نعثر عليها في مدونة متوازية ليست ذات حجم صغير جدا. ولأن المبدأ الترتيبي في القواميس المطبوعة ألفبائي، ومعتمد في الغالب على مداخل معجمية مكونة من كلمة واحدة، لا تسجل القواميس الثنائية اللغة وحدات المعنى الأكبر والأكثر تركيبا تسجيلا منهجيا. كما أنها لا تُعرّفنا بالسياقات التي تنتمي لها المقابلات التي تقدمها. وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل القواميس الثنائية اللغة غير مُعينة لنا في الترجمة إلى لغة لسنا على معرفة بها. حيث تترك مستعمل القاموس بين خيارات عديدة، لا يوجد معها أي معلومات تعين على اختيار المقابل المناسب. أما في المدونات المتوازية فيمكننا استخلاص مجموعة أكثر من الترجمات المقابلة المضمنة في سياقاتها، ومن ثم لا لبس فيها. وهذا هو ما يجعل المدونات المتوازية لافتة للاهتمام. فالعمل مع المدونات المتوازية يدعنا بعيدين عن اللبس، ويتيح لنا البدائل التي علينا أن نختار منها. فسوف نحدد وحدات المعاني ذات الدلالة الواحدة، في اللغة الواحدة، ونوجد المقابلات لها في اللغة (ـات) الأخرى. والآن، إذا كان علينا أن نترجم كلمة معينة، سنقارن هذه الكلمة مع الكلمات التي نجدها مصاحبة لها بالكلمات التي تكون في وحدات المعنى التي قد استخلصناها من المدونة المتوازية. وعادة ما يكون أقرب تطابق، هو الترجمة المقابلة الصحيحة.

وفي معظم الحالات، لا بد من تحذية المدونة المتوازية بحيث تقابل كل وحدة في اللغة ترجمتها في اللغة الأخرى. وما زالت الوحدة القياسية للمحاذاة هي الجملة. لقد كانت المدونات المتوازية في بداية الأمر تحذى يدويا بالاعتماد على الجملة.

فليست التحذية مهمة بسيطة. أولا، ليس من السهل دائما تحديد نهايات الجمل آليا، إذ إن النقاط قد تشير إلى نهاية الاختصارات أيضا، ويمكن أن يحدث بعضها في داخل الجملة أو في نهايتها، على نحو (إلخ.). وفي بعض اللغات، تشير النقاط أيضا إلى الأعداد الترتيبية (٢. = ثانيا). ثانيا، ليست الجمل وحدات ثابتة على أية حال. فيمكن أن تقابل جملة واحدة من اللغة المصدر جملتين أو أكثر في اللغة الهدف، أو تدرج جملتان من اللغة المصدر تحت جملة واحدة في اللغة الهدف. إن كل من قد قارن بين النصوص وترجماتها بدقة، سيلاحظ أن الجمل أحيانا قد تحذف حذفا واضحا في الترجمات، أو أن هناك جملا جديدة تدرج، وهذا فيما يبدو معتمد في الغالب على ما يراه المترجم. وهو السبب الذي جعل من التحذية عملية تستغرق الوقت الطويل، وتتطلب الكثير من التدخل البشري، على الرغم من توفر العديد من الأدوات المتنوعة، لتحذية المدونات على مستوى الجملة. وهو أحد الأسباب التي دعت إلى وجود عدد قليل من المدونات المتوازية ذات الأحجام المعتبرة (ولنقل أكثر من ٥ ملايين كلمة لكل لغة).

والأصعب أن تُحذّى المدونة بالاعتماد على المستوى المعجمي. ومن ناحية نموذجية، يمكن للمرء أن يرى كل وحدة من وحدات المعنى في المدونة المصدر، مرتبطة بالوحدة المقابلة لها في المدونة الهدف (لا يشير المصدر، ولا الهدف في هذا السياق إلى لغة النص الأصلي، والنص المترجم، بل إن لغة المصدر هي اللغة التي نختارها كنقطة انطلاق، في حين أن اللغة الهدف، هي اللغة التي نرغب أن نجد فيها الترجمات المقابلة). وستعتمد نتائجنا ـ إلى حد معين ـ على هذا الاتجاه. ولا يخفى على أحد، أن القواميس الثنائية اللغة لا يمكن تغيير اتجاهها. وما يزال غير معروف، ما إذا كانت النتائج المستخرجة من المدونة المتوازية يمكن تغيير اتجاهها، وإلى أي مدى. وتستعمل التحذية المعجمية الإجراءات الإحصائية و/ أو البحث في المعجم. ولا يمكن الاعتماد عليها كثيرا. ذلك أن القواميس الثنائية اللغة (والمعاجم المستمدة

منها)، ليست مفيدة جدا، وتحيلنا في المقام الأول إلى المدونات المتوازية. ومن ثم، فإن التحذية المعجمية التي نبدأ بها أولية فقط، وكل ما تعرّفنا به، هو ما يمكن أن يكون ترجمة مقابلة للوحدة المصدر. وسنستمر في ترجمة كل من work، وlabour، وكذلك بعض الكلمات الأخرى، نحو: employment، أو job إلى المقابل الفرنسي travail. وإذا ما أردنا أن نعرف المزيد، لا بد أن ننظر في السياقات التي ترد فيها كلمة travail عند ترجمتها work، بدلا من السياقات التي ترد فيها travail عند ترجمتها labour. وهكذا، إذا كان علينا أن نترجم travaux متبوعة بالصفة préparatoires [تحضيري]، فمدونتنا المتوازية تخبرنا أن هذه العبارة لا تترجم أبدا إلى preparatory labours، ولكن إلى preparatory work (بالإفراد في العبارة الإنجليزية مقابل الجمع في العبارة الفرنسية).

٢ - ٢-٤ مدونة الإنترنت internet

لقد أصبح من الشائع جدا بين لسانيي المدونات في الآونة الأخيرة، الرجوع إلى الإنترنت بوصفه مدونة افتراضية. وتكمن فائدة ذلك ـ تحديدا ـ حين نرغب في التأكد مما لو كانت كلمة أو عبارة قد سمعناها هي مستعملة فعلا في اللغة، وفي أي نوع من النصوص وردت. فمتى ما كنا غير قادرين على العثور على شواهد للكلمات، أو وحدات المعنى في مدوناتنا ذات الطابع القديم، يمكننا الانتقال إلى الإنترنت. وثمة العديد من المتصفحات التجارية التي يمكننا استعمالها، نحو: ألتافيستا، أو قوقل، وجميعها بمزاياه وعيوبه. إن الإنترنت أكبر من أي مكتبة موجودة، فإذا كانت الكلمة مستعملة فعلا، يلزمنا العثور عليها فيه. ولكن، ما نجهله هو بنية الإنترنت من حيث المحددات المذكورة سابقا. ولا بد أن تفسر تكرارات ورود الكلمات في الإنترنت بحذر. فلا يمكن أن يعد الإنترنت عينة من الحمل القرائي الخاص بشخص من الطبقة المتوسطة، ولا عينة من النص المنتج برمته. وحتى الآن، لا يوجد هناك أي نصوص

منطوقة على شبكة الإنترنت، وما هو موجود من اللغة مكتوب يعكس نوع النصوص التي يضعها أناس مختلفون على الإنترنت. إن بعض النصوص لا توجد إلا على الإنترنت، وبعضها الآخر منسوخ من مواد مكتوبة أخرى. وهنا أيضا لا بد أن نكون حذرين، فليست كل النسخ مطابقة تماما للنصوص الأصلية.

والإنترنت من الناحية العملية حتى وإن اقتصرنا فيه على المواقع المجانية، فهو في كل وقت ـ وإن كان محدودا ـ معين لا ينضب. ولا يمكن لأي متصفح أن يدعي أنه قد يأتي بكل صفحات الويب الموجودة. وغالبا ما يكون هذا الاختيار كبير جدا، فبمجرد استخراج جميع الشواهد لكلمة معينة (أو وحدة معنى أكبر) ستكون بعض النصوص التي استعلم عنها قد سحبت، في حين أن هناك أخرى جديدة قد أضيفت. إن الإنترنت مدونة افتراضية، ومثلها مثل الخطاب لأي مجتمع لغة، حيث لا نتوقع الوصول إلى محتواها وصولا كاملا. والعادة أننا إذا أردنا استعمال الإنترنت مصدرا، لا بد وأن نقوم بتحميل كل النصوص التي نعمل عليها، وجمعها في مدونة مختصة، وتوثيقها بعناوين صفحاتها على الإنترنت، وغيرها من المعلومات الببليوقرافية، وتاريخ التحميل.

٢-٣ المعنى في الخطاب:

> قال (هَمْتي دَمْتي Humpty Dumpty) بشيء من الاحتقار: «عندما أنطق بكلمة»، «فالكلمة تعني تماما ما أقصده بها، لا أكثر ولا أقل». فقالت (أليس Alice): «لكن السؤال: ماذا لو كان بيدك أن تقصد بالكلمة الواحدة العديد من المعاني المختلفة؟»، قاطعها (همتي دمتي) قائلا: «بل السؤال: من منا صاحب الكلمة الأخيرة؟ أنا أمِ الكلمة؟ هذا كل ما في الأمر».
>
> (لويس كارول، أليس عبر المرآة)

إن من يقرر ما تعنيه الكلمة ليس (همتي دمتي) بوصفه فردا، بل إن مجتمع الخطاب برمته، (أو على الأقل أجزاء معتبرة منه)، هو من يقرر. فمن يريد أن يقول شيئا، ولكنه غير راض عن الكلمة التي يجدها للتعبير عما يقوله، ولا عن كيفية استعمالها، لديه خياران. إما أن يدخل كلمة جديدة (على سبيل المثال: Eurotrash، اسم المسلسل المعروف على التلفزيون البريطاني) في الخطاب ـ ونادرا ما يحدث ـ ، أو أن يحاول تغيير معنى كلمة موجودة باستعمالها في سياق جديد. إن التحولات في المعاني غالبا ما تبدأ في العامية، فاستعمال العامية اليوم لكلمة wicked [شرير] يعني good [طيب]، في حين أن معنى proper [مهذب] على العكس تماما. وقد أصبح معنى كلمة tart [كعكة] بمعنى «امرأة منحلة سلوكيا» شائعا إلى الحد الذي تجد فيه المخابز والمقاهي تضطر لاستعمال أسماء جديدة (ولا شك أرشق)، نحو: gateau [قاتوه] و torte [تورتة]. وثمة مثال آخر هو cold caller (معظم المستحدثات تبدو متلازمة لفظية بشكل أو بآخر)، ولا تعني المتصل في جو بارد، وإنما الشخص الذي يدفع الناس للشراء بالاتصال عليهم دون معرفتهم [السمسار]. وقد بدأت القواميس الآن تسجيل هذا الاستعمال الجديد.

ولنبين كيفية تشكل المعنى في الخطاب، سنستعرض بالتفصيل كلمة واحدة. ونريد أن نبين أنه لا توجد صيغة سحرية ـ داخل، أو خارج الخطاب ـ ولا صورة ذهنية، أو سمة «للواقع» يمكن أن نحددها بوصفها شيء تمثله الكلمة. فالكلمات رموز، لكنها لا تمثل شيئا معينا ـ دون لبس ـ من معصوم، لأمد قريب، أو بعيد. وأي كلمة في أي نص تحيل إلى (أو علامة على) ورود سابق لنفس الكلمة في نفس النص، أو في كل النصوص السابقة التي يشير أحيانا إليها النص صراحة، أو ضمنا ـ وهو الغالب ـ . إنها تحيل إلى كل ما قد قيل عن تلك الكلمة من قبل. والناس ـ كما نعلم ـ لا يتفقون فيما بينهم على الدوام، وهذا أمر يستحسنه لسانيو المدونات. ولذلك نجد المناقشات

المستمرة في مجتمع الخطاب مع مختلف الفئات التي تقدم ادعاءات متنوعة حول ما يرونه هو الواقع. وإذا كان يمكن إدراج هذا العنصر الخلافي تحت مفهوم واحد، فستحاول كل فئة تحديد هذا المفهوم، بما يناسب وجهة نظرها. وسيتطوعون بتقديم آرائهم للغويين في صيغ متنوعة للتعبير اللغوي المبحوث على طبق من ذهب.

وقد اخترنا للبحث هنا كلمة globalisation (أو بهجائها الآخر globalization) [العولمة]. وهذه الكلمة اشتقت من الصفة global [عالمي]. تلك الكلمة التي كانت جزءا من الإنجليزية لقرون عديدة دون أن يتغير معناها تغيرا ملحوظا. لقد كان من الممكن دائما أن تصاغ من هذه الصفة كلمة globalization، ورغم عدم شيوعها، إلا أنها قد ترد بين الحين والآخر.

ولم يسجل كل صناع القواميس من أي مكان في العالم خلال التسعينيات هذه الكلمة التي شاعت فجأة بسرعة لم يسبق لها مثيل. ومن ثم لم يقدم لنا قاموس NODE الحديث إلا مدخلا معجميا مقتضبا لـ :globalize

globalize (also **-ise**) verb

develop or be developed so as to make possible international influence or operation.

يعولم (فعل)

يُطَوِّر أو يُطَوَّر لتمكين النفوذ أو الإدارة العالميين.

وقد أشير في نفس المدخل المعجمي إلى globalization بوصفها اسما مشتقا فقط، لا يعني أكثر من «إجراء، أو عمل؛ لجعل شيء مَا عالميا». ولن تبقى كلمة globalization شائعة، كما هي عليه اليوم. ففي عام ١٩٨٣ عنون العالِم الاقتصادي تيد ليفيت إحدى مقالاته في مجلة هارفارد بزنس ريفيو بـ «The globalization of markets [عولمة الأسواق]». وكان كل كبار الخبراء ملزمين بالاطلاع على هذه

المجلة، ومنهم تيد ليفيت. لقد وردت تسع جمل فقط بكلمة globalization الفعلية في مقالته ذات العشر صفحات. ولم تعرف المقالة globalization كمصطلح، ولم تورده ككلمة جديدة، بل استعملته على افتراض أن الجميع يفهمونها. ويبدو أن هذه المقالة تحديدا، هي ما حددت الاستعمال الحالي للعولمة، وجعلت من هذا المصطلح كلمة متداولة في تخصصات، مثل: الاقتصاد، والدراسات الاجتماعية، والسياسية. وبما أن المصطلحات تحتاج إلى تعريف، فالقواميس المتخصصة بالمصطلحات هي التي تقوم بذلك، وتقدم لنا مجموعة من التعريفات. ومع ذلك، لا تقر العديد من القواميس المرجعية في صناعة المعاجم اللغوية العامة بأن globalization كلمة جديدة. وكنا قد أشرنا إلى قاموس NODE، لكننا لم نجد globalization في قاموس أكسفورد للكلمات الجديدة Oxford Dictionary of New Words (١٩٩٧). إلا أن قاموس ماكميلان لمتعلمي اللغة الإنجليزية المتقدمين Macmillan English Dictionary for Advanced Learners (٢٠٠٢)، يعرفنا بأن globalization هي: «الفكرة التي مفادها بأن العالم يطور اقتصادا واحدا، وثقافة واحدة، نتيجة لتطور التقنية، والاتصالات، ونفوذ الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات».

فما الذي تكشف لنا المدونة عن معنى العولمة globalisation/ globalization؟ إنها تخبرنا أولا أن معظم الاستشهادات في المصادر البريطانية لبنك الإنجليزية تستعمل الصيغة بالحرف s، فيما جميع الاستشهادات في الجزء الأمريكي تقريبا تستعمل الكلمة بالحرف z (رغم أن الكلمة بالحرف z هي الصيغة المستحسنة عند بعض الناشرين البريطانيين، ومنها Continuum ـ ناشر هذا الكتاب). ومن المفيد أن ننظر إلى كل صيغة على انفراد، لأنه قد يحدث أن يكون معنى العولمة البريطانية globalisation مختلفا عن معنى العولمة الأمريكية globalization.

ولكن قبل أن ننظر إلى هذا المثال بمزيد من التفصيل، سنكشف عن مفهوم المعنى استعمالا، وصياغة.

٢- ٤ المعنى استعمالا، وصياغة

كيف تتعامل لسانيات المدونات مع المعنى؟ إن المعنى ـ كما قد قيل من قبل ـ في الخطاب. ولكن كيف نبحث عنه فيه؟ وكيف نجده؟ إن هناك جانبين رئيسين للمعنى. فالمعنى هو استعمال وصياغة. ويعكس الاستعمال والصياغة الحالتين اللتين نتعامل بهما مع اللغة، إذ نشارك في الخطاب بوصفنا متحدثين ومتلقين.

إن معرفة استعمال أي كلمة، أو أي وحدات معجمية أخرى، تتيح لنا المشاركة الفاعلة في الخطاب. وحتى نُفهم بوصفنا متحدثين، لا بد أن نستعمل المواد اللغوية وفقا لتوقعات المتلقين. وتلك التوقعات مبنية على ما قد قيل مسبقا. وبما أن الجميع قد سمعوا مرارا وتكرارا عبارة «the increasing globalisation of the financial markets [العولمة المتنامية في الأسواق المالية]»، فلن يكون مخالفا استعمالنا globalization مع increasing [المتنامية] بوصفها مُخَصِّصا وصفيا، ومع financial markets [الأسواق المالية] بوصفها مخصصا حرفيا أو إضافيا، حسب ما تفضل من تسمية. وثمة صفات أخرى كثيرا ما تُخصِّص globalisation، وكذلك أسماء أخرى تتردد كثيرا في المخصصات الإضافية. كما نجد أن globalization قد تكون جزءا من عبارة إضافية تخصص اسما آخر، نحو: the effects of globalization [آثار العولمة]. إن هذا النوع من البيانات السياقية، يحدد استعمال الكلمة. وفيما يتعلق بالأسماء نحو: globalization، لا بد أن نعرف أيضا، أي العبارات الفعلية يمكن أن تقع فاعلا لها، وأي الأفعال يمكن أن يقع مكملا. وليست كل المعلومات التي نعثر عليها ذات صلة بإثبات استعمال الوحدة المعجمية. ولكن الكلمات ـ إلى جانب مواقعها التركيبية ـ التي ترد بتكرارات كافية وشيوع إحصائي محدد في سياق الوحدة المعجمية المبحوثة (أي:

globalization)، هي ما يشكل استعمالها. وما دمنا ملتزمين بالاستعمال المعمول به بوصفنا مشاركين في الخطاب، فلا يمكن أن نخطئ. ولكن بمجرد قولنا: «the green globalisation of our forgotten noses [العولمة الخضراء لأنوفنا المنسية] سنفقد مستمعينا، ولن يستمع إلينا أحد، وسيقال إننا نتحدث حديثا فارغا. فلا يوجد لا من قريب ولا من بعيد، ما يشبه هذه العبارة في الاستعمال المعمول به، بحيث يمكن أن تعد قياسا تفسيرا له. إن الاستعمال أمر يمكن إثباته بالحاسوب. وهذا يعني أننا لكي نتعامل مع استعمال أي مادة معجمية، ليس علينا فهمه بالضرورة، بمعنى أننا سنتمكن من أن نعيد صياغته. ويمكن للحواسيب إنشاء نصوص تتوافق تماما مع الاستعمال المثبت لكل الوحدات المعجمية التي تشكل النص، وقد لا يمكن تمييزها عن نصوص بعض السياسيين. لكن هذا لا يعني أن الحواسيب تعرف ما تقول. وبهذا، يكون الاستعمال هو المعنى، ولكن بأسلوب محوّر جدا.

ومع ذلك فإن الاستعمال هو ما علينا أن نعرفه بوصفنا مشاركين في الخطاب. وهو على ما يبدو لنا ما يكون بالعادة لدى الناطقين باللغة لغة أم. أما أولئك الذين يسعون جاهدين لتعلم اللغة الإنجليزية لغة ثانية، فلا بد أن يتعلموا قصدا أن bereavement في سياق الذنب يعبر عنها بـ grief [الندم/ الألم]، وفي سياق الحزن يعبر عنها بـ sorrow [الأسى] وليس العكس. فالاستعمال أمر ينبغي أن نتناوله بوصفنا أعضاء في مجتمع الخطاب، بقدر ما قد يعيننا في فهم الوحدة المعجمية.

إن تحديد استعمال المواد المعجمية، ومعالجتها أمران جوهريان في مناهج لسانيات المدونات. وهي أقرب ما تكون للمناهج الحاسوبية في محاولتها تقريب المعنى للكلمة دون لبس. فكلما أردنا أن يعرف الحاسوب كلمة في المدونة بوصفها جزءا من وحدة معنى، فسيتم ذلك من خلال الاستعمال المعمول به. ويُعدُّ ملف بيانات الاستعمال الذي يولده الحاسوب (العاجز عن الفهم بنفسه، وغير القادر على ما يعرف

أحيانا «بتفسير الرموز») بمثابة البصمة للكلمة، بوصفها جزءا من وحدة المعنى، فبصمة الإصبع تحدد لنا الشخص، ولا تخبرنا بمن هو الشخص. وملف بيانات الاستعمال هو إحدى أدوات الحوسبة التي يمكن بها فك غموض المعاني.

إن المعنى كما قلنا هو استعمال وصياغة. وقد يزودنا الحاسوب بملف بيانات الاستعمال المتعلق بأي وحدة معنى، دون أن يعي ما تعنيه. فالحاسوب لا يعرف ما تعنيه، ولن يتمكن من معرفة ما تعنيه. ويبدو حقيقة أن البشر هم المملكة الوحيدة من بين الممالك الأخرى، من الآلات، أو الحيوانات الذين يميلون للتفكير في ماهية الشيء. فعندما يرون النحل يطير من زهرة لزهرة في فصل الربيع، يعلمون علم اليقين أن هذا متعلق بصناعة العسل، وأن لذلك أثر إضافي عرضي وهو حصول الأزهار على التلقيح. إنهم يرون هذين الجانبين بوصفهما المعنى لطيران النحل. والنحل لا يعرف لماذا يطير (بل قد لا يعنيه ذلك). ورغم أن الحاسوب المبرمج لهذه المهمة، قد لا يواجه مشكلة في ترجمة الجملة «Bees fly from flower to flower to produce honey [يطير النحل من زهرة لزهرة لإنتاج العسل]» إلى الجملة الفرنسية «Les abeilles volent de lafleur a la fleur pour produire le miel» (ترجمت عبر متصفح ألتافيستا)، إلا أننا لن نصدق ولو لوهلة أن هذه الأداة، أو البرمجية الملحقة بالمتصفح، لديها أي فكرة عن النحل، أو الزهور، أو العسل. فالبشر هم الوحيدون القادرون على إدراك الماهية aboutness، وهم الوحيدون القادرون على تناول العلامات signs. فشيء مثل النحل الطائر «متعلق من حيث هو «بشيء آخر فقط عندما نأخذ هذا الشيء (النحل الطائر) كرمز لشيء آخر، هو (إنتاج العسل). ولكن أليست الزهرة أيضا رمز للنحلة يدل على أنها ستجد السكر هناك؟ لا أظن ذلك. ولا أظن أن النحلة ستفكر بمثل «أوو! في ذاك المكان يمكن أن أرى زهرة (أو أشمها)، وهذا يعني أنني سأجد السكر هناك». إن إدراك الماهية يفترض وجود الوعي (الإدراك). والبشر هم الوحيدون المتمكنون من الإدراك

بهذا المعنى. وتسمى هذه القدرة العقلية البشرية الفريدة في الكشف عن ماهية الشيء بوعي (لا اعتباطا) القصدية intentionality. وقد كانت هناك مناقشات مطولة في مجال فلسفة العقل، حول ما إذا كانت القصدية هي حقا سمة في الإنسان، أو ربما مجرد وهم. فإذا كانت وهما، فيمكننا أن نقول إن العقل البشري، كالحاسوب ـ من حيث المبدأ ـ ، ولكنه أكثر تعقيدا. أما إذا كانت القصدية موجودة، فالحواسيب لن تصبح كالإنسان أبدا، وسيكون بوسعنا إيقافها دوما عند شعورنا بذلك. وقد نوقشت مسألة القصدية نقاشا جيدا في كتاب جون سيرل «القصدية Intentionality» (سيرل ١٩٨٣).

إن الرمز هو الشيء الوحيد الذي يعني شيئا؛ لأنه يدل على شيء آخر غير نفسه. ويمكننا أن نقول إن حياتنا ذات معنى، إذا اعتبرناها ـ فقط ـ رمزا أو علامة لشيء آخر. فالأشياء، والأحداث، والأفعال، التي لا نفسرها بوصفها رموزا، لا تعني أي شيء. بيد أن هناك أنواع مختلفة للعلامات هي: الأدلة symptoms، والصور icons، والرموز symbols، بمعناها الضيق. وما قد أشرنا إليه أعلاه من أن (النحل الطائر) علامة على أن النحل في طريقه لإنتاج العسل، هو دليل symptom. إنه شيء يمكننا فهمه، وليس بسبب تشابه النحل الطائر مع جرة العسل، بل لأن الخطاب مليء بالقصص المتعلقة بالنحل الذي يطير من أجل صناعة العسل. وما قمنا به حين رأينا ذلك النحل، كان استحضار تلك القصص، واستعمال الفهم المشترك للاستدلال على أنه كان يخطط لإنتاج العسل. أما النوع الثاني من العلامات فهو (الصور). تلك العلامات التي تزودك ـ بطريقة أو بأخرى ـ بدليل مرئي، أو شفوي، أو ملموس، لما تمثله ـ بوصفها علامات ـ . فربما تعني صورة ضخمة على جانب الطريق، تمثل جرة من العسل، أن ثمة شخص ما يريد أن يبيع العسل. إن الصور علامات نفسرها من حيث تشابهها مع أي شي يدل على شيء، أو فعل، أو حدث. وتعد الصور التفسيرية هنا ـ إلى حد كبير ـ تطبيقا للفهم المشترك أيضا، بإزاء استحضار الأمثلة الأخرى التي تشبه هذا المثال. وأخيرا، تعد (الرموز) بمعناها الضيق، علامات أسندت إليها المعاني إسنادا

اعتباطيا. فعادة ما ينظر إلى مفردات أي لغة بوصفها مجموعة من هذه الرموز. وقد يتحدث البعض، وكأن القاموس، أو صناع المعاجم، هم من أسند المعاني للكلمات. بيد أن صناع المعاجم، هم فقط من وثق المعاني التي أسندت للكلمات مسبقا. إن من أسند تلك المعاني للكلمات (أو بالأحرى المواد المعجمية)، هو مجتمع الخطاب. وأعضاء هذا المجتمع قد لا يستحسنون دائما ما يجدونه من معان مسندة للكلمات، وهم أحرار في تغيير ما أسندوه للرمز (المادة المعجمية) الذي لا يشبه ما يرمز إليه. ففي إنجلترا، ترمز كلمة robin إلى أحد الطيور، وهذا لا يمنع الأمريكيين من أن يقرروا في إنجليزيتهم، أن الكلمة ترمز لطائر آخر مختلف تماما. وليس من الغريب أبدا أن كلمات مثل: beech- bream- grasshopper- magpie ـ على وجه الخصوص ـ لها معان مختلفة في مختلف البلدان الناطقة بالإنجليزية. وبطبيعة الحال، لا يمكن أن تكون بهذه البساطة مع الصور icons. فلافتةٌ تعرض جرة من العسل، لا يمكن أن تشير إلى أنه يمكنك شراء الهليون الأخضر. ولن يدل النحل الطائر أبدا، على أن الفحم الحجري ينقب عنه في المناجم. ويعد كتاب رودي كيلر (نظرية العلامات اللغوية A Theory of Linguistic Signs) مرجعا قيما في ذلك (١٩٩٨).

إن المعنى مظهر في العلامات (الرموز، والأدلة، والصور). وفيما يشكل جانبا منها، يأتي الشكل الجانب الآخر فيها. والمعنى والشكل لا ينفصلان. فبمجرد استبعاد الشكل، يزول المعنى. وهذا هو سبب الخطأ في اعتبار اللغة نظام يمكن من خلاله ترميز رسالة، وفك ترميزها. فلا توجد رسالة بدون شكل، ومن ثم من الخطأ القول بأن النص يتضمن معنى، وأن النص هو المعنى.

وثمة العديد من النظريات ذات الصلة بالمعنى، وكلها تقريبا تزعم بأن معنى الوحدة اللغوية شيء خارج عن الخطاب. فالبعض يرى أن المعنى هو ما تشير إليه الوحدة اللغوية، هناك في الواقع خارج الخطاب. ويقول آخرون إن المعنى يماثل

بعض التمثيل في أذهاننا، والبعض الآخر يقول إن المعنى مُمثَّلٌ دلاليا بالمنطق الرياضي، أو بنظام صوري آخر. وكما أشرنا سابقا، الواقع لا يحتمل ذلك. فهو قبل أن ينظم، ويبنى من اللغة، ليس بيّن المعالم ويتسم بالاضطراب. وما يضاعف الصعوبات سوى التمثيلات العقلية. فهي إما أن تكون علامات أيضا، وفي هذه الحالة لا ينفصل معناها عن شكلها، وللوصول إلى معناها علينا أن نأتي بتمثيل آخر، ثم بتمثيل آخر متصل به، وهكذا (يشير إلى هذه الظاهرة جون سيرل في كتابه «إعادة اكتشاف العقل The Rediscovery of the Mind»، ١٩٩٢، بمشكلة «الرجل الصغير homunculus»، فيما يرى دانيال دينيت في كتابه «الوعي مفسَّرا Consciousness Explained»، ١٩٩٣، أنها مشكلة «الواسط المركزي central meaner». ويتفق الباحثان على أن ترجمة معنى أي وحدة لغوية إلى تمثيل عقلي ليس سوى مغالطة.). وإما أن تكون معان مترجمة إلى تعبيرات بنظام صوري ما، وليس الحال أفضل أيضا. فكيف يمكننا أن نعرف ما تعنيه تعبيرات هذا النظام الصوري؟ يمكننا فقط أن نشرحها باللغة الطبيعية، وسنعود إلى نقطة البدء من جديد. ونستطيع بكل تأكيد أن نترجم أي جملة، أو أي نص إلى لغة اصطناعية كالاسبرانتو. ولكن لنفهم أن الجملة، أو النص الاسبرانتويَّيْن علينا أن نعيد ترجمتها إلى لغة نعرفها. فلا يمكننا التخلص من قيد اللغة الطبيعية. وكل محاولاتنا في مقاربة المعنى أشبه بحرق الخشب على النار، فإذا ما نجحنا لن يبقى لنا شيء. إذ باحتراق الشكل، سيتلاشى المعنى.

لقد كانت نقطة انطلاقنا أن العلامة شيء يرمز لشيء آخر. ولكن ـ كما ناقشنا ـ إذا كانت العلامة لا ترمز لشيء في واقع مّا لا يتأثر بالخطاب، وإذا لم ترمز لتمثيل في العقل، وإذا لم ترمز لتعبير ما في نظام لغوي صوري، فإلام ترمز؟ عندما تُسأل ما هو الشمّام، أو وحيد القرن، ما الذي يتبادر إلى ذهنك؟ قد تتذكر أكشاك السوق التي كنت قد رأيت فيها أعدادا كبيرة من الشمام، وقد تتذكر تناولك الشمام، وقد يستحضر عقلك

طعمه وملمسه. وقد تتذكر القصص التي قيلت لك عن وحيد القرن، أو ربما قرأت عنه. وقد تتذكر أيضا ما أخبرت الآخرين به عنه. وقد تتذكر صورة له في كتاب للأطفال، أو في سجادة جدارية بيرقندية، أو في رسم توضيحي صغير مصورا هذا الحيوان في مخطوطة من القرون الوسطى. أليس هذا هو المعنى، وما ترمز إليه العلامتان اللغويتان: الشمام ووحيد القرن؟

وإن كنا سنجعل هذه الذكريات معنى للوحدات المعجمية، فسنكون قد اتخذنا موقف اللسانيات الإدراكية. إن تمثيلاتنا العقلية لن تكون بمثل الانتظام الذي تأمله آنا ويرزبيكا (١٩٩٦)، وتلك التمثيلات قطعا ستكون أي شيء سوى أن تكون عالمية، لأن ذكريات كل إنسان فريدة من نوعها، وتتضمن صفة شعورية عصية الوصف، مثل استطعامك، أو استطعامي للشمام. إن ذكرياتك تشكل فهمك للشمام، ووحيد القرن، وسوف تنعكس على جوابك حين تسأل عن هذه الأشياء. إلا أن هذه الذكريات خاصة وفردية، ومن ثم لا يمكن أن تكون معنى للعلامتين: الشمام، ووحيد القرن.

إن اللغة ظاهرة اجتماعية، لا نفسية، وكذلك هو المعنى. فمعنى الشمام، ووحيد القرن هو ما يقال عنهما في الخطاب. وستكون إجابتك عن السؤال المتعلق بماهية هذين العنصرين مساهمة جديدة في الخطاب، قد تتضمن عبارات لم تحك من قبل. وإذا كانت المجموعة المستهدفة من حديثك تستحسنها، قد يتذكرونها، ويعيدون استعمالها في مواقف مناسبة. وفي غضون عشر سنوات، أو عشرين سنة قد تجد آثارا منها في طبعات جديدة من القواميس. ومن جانب آخر، سيقارن مستمعوك ما تقوله، بما قد سمعوه من قبل. فإذا كان ما تقوله لا يتوافق مع ما يتذكرونه، فسيسألون أعضاء آخرين في مجتمع الخطاب. ومن المستبعد جدا، أن أولئك الذين جادوا بوجهات نظرهم حول الشمام، ووحيد القرن، سيعيدون استعمال عبارات أي شخص آخر حرفيا: كلمة كلمة، ما لم يقتبسوا من القواميس. وإذا لم يكتف مستمعوك بما تخبرهم

عنه، فقد يتجهون للبحث عنه في المكتبات، والأرشيفات، بل والإنترنت. وفي نهاية الأمر، سيتوصلون إلى عدد كبير من الأقوال المتعلقة بالشمام، ووحيد القرن. وسيبدو بعض هذه الأقوال، مثل التعريفات تقريبا، والبعض الآخر سيبدو شرحا أكثر اختصاصا، والعديد منها سيكون مجرد قصص. وسيتداخل الكثير منها مع بعضه، فيما لن تدعم بعض الأقوال البعض الآخر منها. وقد يكون هناك الكثير من الخلافات. فهل علينا أن نثق بالقيصر، حين يزعم بأنه قد كان هناك وحيد قرن حقيقي في الغابات التويتونية مثلا؟ في الحقيقة لن تكون العديد من العبارات متعلقة بالشمام ووحيد القرن تعلقا مباشرا، بل متعلقة بما قاله الناس عنهما، ومدى الثقة في ادعاءاتهم ومصداقيتها.

إن كل تلك التعبيرات، والتعريفات، والشروحات، والقصص التي تركز على الشمام ووحيد القرن نسميها عبارات معادة صياغتها. فما ستشترك فيه حتما كل العبارات المتعلقة بالكلمة (وحيد القرن) هو أنها عبارات معادة صياغتها للكلمة (وحيد القرن). وذلك فقط هو ما يبقيهم معا، وإلا ستكون مختلفة تماما. فهذه المجموعة من العبارات المعادة صياغتها، هي معنى الوحدة المعجمية (وحيد القرن). ولا يمكن اختزالها في صيغة بسيطة. إنها غامضة، ومبهمة، وملأى بالتناقضات؛ فبعضها قد يكون صحيحا، وبعضها الآخر قد يكون خاطئا، وليس من مهام اللغوي أن يعزل ما يعتقد أنه صحيح. وهذا هو ما ترمز له العلامة اللغوية (وحيد القرن)، وهي مجموعة العبارات المعاد صياغتها وتناولت وحيد القرن. فهذا ما تعنيه كلمة وحيد القرن.

وهكذا يكشف لنا المعنى المعاد الصياغة عن طريقة أخرى لتعريف وحدات المعنى. ووحدة المعنى من هذا المنظور هي كل ما نجده عنها في الخطاب من عبارات معادة الصياغة. ويمكن معالجة ملف بيانات الاستعمال بفاعلية باستعمال الحاسوب. ومن جهة أخرى، لا بد أن تُفسَّر العبارات المعادة صياغتها، إذ لا بد أن تكون مفهومة. فهذا ما لا يمكن للحواسيب القيام به، ولذلك لن تعرف أبدا ما الشمام، ولا وحيد القرن.

وبعد هذا الإسهاب في شرح الاستعمال وإعادة الصياغة، نعود أخيرا إلى دراسة الحالة لمعنى كلمة globalization [العولمة]. وفي المبحث التالي، سنبين كيف يمكن أن ينشئ لنا الحاسوب ملف بيانات الاستعمال.

٢-٥ Globalisation [العولمة]

في البداية حللنا عينة من ٢٠٠ استشهاد من بنك اللغة الإنجليزية لكلمة (globalisation العولمة)، وطلبنا من الحاسوب أن يزودنا بأكثر المتصاحبات لها تكرارا. وكان من بين المتصاحبات الأكثر تكرارا الكلمات التالية: - anti - world - against - means - economic - international - business، كما يتضح من خلال أسطر المكشاف السياقي التالية.

Forum, the main anti-	globalisation umbrella group at the
defended against anti-	globalisation protesters by one of
than we used to. Despite	globalisation, the world has at the
debate, related to the	globalisation of the world economy,
of the protest against	globalisation is, however, mistakenly
has held our against	globalisation of culture for a long time
is the argument that	globalisation means economic problems
artistic strategies.	Globalisation here means the same old
and economic	globalisation was kidding themselves
economic policy is the	globalisation of markets . If economic
change in the wake of	globalisation, international competi-
related has been the	globalisation of international manu-
in business law	globalisation will cause even worse
illogical attacks on the	globalisation of business

ومن المفيد في هذه الحالة ـ كما أشرنا من قبل ـ أن ننظر للكلمة globalization المكتوبة بـ z مستقلة؛ للبت فيما لو كانت تستعمل استعمالا مختلفا. وبالفعل، جاء ورود الكلمتين في بنك الإنجليزية مختلف تماما، حيث وردت globalization بما مجموعه ٤٦٨ مرة، ووردت globalisation ١١٤٧ مرة. ويمكن تفسير ذلك بسهولة بأن البيانات في بنك الإنجليزية «منحازة» نحو الإنجليزية البريطانية، التي تشيع فيها الكلمة مكتوبة بـ s أكثر من z. غير أن هذه ليست الحقيقة كاملة، فبالنظر إلى مصادر الاستشهادات، سنرى أن استشهادات globalisation مصدرها الأساسي نصوص الصحف، أما globalization فمصدرها الأساسي الكتب الأمريكية في معظمها (مع القليل من الكتب البريطانية). إن أكثر المتصاحبات شيوعا لكلمة globalization (بالاعتماد على العينة ذات الـ ٢٠٠ استشهاد) لا تماثل ما سبق إلا جزئيا. فنجد متصاحبات مثل: economic – markets – world – investment – financial – international، ولكننا لا نجد: anti- against.

ولإيجاد بعض العبارات المعادة صياغتها، والمتعلقة بـ globalisation، بحثنا عن عينة أخبرتنا فيها المدونة عن «ماهية globalisation»:

globalisation is a fact and, by	degradation. But
Globalisation is a much overused word	rapidly changing world.
Globalisation is a trend that many	on the world stage. ''
Globalisation is a catch-all to	technological change.
Globalisation is a redistribution	and access to capital.
globalisation is a relic of the	conventional wisdom on
globalisation is a story which gets	war and the economics of
Globalisation is a fancy euphemism	the poor even poorer.
Globalisation is a market-led process,	problem in particular.
Globalisation is a term that Giddens	in inverted commas.

at Conduit, explains:	' Globalisation is a trend that everyone
major issues. Still,	globalisation is a process that has
you realise that	globalisation is an accepted phenomenon
and benefiting from,	globalisation is an open society, in
may be in danger.	Globalisation is an opportunity and a
apreciation is that	globalisation is an unstoppable force,
lot of the criticism of	globalisation is based on ignorance
Mr Rubin argues	globalisation is both good and inevi-
Precisely because	globalisation" is demonised as an
Etzioni argue that	globalisation is destroying communities
euro' s arrival is that	globalisation is here to stay as
the allegation that	globalisation is inherently harmful.
those who say that	globalisation is just a bigger market,
- with mixed results.	Globalisation is like a giant wave,
The reality is that	globalisation is not inevitable, it is
tourists. All the same,	globalisation is not to be resisted,
best way to deal with	globalisation is not to fight it but
however, that	globalisation is not a painless exercise
trend towards increasing	globalisation is not easily
past few months show,	globalisation is not a one-way street.
must demonstrate that	globalisation is not just a code word
a sounder basis for	globalisation is required. If neither
voiced an anxiety that	globalisation is robbing nations
left in the age of the	globalisation is tearing apart even
the global economy.	Globalisation is the big issue of our
humbly born. To be anti-	globalisation is to march, under the

ويمكننا أن نرى أن globalization «تشير» أو «لا تشير» إلى العديد من الأشياء. ويدرك الخطاب بأن وجود علاقة بين كلمة globalisation وواقع الخطاب الخارجي، أمر ليس سهلا. فقد أخبرنا أن globalization [العولمة]: a much overused word [كلمة كثيرة الاستعمال]، وa story [قصة]، وa fancy euphemism [تعبير لطيف]، وa term [مصطلح]، وnot just a code word [ليس مجرد كلمة رمزية]، أو not a one-way street [طريقًا أحادي الاتجاه]. وهذا يوضح كيف يمكننا استعمال اللغة الطبيعية للحديث عن اللغة. وهو ما لا يمكننا فعله في اللغات الصورية، كالرياضيات، أو الحساب المنطقي، أو لغات البرمجة، حيث لا بد أن تكون خارج النظام، لتتمكن من الحديث عنها. ولكن، أين يجب أن نكون من لغتنا؟ في الواقع، كل لغة (كل لغة صورية)، لا يمكن تعريفها إلا باللغة الطبيعية فقط. فلا توجد خوارزمية صورية، ولا حساب منطقي، لا يحتاج إلى هذا النوع من التعريف، أو التفسير باللغة الطبيعية. ومن ثم لا بد من استعمال لغتنا الخاصة لمناقشتها. وإذا ما نظرنا إلى السياقات على يسار كلمة globalisation، سنرى أن الناس يتناقشون في الطريقة التي يستعمل فيها الآخرون كلمة globalisation. فبعضهم [يشرح] explains، و[أنت تدرك] you realise، وثمة أيضا [تقدير] appreciation، و[نقد] criticism، وأناس [يزعمون] argue، و[يظهرون] demonstrate، أو [يقولون] say بأن العولمة هي هذا، أو ذاك.

ولكن، ما الذي وراء هذه الكلمة؟ فالعولمة هي: [حقيقة] a fact، و[اتجاه] a trend، و[إجراء] a process، و[ظاهرة] a phenomenon، و[فرصة] an opportunity، و[قوة نافذة] an unstoppable force، إنها [أمر محمود ولا بد منه] both good and inevitable، و[وجدت لتبقى] here to stay، و [مضرة في حد ذاتها] inherently harmful، و[كالموجة العملاقة] a giant wave، و[ليست أمرا لا مناص منه] not inevitable، و[لا ينبغي مقاومتها] not to be resisted، و[ممارسة متعبة] not a painless exercise،

وهي [القضية الكبرى] the big issue. ويبدو هذا متناقضا. فهل هي [ليست أمرا لا مناص منه] not inevitable، أم أنها [وجدت لتبقى] here to stay؟ وهل هي [مضرة] harmful، أم [محمودة] good؟ ولمن تكون [فرصة] an opportunity، ولمن تكون [ممارسة متعبة] painless exercise؟ هل يمكن فهم الكلمة، وتعريفها على أساس تلك الاستشهادات؟

إن مدونتنا هي بنك اللغة الإنجليزية ذو الـ ٤٥٠ مليون كلمة. والنصوص التي يتضمنها البنك منطوقة، أو مكتوبة، هي من السنوات العشرين الأخيرة بالدرجة الأولى، ومنحازة جدا إلى الإنجليزية البريطانية. وعندما نمعن النظر في أسطر المكشاف السياقي لكلمة globalisation، نلاحظ وجود الكثير من النقاشات، والتساؤلات، والأحاديث عنها. وهناك العديد من الاحتجاجات، والمظاهرات، والحملات المنظمة ضدها. كما نجد العديد من الأمثلة المتعلقة بمناهضتها، وبالمعترضين عليها. هي [اقتصادية] economic و[متنامية] increasing، فثمة [عملية] process عولمة مستمرة. والناس يتحدثون عن [عصر] age، أو زمن [العولمة] globalisation، وعن فوائدها، وتحدياتها، وتأثيراتها، وضغوطاتها، وقواها، وآثارها. وكل ذلك يبدو عاديا. فغالبا ما ترتبط كلمة globalisation بالانفعالات أيضا، ومعظمها انفعالات سلبية. وحوالي ثلث الاستشهادات ذو نبرة محايدة، وحوالي العشر منها يمكن أن يعد إيجابيا. وقد ورد ذلك بالدرجة الأولى في سياق الأعمال، والسياسة، والتقنيات الحديثة.

ونصل إلى صورة مختلفة قليلة عن العولمة، إذا ما نظرنا في globalization. وليست كل أمثلتها من الإنجليزية الأمريكية، حيث يفضل قاموس أكسفورد الإنجليزي OED استعمالها بالحرف z. وهنا عينة من الاستشهادات:

the impact of economic	globalization on the world of work
overwhelmed by the rapid	globalization of economic
trends, including the	globalization of markets,
us a picture of how this	globalization of financial markets
elsewhere in the world,	globalization holds the promise of
This is the world of new	globalization of borders easily
itself a result of the	globalization of investment. While
illustrates cost of the	globalization of investment. It also
technology and increasing	globalization challenging the way
Third, there has been a	globalization of the international
In this new form of	globalization, the international

إن الاختلافين الأكثر وضوحا في الاستشهادات السابقة هي النبرة الواقعية، والوعاء الذي تنتمي له تلك الاستشهادات.

ولنقارن شواهد مدونتنا مع استعمال تيد ليفيت لكلمة globalization في عام ١٩٨٣. وفيما يلي استشهادات من مقاله:

The **globalization** of markets is at hand. Nor is the sweeping gale of globalization confined to these raw material or high-tech products, where the universal language of customers and users facilitates standardization.

The theory holds, at this stage in the evolution of **globalization**, no matter what conventional market research and even common sense may suggest about different national and regional tastes, preferences, needs, and institutions.

Barriers to **globalization** are not confined to the Middle East.

It orchestrates the twin vectors of technology and **globalization** for the world's benefit.

The differences that persist throughout the world despite its **globalization** affirm an ancient dictum of economics - that things are driven by what happens at the margin, not at the core.

To refer to the persistence of economic nationalism (protective and subsidized trade practices, special tax aids, or restrictions for home producers) as a barrier to the **globalization** of markets is to make a valid point.

Two vectors shape the world - technology and **globalization**.

Given what is everywhere the purpose of commerce, the global company will shape the vectors of technology and **globalization** into its great strategic fecundity.

إن أول استعمال للكلمة عند ليفيت في مقاله ـ بصرف النظر عن عنوانه ـ كان في الجملة التالية: The globalization of markets is at hand [عولمة الأسواق حاضرة]. وفي بنك اللغة الإنجليزية ترد globalisation of markets إحدى عشرة مرة، و globalization of markets خمس مرات، كما يتضح من خلال السطور التالية:

of stocks. Also, as globalisation of markets continues to
a mystery where the globalisation of markets is taking us . Its
adjustment to the globalisation of markets and the influence
into account the globalisation of markets and of the features
because of the globalisation of markets, which will have
rapidly with globalisation of markets. Kevin Bales reports

ويتحدث ليفيت عن [عولمة الأسواق] the globalization of markets، وبأنها [حاضرة] at hand. وتبين جميع الشواهد من بنك الإنجليزية، أن globalisation of markets الآن مفهوم محدد. إذ يعرفنا بما يحدث مع [عولمة

الأسواق] globalisation of markets في الوقت الحاضر. فهي [تزداد] grows، وعلينا أن نضع ذلك [نصب أعيننا] into account.

ويشير ليفيت للمرة الثانية إلى globalization، عندما يتحدث عن كيفية تأثيرها على قطاع الأعمال العالمي، مستعملا التعبير [عاصفة العولمة] gale of globalization. ولا نجد في بنك الإنجليزية استعمالا لهذا التعبير. وإذا ما نظرنا إلى ما أتى في البنك، بوصفه [عاصفة من] gale of، سنجد أنه في الغالب عاصفة من [القهقهة] giggles، و[الضحك] laughter، و[الريح] wind، غير أننا نجد أيضا عاصفة من التغير الاقتصادي، أو النشاط، أو الجِدة، وغيرها من المفاهيم المتعلقة بالعولمة.

وتقع globalization في نص ليفيت للمرة الثالثة في العبارة «[تطور العولمة] the evolution of globalization» التي لم ترد في مدونتنا. وهذا قد يتوافق مع استنتاجنا السابق بأن [العولمة] globalisation في استعمالنا المعاصر هي مفهوم محدد. ويشير ليفيت في مقاله إلى «[عقبات في وجه العولمة] barriers to globalization» مرتين. وليس ثمة استشهادات في مدونتنا لنفس الصياغة تماما. ولكننا إذا نظرنا في «[عقبات في وجه] barriers to» وجدنا أننا نتحدث كثيرا عن «[عقبات الدخول إلى السوق] barriers to entry » و«[عقبات في وجه التجارة] barriers to trade»، وتلك حقائق ترتبط كثيرا بالعولمة. ويربط ليفيت في مقاله التقنية بالعولمة technology and globalization في ثلاثة مواضع. وما تزال العولمة فعلا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتقنية، استنادا على شواهد بنك الإنجليزية، سواء كان هذا الارتباط مباشرا أو غير مباشر.

pressure from technology and globalisation 'the half-life
benefit from new technology and globalisation than others,
arthritic. When technology and globalisation demanded changes
INFORMATION technology and globalisation are the driving

arguing that technology and globalisation are tending to
of clothes. Technology and globalisation mean that every-
the impact of technology and globalisation, where business
needs. Technology and globalisation have revolu-
Why? 'Because of technology and globalization, everyone has

أما آخر ورود لكلمة globalization في نص ليفيت، فهو الآتي:

The differences that persist throughout the world despite its globalization affirm an ancient dictum of economics - that things are driven by what happens at the margin, not at the core.

وقد أظهرت نتائج البحث عن كلمة [العولمة] globalisation، وكلمة [رغم] despite الأسطر التالية:

insular despite the globalisation that affects
But, despite all of this, globalisation has been the source
despite the drift towards globalisation, national policies
despite the increasing globalisation of the capital
despite pressures of globalisation, it will take a

إن ما نقدمه هنا يقوم على شواهد غير كافية. فلا نعرف ما إذا كان هناك اختلافات بين الاستعمال الأمريكي، والاستعمال البريطاني، حيث لا نملك مدونة متشابهة خاصة بالإنجليزية الأمريكية. ولم تصنف استشهاداتنا حسب المجال، أو الوعاء، أو نوع النص، أو تاريخ النشر. كما لا يمكننا أن نرى ما إذا كان ثمة تغيير في المعنى، ولا نعرف ما إذا كانت globalization يختلف استعمالها في النصوص المكتوبة للعامة، عن النصوص الموجهة للمتخصصين. وبناء بنك اللغة الإنجليزية يجعل من الصعب استخراج المعلومات اللازمة لهذا النوع من التصنيف. غير أن الشواهد لدينا تشير مثلا

إشارة واضحة إلى وجود اختلاف في الأسلوب اعتمادا على الوعاء. فالنصوص في الصحف غالبا ما تكون بلغة متشككة، فيما تكون لغة الكتابات المتخصصة والأكاديمية أكثر واقعية. وهذا ليس مستغربا، بل متوقعا، والأرجح أنه يصدق على العديد من الكلمات الأخرى.

إذن هذا هو ما يمكن أن تساهم به لسانيات المدونات في معنى كلمة globalization/ globalization. إنه دليل استشهادات المدونة المتعلقة بـ globalisation ضمن سياقاتها، والملخصة والمنظمة بأمر مشروط. إنه أكثر بكثير مما نجده في أي قاموس، وفي الوقت نفسه ليس فيه ترابط المقال الموسوعي. ومن الواضح أن ذلك الدليل متناقض في جوانب عدة، بل إنه يتناقض مع تعريف العولمة. فهل هذا هو معنى العولمة؟ لقد أصبحت العولمة من الأمور المهمة في مجتمعنا، إلى الحد الذي رأى فيه علماء الاجتماع ضرورة تعريفها. وهكذا فرضت «العولمة» نفسها بوصفها مصطلحا. ولنلق نظرة على تعريفها المركب في قاموس أكسفورد لعلم الاجتماع Oxford Dictionary of Sociology (١٩٩٨). ونرى هل هو مختلف تماما عن بعض استشهاداتنا؟

globalization, globalization theory

Globalization theory examines the emergence of a global cultural system. It suggests that global culture is brought about by a variety of social and cultural developments: the existence of a world-satellite information system; the emergence of global patterns of consumption and consumerism; the cultivation of cosmopolitan life-styles; the emergence of global sport such as the Olympic Games ... the spread of world tourism; the decline of the sovereignty of the nation-state ... More importantly, globalism involves a new consciousness of the world as a

> single place. ... Perhaps the most concise definition suggests that globalization is 'a social process in which the constraints of geography on social and cultural arrangements recede and in which people are becoming increasingly aware that they are receding' (Malcolm Waters, Globalization, 1995) ... Contemporary globalization theory argues that globalization comprises two entirely contradictory processes of homogenization and differentiation; and that there are powerful movements of resistance against globalization processes ... It is undoubtedly true that, on a planet in which the same fashion accessories (such as designer training-shoes) are manufactured and sold across every continent, one can send and receive electronic mail from the middle of a forest in Brazil, eat McDonald's hamburgers in Moscow as well as Manchester, and pay for all this using a Mastercard linked to a bank account in Madras, then the world does indeed appear to be increasingly 'globalized'. However, the excessive use of this term as a sociological buzzword has largely emptied it of analytical and explanatory value...

وبما أن العولمة ظاهرة عالمية، لسنا مضطرين إلى لتقييد أنفسنا بدليل من اللغة الإنجليزية. فقد أتيحت أيضا بعض البيانات المهمة المتعلقة بـ Globalisierung ـ المقابل الألماني لـ globalization ـ والمستندة على تحليل صحيفة واحدة هي صحيفة Tageszeitung. وتنتمي هذه البيانات لسنة ١٩٩٦، تلك السنة التي اكتسبت فيها Globalisierung شعبية في البلاد. وكنا قد عثرنا على ١٦٠ استشهادا من عام ١٩٨٨ وحتى نهاية عام ١٩٩٥ـ، لكن عدد الاستشهادات قفز فجأة بحلول عام ١٩٩٦ إلى أعلى من ٣٢٠ استشهادا، ومنذ ذلك الحين بقيت نوعا ما على نفس المستوى.

وكانت Globalisierung قبل عام ١٩٩٦ تستعمل بوصفها صيغة مخصوصة مشتقة من global، بدون أي معنى محدد سوى «حدث، أو إجراء لأمر يحوله ليصبح عالميا». وكان من الضروري في كل مثال تحديد ما جرت عولمته، ومن ثم فإن Globalisierung لم ترد منفردة أبدا، بل وردت دائما متصاحبة مع مخصِّصات (كما في: die Globalisierung der modernen Lebensweise [عولمة أسلوب الحياة الحديث]). وبالنسبة لعام ١٩٩٦ العام الذي قفز تكرار الكلمة فيه فجأة (يشير ـ من بين أشياء أخرى ـ إلى أن ثمة تغير في المعنى، من شيء أعم إلى شيء أكثر تحديدا)، نجد عددا كبيرا من الاستشهادات التي ترد فيها كلمة Globalisierung دون مخصِّص، ولكن مع شروحات، وإعادة صياغة للكلمة (in der Tat bedeutet Globalisierung Amerikanisierung [إن العولمة تعني الأمركة]). ومع الوقت الذي يفترض فيه أن يفهم الجميع ما تعنيه Globalisierung تنخفض هذه النسبة مرة أخرى، ونجد مجددا العديد من المخصِّصات. لقد بدت المخصِّصات قبل عام ١٩٩٦ غير منتظمة، فكل شيء يمكن أن يكون متصاحبا مع Globalisierung. وبعد هذا العام، تكررت نفس المخصِّصات مرارا وتكرارا. وقُرِن المعنى الجديد لـ Globalisierung الكلمة في الغالب، بالتمويل، والتجارة، والتقنية، والاقتصاد عموما، والقوى العاملة. وهذا في الواقع يشبه كثيرا المخصصات التي عثرنا عليها مع globalisation في بنك اللغة الإنجليزية.

لقد اخترنا عن قصد كلمة globalisation بوصفها كلمة مستحدثة. ولكن، أليس من الواجب أن نفترض أن كل كلمة كانت يوما ما كلمة مستحدثة؟ قبل أن يجلب لوكولس الكرز (سيراسس) إلى روما من بلاد فارس، لم تكن ثمة حاجة لتسميته. ومن المنطقي أن نفترض أن إدخال أي مستحدثات في الخطاب يحدث دائما على نفس المنوال. فطالما أن الكلمة (أو وحدة أكبر من المعنى) ما زالت جديدة، لا بد أن

تشرح. والجميع لا يفهم الكلمة بنفس الطريقة. فالشروحات تفيد أيضا في أغراض تداول معنى الكلمة داخل مجتمع الخطاب. وقد يستغرق هذا التداول بعض الوقت، قبل أن يفضي إلى اتفاقٍ أكبر عدد من المشاركين اتفاقا ضمنيا. ومن هذه النقطة فصاعدا، لن يأتي أحد من المشاركين بإعادة صياغة جديدة، إلا من كان منهم معارضا هذا الاتفاق. ويمكن أن نقول ـ نظريا ـ أنه بمجرد ما يصبح معنى الكلمة الجديدة لا خلاف فيه، فيمكن استعماله لإعادة صياغة وحدات أخرى من المعنى.

لقد كشفت كلمة globalization تماما أن مجتمع الخطاب لم يكن متجانسا على الإطلاق. ولا بد أن نتذكر أن مجتمع الخطاب هو ذاته المجتمع الذي نتناول لغته، وهو متعدد الأبعاد مثل هذ المجتمع. ففيما أصبح معنى العولمة محددا ومقبولا عند شريحة من مجتمع الخطاب، ما زال محل خلاف عند شرائح أخرى منه. وهذا هو سبب عدم وجود قواسم مشتركة، بين ما أعيدت صياغته، والشروحات التي استخرجت من المدونة، بل وسبب التعارض بينهما أحيانا. غير أن الأدلة المتناقضة، لم تكن هي ما توصلنا إليه بوصفها معنى للكلمة في المعاجم التقليدية. فالآن، ما إن نقدم الاستشهادات، علينا تنقيح الدليل، وكتابة تعريف متماسك، وموجز، يمكننا أن نضعه في القاموس. والآن لا بد وأن نجد الصيغة السحرية.

وليس ثمة صيغة سرية. ولا صيغة صريحة، ما لم نترك الأمر للجنة من الخبراء (في ماذا؟)، لتعريف [العولمة] globalization تعريفا واحدا وإلى الأبد، بحيث يعاب فيما بعد على أي شخص يستعمل العولمة استعمالا مختلفا. ولكن، لو حدث ذلك، فإن كلمة globalization لم تعد كلمة لغوية طبيعية، وستصبح مصطلحا بالنظام الصوري للمصطلحات. إن لسانيات المدونات ليس لديها ما يسهم في توحيد المصطلح. ولن تغير أي مساهمة في الخطاب في معنى مصطلح موحد؛ لأنه لا يوجد له أي معنى آخر سوى التعريف المخصص له. فحمض الأسكوربيك Ascorbic acid، أو الحمض

النووي DNA، أو المُقَوِّمُ الإلكتروليتي electrolytic rectifier، جميعها مصطلحات ذات معان ثابتة إلى حد ما، فلا تتغير في أي سياق يمكن تصوره.

لماذا ترد كلمات جديدة؟ ولماذا تختفي أخرى؟ وهل ستستعمل [العولمة الوهمية] globaloney في السنوات العشرين القادمة، وتشيع بمثل شيوع [العولمة] globalization اليوم؟ لقد نشرت مجلة نيوزويك Newsweek في ديسمبر من عام ٢٠٠٢ مقالا عنوانه: [اللفظ الجديد الرنان: العولمة الوهمية] :The new buzzword globaloney. وبدأ المقال بـ: «كل ما يمكننا قوله هو أن عضوة الكونجرس كلير بوث سكّت مصطلح globaloney في عام ١٩٤٣؛ للتخلص مما كان نائب الرئيس هنري والاس يفضل تسميته بـ[تفكيره العالمي][his]global thinking ... » (ميلر ٢٠٠٢).

ولا توجد سوى خمسة استشهادات لكلمة globaloney في بنك اللغة الإنجليزية، وجميعها من مصادر بريطانية.

in impressive-sounding	globaloney are provided by
and more earlier. For all the	globaloney to be found in modern
LSE lecture last week - is	globaloney. Much of the talk about
nosed divi, talkin a load o'	globaloney (Fings ain' t what they
Business, 1993. Hirst, P.	Globaloney in Prospect,

ولم تبدأ كلمة globaloney بالظهور بتكرارات أكثر في الصحافة كردة فعل على ظاهرة العولمة إلا مؤخرا، كما هو الحال في المثال الآتي من صحيفة ميل أون صندي (٢٢ يوليو ٢٠٠١). ولا بد أن ننتظر لنرى ما إذا كانت ستحقق الشيوع ذاته.

> [إن هؤلاء «[المناهضون للعولمة] anti-globalist » هم أنفسهم دعاة للعولمة (عولميون globalists). وسواء كانوا جماعات hippy-dippy المعنية بالسلام، والبيئة، وديون العالم الثالث، أو جماعات يسارية متعصبة

تمارس العنف في نطاق ضيق، فهم جميعا راغبون في استبدال العولمة المعاصرة، بعولمتهم الوهمية الخاصة بهم.]

These 'anti-globalist' demonstrators are globalists themselves. Whether they are hippy-dippy groups concerned with peace, the environment and Third World debt, old-fashioned leftie groups with a tradition of small-scale violence, they all want to replace the present globalisation with their own form of *globaloney*.

إن الكلمات تختلف عن المصطلحات. فالكلمة التي نجدها في النص يعبر عنها عدد غير محدود من الاستشهادات السابقة المتشارَك معظمها بين المتكلم والمتلقي؛ لأنهم نشؤوا في نفس مجتمع الخطاب، ومرت بهم العديد من النصوص نفسها. وفي ضوء تلك الاستشهادات السابقة، يستعمل المتكلم الكلمة والمتلقي يفهمها. إن اللغويين هم من يحدد مجتمع الخطاب. وهم الذين يقررون مدى التعمق بحثا في الماضي. وهم من يرسم الحدود. وحتى مع تلك القيود، لا يتاح الخطاب بمجمله لا للغويين، ولا لأي عضو من أعضاء مجتمع الخطاب. فلن يستطيع أي أحد البتة أن يصل إلى كامل معنى الكلمة (أو وحدة أكبر من المعنى). وعندما نقرأ، أو نسمع لنصوص لم نقف عليها من قبل، قد نقع على استشهادات تكشف جوانب دلالية جديدة. إن ما نكتشفه من معنى الكلمة، لن يكون أكثر من تقريب.

٢-٦ ما الذي يتكشف لنا عن معاني الكلمات من لسانيات المدونات

كتب كاتب غير معروف في عام ١٩٧٦ باسم كورتلاند د. ب. بريان رواية عن جندي أمريكي في فيتنام قُتل خطأً بنيران القوات الأمريكية. وتعرف هذه الرواية بـ«Friendly Fire [نيران صديقة]». وسرعان ما انتشرت هذه العبارة. وهي الآن بسبب

سَنَتَيِ الحرب على العراق، لا يوجد أيضا من لا يعرف ما تعنيه في البلدان الناطقة بالإنجليزية. ولقد بدأ الصحفيون خلال الحرب الأخيرة على العراق، باستعمال تعبير آخر بمثل معنى 'friendly fire'، وهو blue on blue. وعرضت صحيفة القارديان أثناء الحرب سلسلة من المقالات المتعلقة «بلغة الحرب». وكان لتعبير blue on blue مدخلا خاصا يشرح معناها وأصلها:

Blue on blue comes from wargaming exercises where the goodies are blue and - in a hangover from cold war days - the baddies are red. Replaces the older term 'friendly fire' which, as Murphy's Laws of Combat eloquently note, isn't.

(Stuart Millar, Guardian, 24 March 2003)

[لقد أتى تعبير Blue on blue الذي ظهر لأول مرة بعد إسقاط صاروخ من طراز (آر إيه إف ترونادو) بصاروخ باتريوت الأمريكي من المناورات الحربية، حيث يرمز الأزرق إلى الأخيار (من آثار الحرب الباردة)، ويرمز الأحمر إلى الأشرار. ليحل محل التعبير الأقدم friendly fire الذي لم يكن كذلك وفقا لقوانين مورفي الحربية التي أشارت لذلك بوضوح.

(ستيوارت ميلار، الجارديان، ٢٤ آذار/ مارس ٢٠٠٣)]

وهذا أمر ما كان يمكن للغويين توقعه. ولا توجد قاعدة تجعل بالإمكان التنبؤ بظهور تعبيرات جديدة، كما رأينا في حديثنا عن كلمة globalization. وليس ثمة قاعدة أيضا توضح لنا، ما إذا كان التعبير سينتشر أم لا. ولعل تعبير friendly fire [نيران صديقة] إضافة حديثة إلى ألفاظنا. إذ سرعان ما دخل عنوان هذه الرواية عام ١٩٧٦ الخطاب العام، وحل محل المصطلح العسكري fratricide [تقاتل الأشقاء] الذي نجده في الفرنسية أيضا. غير أن fratricide كلمة تعني «قتل الأخ (أو الأخت)».

وهي على هذا النحو نادرة، واستعمالها ينم عن سعة اطلاع. في حين أن friendly fire مألوفة، رغم أنها مستحدثة، ومع كل حرب لاحقة تصبح أكثر شيوعا. ففي بنك اللغة الإنجليزية ذي الـ ٤٥٠ مليون كلمة، يوجد ٢٦٧ شاهد لهذا التعبير. وفيما يلي شيء من هذه الاستشهادات:

those men died from	friendly fire a phenomenon which he said
Author C . D . F . Bryan	< Friendly Fire > came to the five-day
may have been killed in	friendly fire. General Johnston also said
Relatives of the	friendly fire victims are angrily accusing
mistakes, accidents	'friendly fire', including Private Errol

فهل يرى صناع المعاجم friendly fire وحدة معنى؟ إن أكبر قاموس للغة الإنجليزية على الإنترنت، هو ووردنت WordNet. وهو عبارة عن قاعدة بيانات إلكترونية، جمعت قبل بضع سنوات، وما زال يجري جمع بياناتها حتى الآن في جامعة برنستون، بإشراف من كريستيان فيلباوم. وقاموس ووردنت، ليس قاموسا تقليديا. فهو يسرد العلاقات الدلالية بين كل مدخل معجمي، والمداخل الأخرى سردا منهجيا، كعلاقة الترادف والاشتمال، والجزئية، والتضاد. إنه ينظم الدلالات التي يحددها لمدخلاته بوصفها synsets (مجموعات مرادفات)، بحيث تعرف كل مجموعة مرادفات على أنها قائمة من كل المدخلات المعجمية التي تتشارك هذا المعنى الخاص. وكل مجموعات المرادفات، أو الدلالات تأتي بتلميحات، وغالبا ما تكون بأمثلة مصاحبة. ويدرج ووردنت منذ سنوات عديدة وحتى الآن المتلازمات اللفظية أيضا. لكننا لم نجد مدخلا لـ friendly fire. وثمة عدة أسباب محتملة. الأول، هو أن التعبير كان في أوج حداثته، أو لأنه لم يكن ذا تكرار كاف، أو لأنه كان يُظن أنه ليس وحدة معنى. وقد تبين أن السبب الثالث من تلك الأسباب هو ما وراء ذلك.

وللصفة friendly في ووردنت أربع دلالات، هي:

1. friendly (vs. unfriendly) - (characteristic of or befitting a friend; 'friendly advice'; 'a friendly neighborhood'; 'the only friendly person here'; 'a friendly host and hostess')

2. friendly - (favorably disposed; not antagonistic or hostile; ‘a government friendly to our interests’; ‘an amicable agreement’)

3. friendly (vs. unfriendly) - ((in combination) easy to understand or use; ‘user-friendly computers’; ‘a consumer-friendly policy’; ‘a reader-friendly novel’)

4. friendly (vs. hostile) - (of or belonging to your own country’s forces or those of an ally; ‘in friendly territory’; ‘he was accidentally killed by **friendly fire’**)

ويوضح هذا المدخل أن عدم إدخال friendly fire بوصفها متلازمة لفظية، هو قرار مقصود. إذ التعبير الاصطلاحي، بالنسبة إلى جامعي ووردنت، هو ضم وحدتي معنى معا. فهل هذا صحيح؟ وهل توجد دلالة مستقلة لـ friendly تمثل أمثلة من نحو: friendly fire، وfriendly territory؟ وهل ثمة تعبيرات أخرى نجد فيها هذه الدلالة الخاصة بـ friendly، مثلا في: friendly houses، وfriendly planes، وfriendly newspapers؟ يبدو أن friendly houses تنتمي لمجموعة المرادفات ١ (راجع: friendly neighbourhood [حيّ أنيس])، وfriendly newspapers لمجموعة المرادفات ٢ (favourably disposed [موالٍ لـ]). ولربما يوجد فعلا مثالان فقط لمجموعة المرادفات الرابعة. ويحدث أن تكون friendly territory [إقليم موالٍ] (حسب قوقل حوالي: ٦,٥٠٠,٠٠٠ نتيجة) ضد hostile territory [إقليم معاد] (حسب قوقل حوالي: ١,١٠٠,٠٠٠ نتيجة) أحيانا، ولكنها في كثير من الأحيان ضد enemy territory [إقليم العدو] (حسب قوقل حوالي: ٢,٩٧٠,٠٠٠ نتيجة).

أما friendly fire [نيران صديقة] (حسب قوقل حوالي: ٥١,٢٠٠,٠٠٠ نتيجة) فتقع أحيانا ضد hostile fire [نيران معادية] (حسب قوقل حوالي: ١,٣٨٠,٠٠٠ نتيجة)، وكثير من الأحيان ضد enemy fire [نيران العدو] (حسب قوقل حوالي: ١٥,٦٠٠,٠٠٠ نتيجة). وكلا الضدين لا بد أن يشار إليهما في المدخل. والسؤال هو: هل يصح أن نفسر دلالة محدودة بمثالين اثنين؟.

فلنلقِ نظرة الآن على كلمة fire في ووردنت. للاسم fire في ووردنت ثمانية معانٍ:

1- fire - (the event of something burning (often destructive); 'they lost everything in the fire')

2- fire, flame, flaming - (the process of combustion of inflammable materials producing heat and light and (often) smoke; 'fire was one of our ancestors' first discoveries')

3- fire, firing - (the act of firing weapons or artillery at an enemy; 'hold your fire until you can see the whites of their eyes'; 'they retreated in the face of withering enemy fire')

4- fire - (a fireplace in which a fire is burning; 'they sat by the fire and talked')

5- fire, attack, flak, flack, blast - (intense adverse criticism; 'Clinton directed his fire at the Republican Party'; 'the government has come under attack'; 'don't give me any flak')

6- ardor, ardour, fervor, fervour, fervency, fire, fervidness - (feelings of great warmth and intensity; 'he spoke with great ardor')

7- fire - ((archaic) once thought to be one of four elements composing the universe (Empedocles))

8- fire - (a severe trial; 'he went through fire and damnation')

والدلالـة التي تهمنـا بطبيعة الحال هي الدلالة ٣، حيث نجد فيها التعبيـر enemy fire [نيران العدو] في مثال. وبإضافة التلميحات [ما بين القوسين] للدلالة رقم ٤ الخاصة بـ friendly، والدلالة ٣ الخاصة بـ fire، سنحصل على المعنى «[إطلاق النار... على قواتنا أو قوات حلفائنا] the act of firing weapons ... at our own or our allies' forces»، مع إجراء ما يقتضيه اختلاف الحال من تعديلات. وهذا تعريف مناسب. فهل ووردنت محق في تجاهله للتعبير friendly fire بوصفه وحدة معنى؟ ففيما لا تضع القواميس الأخرى مقابلا للدلالة ٤ لـ friendly الخاصة بوورد نت، تضع أخرى لـ friendly fire مدخلا مستقلا تثبت فيه أنها وحدة معنى، كما جاء في قاموس NODE مثلا:

> [عسكري] «[نيران الأسلحة القادمة من طرف في الحرب لأفراده أنفسهم، وتتسبب في إصابة عرضية لأحدهم أو مقتله]
>
> «weapon fire coming from one's own side that causes accidental injury or death to one's own people »

وكلا الخيارين ممكنان. ولكن يعيب الخيار الأول إدخاله الكلمات ذات الأكثر من معنى التي لن توجد إذا ما قبلنا وحدة المعنى بوصفها حلا. وفي سياق كلمة fire، تعني كلمة friendly الدلالة ٤ فقط. أما في سياق كلمة friendly، فتعني fire الدلالة ٣ فقط. ولكن بضرب الدلالات الأربعة لـ friendlyبالدلالات الثمانية لـfire، سننتهي إلى ٣٢ مركبا يجب أن نختار واحدا منها فقط. ولذلك إذا قبلنا بمبدأ التقتير Ockham's razor كمبدأ أساس لبناء نموذج دلالي (لا ينبغي أن تضاعف العناصر دون ضرورة)، فالظاهر أن تفسير friendly fire بوصفها وحدة معنى هو الأفضل.

ومن وجهة نظر منهجية، من المنطقي إدخال friendly fire بوصفها وحدة معنى؛ لأنها تسهل مهمة اللغوي في توضيح ما يعنيه النص، أو الجملة، أو العبارة.

ومن الأنسب التعامل مع التعبير بوصفه متلازمة لفظية collocation، بدلا من وصفه تصاحبا ممكنا لكلمتين مفردتين. ولهذا الجانب أهمية خاصة في المعالجة الحاسوبية للغة الطبيعية، كما في الترجمة الآلية. فالحواسيب لا تسأل عما إذا كان معنى التعبير friendly fire (أو false dawn) (انظر ١-٣) أمر لا يمكن أن يستنتج من معاني أجزائه التي تشكل منها. ونحن نستعمل الحواسيب التي لا تفهم عمّاذا يتحدث الناس، ونريدها أن تسهل من ترجمة الجمل التي نقع فيها على هذه التعبيرات، وتعبيرات مماثلة. وقد نوقش المعنى المذكور أعلاه من حيث الاستعمال، وإعادة الصياغة. والاستعمال أمر يمكن للحواسيب التعامل معه. فإذا كان التعبير friendly fire يستعمل بطريقة فريدة، وليس بأي الطرائق الإحدى والثلاثين الأخرى التي اقترحها وورد نت، فمن الأسهل التعامل معه كوحدة في حد ذاته (كوحدة معجمية) لا تكون إلا بكلمتين فقط. لكن الاستعمال لا يعرفنا بكيفية فهم التعبير الاصطلاحي. فإذا ما أردنا التواصل مع أعضاء آخرين في مجتمع الخطاب حول كيفية استعمال friendly fire، علينا إعادة صياغته. وإذا ما كانت إعادة صياغة معينة (أي تفسير التعبير) مقبولة لمجتمع الخطاب، فلا بد أن تترك لأعضاء ذلك المجتمع.

السؤال إذن هو ما إذا كان التعبير friendly fire وحدة معنى أيضًا من منظور المعنى بوصفه إعادة صياغة. والجواب على هذا السؤال بسيط. فهو وحدة معنى، إذا وجدنا أن إعادة الصياغة تعرفنا بكيفية فهم الآخرين له، ومن ثم كيفية فهمه أيضا فهما أفضل. وقد وجدنا إعادة صياغة واحدة في قاموس NODE. وبإلقاء نظرة على بنك اللغة الإنجليزية، سنجد أن ذلك أكثر من مجرد صناعة معجمية جادة. فمن بين استشهادات friendly fire هناك حوالي اثنا عشر استشهادا يعلق على هذا التعبير (friendly fire) في محاولة لشرحه، وتحييده، أو إعادة صياغته بكل وضوح. ومنها على سبيل المثال:

The United States Defence Department says an investigation has shown that about one out of every four Americans killed in battle during the Gulf War died as a result of **'friendly fire'** - in other words, they were killed by their own side.

Whether called fratricide, amicicide, blue on blue, **friendly fire**, or - as in official U.S. casualty reports from Vietnam - 'mis-adventure', the phenomenon had become all too commonplace on twentieth-century battlefields.

In Vietnam, the Americans coined the phrase **'friendly fire'**, a monstrous use of the language, as if any such fire could be regarded as friendly.

And the other problem, low visibility increases the risk of **friendly fire** - a term that means mistakenly shooting at your own side.

لقد عرفنا أن friendly fire «[تعبير مركب] phrase» أو «[تعبير اصطلاحي] term» يشكل: «[استعمالا غريبا في اللغة] monstrous use of language». وأن الأمريكيين أدخلوه للخطاب في حرب فيتنام، وهو يعني أن أفراد قوتكم «[قد قتلوا على يد أفراد آخرين منكم] killed by their own side». وتكثر العبارات المعادة صياغتها لهذا النوع عندما تدخل في الخطاب وحدة جديدة من المعنى، سواء كانت كلمة مفردة، أو متلازمة لفظية، ثم يبدأ تعريف الناس بها. وكما رأينا، قد يكون أول شاهد على وجود friendly fire هو عنوان رواية عام ١٩٧٦. ولا توجد للأسف مدونات يمكنها التحقق من فرضية وجود العديد من العبارات المعادة صياغتها خلال تلك السنة، والسنة التالية لها. وهنا مرة أخرى، قد يكون من المفيد استعمال المنظورية الثنائية اللغة. فما الذي يحدث عندما يقع المترجمون على مادة معجمية لم يجدوا له ترجمة مقابلة، لأنها لم تترجم من قبل؟

تُعرفنا لسانيات المدونات بأن الترجمة المقابلة ليست شيئا موجودا دائما وجودا خفيا، ولا بد من استكشافه بعينه. إن الترجمة المقابلة لا بد أن تفسر. وكما هو الحال مع المعنى، هذا التفسير هو نشاط مجتمعي، ولكنه لا يرتبط بمجتمع الخطاب الخاص بلغة معينة، بل بمجتمع المتحدثين الثنائيي اللغة للّغتين المعنيّتين. فسيقدم أحد المترجمين مقترحا، ثم يُتداول مع الأعضاء الآخرين في ذلك المجتمع، حتى يصلوا جميعا إلى اتفاق، ويبدأ كل مترجم باستعمال نفس هذا المقابل، أو يُعتدَّ بمجموعة من المقابلات، ويختار المترجمون من بينها. ويبدو أنه في حالة friendly fire كان على المترجمين البدء من الصفر. والظاهر أنه لم يكن هناك أبدا أي تعبير اصطلاحي في الألمانية مقابل لـ fratricide، أو blue on blue، أو friendly fire.

إن friendly fire تعبير اصطلاحي يستحق النظر من منظورية ثنائية اللغة. فما الذي ستضيفه هذه النظرة لتلك المسألة؟ لقد أصبح هذا التعبير الحديث نسبيا أكثر شيوعا خلال حرب الخليج الأولى فقط، حين قُتل الجنود البريطانيون بنيران صديقة friendly fire (معظمها أمريكية)، أكثر من قتلهم بنيران العدو enemy fire. وعندئذ بدأ هذا التعبير يترجم إلى لغات أخرى من بينها الألمانية. فكيف تُرجم إليها؟

لقد أثبتت النسخة الثانية من قاموس أكسفورد دودين Oxford-Duden، المنشور في ١٩٩٩ أن friendly fire وحدة معجمية مفردة وتضع له مدخلا مستقلا. وتقدم eigenes Feuer) [نيرانهم] ('own fire ترجمة مقابلة لها. وقد وجدنا ترجمات مقابلة أخرى في قوقل، ومدونات متعددة، هي: freundliches Feuer [نيران صديقة]، وbefreundetes Feuer [نيران صديقة]، والمتلازمة اللفظية الإنجليزية friendly fire على سبيل الاقتراض. ومعظم النصوص التي عثرنا عليها هناك كانت نصوصا مكتوبة أصلا بالألمانية، وليست ترجمات من الإنجليزية. وما زال من الواجب علينا أن نفترض أن الصورة الذهنية لـ friendly fire، لم تكن موجودة قبل إدخالها في الخطاب

الألماني من خلال الترجمة. فلم يرد أي من المقابلات الألمانية المشار إليها أعلاه في النصوص القديمة من مدوناتنا. ومن ثم ينبغي النظر في جميع المقابلات الألمانية كنتيجة للترجمة.

والجدير بالذكر أن durch befreundetes Feuer (عبر\من خلال نيران صديقة) لم ترد في قوقل إلا مرة واحدة. وقد كنا نتوقع أكثر من ذلك، نظرا لأن befreundet هي الترجمة الموحدة للمعنى الرابع المتعلق بـ friendly في ووردنت، حيث نجد friendly fire مع friendly territory. و friendly territory [إقليم موالٍ] هي بالفعل befreundetes Territorium بالألمانية. وهذه إشارة أولى إلى أن المترجمين فهموا التعبيرfriendly fire بوصفه متلازمة لفظية، لا بوصفه تصاحبا ممكنا لكلمتين مفردتين. وبوسعنا التأكد من أن befreundetes Feuer [نيران صديقة] لن تكون أبدا المقابل الافتراضي لـ friendly fire. وبالنسبة للتعبير durch freundliches Feuer [بنيران صديقة]، فقد ورد في قوقل ٨٧,٣٠٠ مرة. وذلك لإشارة أخرى إلى أن المترجمين يتعاملون مع التعبير friendly fire بوصفه متلازمة لفظية حقيقية. وفيما يتعلق بـ freundliches Feuer (كون freundlich المقابل الافتراضي لـ friendly [ودي])، فلا تعني عادة ـ بدون تأثير الإنجليزية ـ «قتل الجنود لزملائهم»، ولكن تعني شيئا مختلفا تماما كما في استشهاد قوقل الفريد:

> Ihre nachtschwarzen Augen leuchteten jedoch in freundlichem Feuer, als sie in die Runde ihrer Amazonenkriegerinnen sah.
>
> [لكن عينيها اللامعتين توهجتا بكل جاذبية، فيما كانت تلقي نظرة خاطفة على من حولها من محارباتها الأمازونيات.]

ومع ذلك، يمكن أن تعني freundliches Feuer بوصفها مادة معجمية مفردة، أو وحدة معنى، أي شيء يقبله مجتمع الخطاب. ولكن قبل أن يحدث ذلك، لا بد أن

يشرح الناس التعبير الشرح الكثير. ويتضح ذلك من المثالين المأخوذين من قوقل:

Es gab 120 Verletzte durch 'freundliches Feuer' also Treffer durch die eigenen Leute.

[كان هناك ١٢٠ جريحًا بـ«نيران صديقة» ـ أي إصابات من قبل أفرادهم]

Natürlich haben die amerikanischen Militärs auch einige elektronische Mittel erfunden, urn den 'Fratrizid', wie der Tod durch 'freundliches Feuer' im offiziellen Jargon auch genannt wird, möglichst auszuschließien.

[وقد اخترع الجيش الأمريكي بعض الآليات الإلكترونية، لاستبعاد «تقاتل الأشقاء»، وهو التعبير الرسمي الذي يُطلق غالبا على الموت «بنيران صديقة».

وفي المثال الأول، يعرف المتلقي بمعنى friendly fire تعريفا واضحا بعبارة معادة صياغتها. وفي المثالين معا، نجد freundliches Feuer بين علامتي تنصيص؛ لإشعار المتلقي بأنها تعبير جديد، وأن هذا التعبير لا بد وأن يفهم بوصفه وحدة معنى. وستُظهر السنوات القليلة القادمة، ما إذا ستكون freundliches Feuer هي الترجمة الافتراضية لـ friendly fire.

إن التعبير الأكثر شيوعا هو eigenes Feuer، حيث ورد في قوقل ٩٤٥,٠٠٠ مرة في العبارة: durch eigenes Feuer [من خلال/ بنيران صديقة]. ويوضح المثالان التاليان أن هذا التعبير، هو نتيجة للتأثر باللغة الإنجليزية:

Das Verteidigungsministerium in London hat Berichte bestätigt, nach denen **durch 'eigenes Feuer'** in der Nähe von Basra ein britischer Soldat getötet und fünf weitere verletzt warden sind.

[أكدت وزارة الدفاع في لندن تقارير تفيد بأن جنديًا بريطانيًا قتل بالقرب من البصرة، وأصيب خمسة آخرون «**بنيران صديقة**»]

Man kann es sich leicht vorstellen, doss es für die Moral eines militärischen Verbandes die schlimmste Erfahrung ist, wenn ein Kamerad **durch eigenes Feuer, durch friendly fire,** urns Leben kommt.

[من السهل أن نتصور أن أسوأ ما تتأثر به معنويات الجيش، هو مقتل أحد أفراده **بنيران عناصره (بنيران صديقة)**]

ومن الغريب فعلا أن تعبيرا يسير الفهم مثل eigenes Feuer يوضع بين علامتي تنصيص، لكنها تدل على أن المتكلم يستعملها ترجمة لـ friendly fire. ويظهر ذلك بوضوح أكثر في المثال الثاني حيث تعاد صياغة التعبير eigenes Feuer صياغة واضحة تماما بالكلمة الأقل شيوعا friendly fire. ويبدو أن ثمة اضطراب في تمثيل الصورة الذهنية المعبر عنها في الإنجليزية بوحدة معنى مفردة، عبارة عن تعبير يتكون من (اسم + صفة) وقابل للتحليل، أي: من كلمتين منفصلتين. وما زال من غير المؤكد ما إذا كان التعبير eigenes Feuer، سيكون هو المقابل الألماني الافتراضي لـ friendly fire. فعلى الرغم من أنه الأكثر شيوعا، إلا أن عيبه الآخر هو ما يبدو عليه من أنه أقل شبها بـ friendly fire من freundliches Feuer.

ومع ذلك، فإن المقابل الأكثر شيوعا الذي نجده هو التعبير المستعار friendly fire. وهناك في قوقل حوالي ٢٣٣ ألف نتيجة لـ durch friendly fire. ونلاحظ أيضا أنه في معظم الاستشهادات، توضع المتلازمة اللفظية بين علامتي تنصيص، مما يشير إلى حداثة، وغرابة التعبير. وهنا مثالان من مدونة الصحف النمساوية Österreichisches Zeitungskorpus (ÖZK) المتضمنة ٥٠٠ مليون كلمة، وتغطي فترة التسعينيات:

Und fast schon ans Zynische grenztjene Bezeichnung, welche

die Militärsprache für den irrtümlichen Beschuß der eigenen Leute kennt. Man nennt das friendly fire freundliches Feuer.

[ويحمل غالبا هذا الاسم في طياته سخرية تستعملها اللغة العسكرية عند إطلاق النار خطأ على أفراد جيشها، ويسمون ذلك نيرانا صديقة ـ «freundliches Feuer»]

An dieser Frontlinie beobachten wir auch immer wieder das, was die Militaristen 'friendly fire' nennen, nämlich Verluste in den eigenen Reihen durch fehlgeleitete Geschosse aus den eigenen, nachfolgenden Linien. Was die Haider-Diskussion anlangt, hat sich dieses Phänomen sogar zu einer Art inteUektueller Selbstschußanlage verfestigt.

[على خط الجبهة الأمامية هذا، ما زلنا نرى ما يسميه الجيش «نيران صديقة»، أي الخسائر التي تكون في صفوف الجيش، بسبب طلقات نارية لم تصب الهدف الصحيح، وأصابت خطوط الجبهة الخلفية للجيش. أما بالنسبة للنقاش المتعلق بالسيد حيدر، فهذه الظاهرة أصبحت سمة ملازمة لأجهزة إطلاق النار الآلية.]

وتكشف إعادة الصياغة ما إذا كان التعبير قد أصبح تعبيرا اصطلاحيا (متلازمة لفظية أو وحدة معنى). وفي هذين المثالين لا تعرفنا إعادة الصياغة بمعنى friendly، بل تشرح ما تعنيه friendly fire. ولئن كنا قد تعرفنا آنفا على تحديد المتلازمات اللفظية، أو التعبيرات الاصطلاحية ـ متى ما كان ذلك مناسبا ـ بالاعتماد على الاستعمال، فإعادة الصياغة ستعرفنا بما إذا كانت تفهم بالفعل على أنها وحدة معنى. وثمة مؤشر آخر للمتلازمة اللفظية الحقيقية، وهو وقوعها في استعارة. فالمثال الثاني يبين أن friendly fire في الألمانية، قد تستعمل الآن للإشارة إلى الحرب الأهلية.

وتفقد friendly fire ـ على سبيل الاستعارة ـ سمة «الخطأ»، وتشير بدلا من ذلك إلى الأعمال العدائية المقصودة ضمن فريق. وفيما يلي مثال آخر مأخوذ من قوقل:

Nicht alle 'Liberalen' sind eingeschwenkt. Aber das friendly fire schmerzt besonders. Merkels Kandidatur ist streitbesetzt.

[لا يمكن كسب أصوات كل «الليبراليين» [داخل الحزب الديموقراطي المسيحي]. ولكنه [ظلم ذوي القربى] friendly fire المؤلم جدا. فقد كان ترشيح ميراكل [رئيسة الحزب] مُختَلَف فيه]

وقد وجد نفس الاستعمال الاستعاري في النصوص الإنجليزية. وفيما يلي مثال من قوقل:

Defence Secretary Geoff Hoon faced questions about the deployment, why it happened so quickly, what his exit strategy was and how long it would last - all of which he had answered in previous exchanges.

But his opposite number, Bernard Jenkin, offered his overall support for the operation.

There was not even much friendly fire from Mr. Hoon's own benches.

واجه وزير الدفاع جيف هون أسئلة تتعلق بنشر القوات؟ ولماذا حدث ذلك بهذه السرعة؟ وما هي استراتيجية خروجه؟ وإلى متى ستستمر؟ وكان قد أجاب عن جميع الأسئلة في المحادثات السابقة.

لكن نظيره بيرنارد جينكين، قدم دعمه الكلي للعملية.

ولم يكن هناك الكثير من التدخلات السلبية من المقاعد المخصصة للسيد هون.

لقد استعرضنا في هذا المبحث friendly fire في إطار أحادي اللغة، وإطار ثنائي اللغة؛ بهدف إيجاد معايير فاصلة بينهما ودالة إحصائيا. بيد أن التصاحب الممكن لكلمتين (أو أكثر) من المتلازمات اللفظية ذات الصلة دلاليا، يسمى أيضا تعبيرا اصطلاحيا. وهناك منهجان. إذا نظرنا إلى المعنى من منظور الاستعمال، سنجد أن هناك أسبابا وجيهة لبساطة تحديد حالة التلازم اللفظي لتلك التعبيرات الأحادية المعنى التي تؤخذ كتلة واحدة. ومن ذلك التعبير friendly fire. وسيكشف تحليل تلك المتلازمة اللفظية أنها ـ في الغالب ـ تقع في سياقات متشابهة. وهذا المنظور ذو أهمية جوهرية في المعالجة الحاسوبية للغات الطبيعية، ويسهل ـ كما سنرى ـ من عملية الترجمة بمساعدة الحاسوب.

إن الضابط الرئيس لتحديد حالة التلازم اللفظي لأنماط التصاحب المعجمي من منظور فهم اللغة هو إعادة الصياغة. فإذا وجدنا أن التعبير يعاد مرارا وتكرارا كوحدة معنى، فسيكون ذلك مدعاة لافتراض أنه وحدة معجمية مفردة. والضابط المساند لذلك، هو أن التعبير كتلة واحدة قد يستعمل استعمالا مجازيا. وهذا ـ كما رأينا ـ هو الحال في false dawn وfriendly fire. أما الضابط الثالث، فهو خاص بالمنظور الثنائي اللغة. إذ يبدو أن الترجمة المقابلة للمتلازمة اللفظية الحقيقية، لن تكون الترجمة الأنسب إذا ما ترجمت كل كلمة على حدة. وإذا حدث ذلك، فنفترض حدوثه مرة واحدة، كما في التعبير الألماني befreundetes Feuer المقابل لـ friendly fire. إن المتلازمات اللفظية تترجم كتلة واحدة، ولا يبدو مهما ما إذا كان المقابل المفضل له أي دلالة، إذا ترجم حرفيا بوصفه مجموعة من الكلمات المتضامة. وإذا أخذ التعبير freundliches Feuer حرفيا، فسيكون مبهما جدا. وهذا لا يهم بالنسبة لأي وحدة معنى جديدة. فوحدة المعنى ستعني كل ما هو مقبول في مجتمع الخطاب. وأخيرا، يشير الشيوع الواسع للتعبير الإنجليزي friendly fire في

النصوص الألمانية، إلى أنه لا يوجد مقابل ألماني أصلي مقبول، ومن ثم كان لا بد من اقتراض التعبير من الإنجليزية.

فهل friendly fire متلازمة لفظية فعلا؟ إن المتلازمات «الحقيقية» يمكن إثباتها ليس بالدلالة الإحصائية وحسب، بل أيضا من الناحية الدلالية. ويمكن إثبات التلازم الدلالي بالمقاربة المنهجية، والنظرية في تعريف وحدات المعنى. وقد أثبت التحليل المقدم هنا، أن مفهوم وحدة المعنى ـ بوصفه ضابطا للتعبير الاصطلاحي ـ ليس اعتباطيا. فيمكن أن تُحدث لسانيات المدونات تأثير كبيرا على المعاجم، ويمكن أن تغير فهمنا لمفردات أي لغة طبيعية. كما يمكن أن نتغلب من خلالها على الحال المؤسف في المواد المعجمية (الأكثر شيوعا) بسبب تعدد المعاني. وسيختفي الغموض الذي كان علينا أن نتعامل معه في اللسانيات التقليدية، بمجرد استبدالنا لمفهوم القرون الوسطى المتعلق بالكلمة الواحدة، بالمفهوم الحديث للتلازم اللفظي، أو وحدة المعنى. وبدلا من اختيار معنى لـ friendly من بين أربع دلالات، ومعنى لـ fire من بين ثماني دلالات، ينتهي بنا الأمر إلى معنى واحد للتعبير الاصطلاحي friendly fire.

٢-٧ المتلازمات اللفظية، والترجمة، والمدونات المتوازية

سنتناول في هذا المبحث الجانب المنهجي للعمل مع المتلازمات اللفظية. وهدفنا هو إظهار الأثر الذي قد يحدثه الاهتمام بظاهرة التلازم اللفظي على الترجمة. وسوف نقدم دليلا من عدد المدونات المتوازية المتنوعة، كأساس قائم على التجربة العملية. وعلينا ـ أولا ـ عند العمل مع هذه المدونات، أن نقوم بصف كل نص وترجمته على مستوى الجملة، ثم على مستوى المادة المعجمية، سواء كانت كلمة مفردة، أو مصطلحا، أو متلازمة لفظية «حقيقية»، باختصار على مستوى وحدة المعنى.

ويعرف كل الذين ترجموا نصا إلى لغتهم، أو إلى لغة أجنبية، أننا عند الترجمة لا نترجم كلمة بكلمة. مع أن مساعدنا التقليدي في الترجمة، هو القاموس الثنائي اللغة. ومعظم المداخل فيه ـ حتى الآن ـ هي كلمات مفردة، ونجد العديد من الخيارات في ترجمة معظم الكلمات فيه. ولا يمكن للقاموس في معظم الحالات أن يعرفنا بأي الخيارات أنسب في حالة معينة. ولعل هذا هو سبب عدم الإفادة من القواميس الثنائية اللغة كثيرا، حين تكون اللغة الهدف ليست لغتنا الأم. إذ إننا لا نترجم الكلمات بمعزل عن غيرها من الكلمات، بل نترجم وحدات أكبر ذات دلالة تكفي لأن تؤدي معنى واحدا، بحيث لا يوجد لها سوى ترجمة واحدة تقابلها في اللغة الهدف، أو إذا كان هناك مقابلات أخرى ستعد مرادفات.

ونسمي تلك الوحدات وحدات الترجمة. فهل هي مثل وحدات المعنى؟ ليست مثلها تماما، إذ لا يمكن ببساطة ربط اللغات الطبيعية بعضها مع بعض. والتداولات الجارية بين أعضاء مجتمع الخطاب، تؤدي إلى نتائج لا يمكن التنبؤ بها. كما أن اللغات تختلف فيما بينها، وتفسر حقائق مختلفة. ويبدو أن كلمة bone [عظم] وفقا لمعظم القواميس الإنجليزية الأحادية اللغة وحدة معنى، ويصفها قاموس NODE بأنها «أيٌّ من قطع الأنسجة الصلبة البيضاء التي تشكل الهيكل العظمي في البشر، والفقاريات الأخرى». وهذا يصف بدقة الطريقة التي تستعمل فيها كلمة bone في الإنجليزية. ولكن لـ bone من منظور ألماني، ومن وجهة نظر تقليدية ثلاثة معان مختلفة، فهناك ثلاث ترجمات مقابلة غير مترادفة. إذ يستعمل الألمان عند الحديث عن السمك (أو أي من أنواعه) كلمة Gräte. وعند الحديث عن الحيوانات غير السمكية (الحية أو الميتة)، والبشر الأحياء يسمون العظم Knochen. وتستعمل الكلمة الألمانية Gebeine عند الحديث عن عظام الموتى. إذن، عند الترجمة إلى الألمانية تكون وحدة المعنى ذات الصلة هي bone، بالإضافة إلى كل كلمات السياق التي تعين على الاختيار الصحيح

من بين الترجمات الألمانية الثلاثة. وما توصلنا إليه من نصنا المصدر ـ على الأرجح ـ ليس تعبيرا اصطلاحيا، أو متلازمة لفظية من نفس نوع false dawn، أو friendly fire، بل مجموعة من الكلمات (المتصاحبات) في سياق كلمة bone. فقد وجدنا في قوقل:

The poor were initially buried in areas in the churchyard or near the church. From time to time, the bones (Gebeine) were dug up and then laid out in a tasteful and decorative manner in the charnel house.

[يكون الفقراء بداية مدفونين في مناطق من ساحة الكنيسة، أو بالقرب من الكنيسة. ومن وقت لآخر، تحفر المقابر لاستخراج العظام (Gebeine)، ثم توضع بطريقة أنيقة وزخرفية في العظَّامة.]

Then place trout on a plate and run a knife along each side of ... Sever head, fins and remove skin with a fork. All you have left is great eating with no bones (Gräten).

[ثم ضع السلمون في طبق، ومرر السكين على جانبي السمكة.. اقطع الرأس والزعانف، وأزل الجلد بالشوكة. لم يتبق الآن لك سوى أن تتناول طعاما لذيذا دون عظام (Gräten)]

We expect a person to say she feels terrible after breaking a bone (Knochen).

[نتوقع من أي شخص أن يقول إنها تشعر بالألم بعد أن كسر عظمها (Knochen)]

وتشير الكلمات المكتوبة بين الأقواس إلى الترجمة الألمانية المناسبة في كل مثال. ومن شأن كل مدونة متوازية ملائمة أن تزودنا بعدد كاف من أمثلة ورود كل ترجمة مقابلة من الترجمات الثلاث. وبمجرد عثورنا على جميع أمثلة Gräte(n)،

يمكننا عندئذ البحث عن bone(s) في الجملة الإنجليزية المحاذية، وإعداد ملف بيانات التلازم اللفظي لـ bone عند ترجمتها لـ Gräte. وهذا الملف عبارة عن قائمة بجميع الكلمات الموجودة في السياق المحيط بالكلمة الرئيسة (bone في هذه الحالة)، ومرتبة حسب دلالتها الإحصائية بوصفها متصاحبات للكلمة الرئيسة. وسيتضمن ملف بيانات التلازم اللفظي لكلمة bone بوصفها ترجمة مقابلة لـ Gräte كلمات، مثل: trout salmon, eat, fin, remove, ... إلخ. ومن المفترض أن يقدم القاموس الخاص بوحدات الترجمة ملف بيانات التلازم اللفظي، مع كل المقابلات لكل كلمة رئيسة مبهمة وتتعلق باللغة الهدف. ولا بد أن يتحقق المستخدم من الكلمات الواردة في ملف بيانات التلازم اللفظي، والواقعة في سياق الكلمة التي يقف على ترجمتها، ثم يحدث الاختيار في الغالب آليا. وتسمى أيضا تلك التراكيب المؤلفة من كلمة رئيسة مع متصاحباتها (الدالة إحصائيا) متلازمات لفظية. ومن ثم يكون لدينا نوعان من التلازم اللفظي: نوع يوصف بأنه تعبير اصطلاحي، ويمكن تحديد نمط نحوي له (false dawn: صفة + اسم)، والنوع الآخر ذلك الذي يمكن أن يقال فيه إننا عثرنا على متصاحبات للكلمة الرئيسة في السياق المحيط بها (على نحو trout في سياق bone). ويشترك النوعان في أنهما أحاديّا المعنى، سواء من منظورية أحادية اللغة أو منظورية ثنائية اللغة، ولذلك يمثلان وحدة معنى، أو وحدة ترجمة.

لقد جمعت المدونات المتوازية التي نعمل عليها من مجموعة مختارة من الوثائق القانونية الصادرة عن المفوضية الأوروبية، ومن مقتطفات من وقائع البرلمان الأوروبي، إلى جانب بعض التقارير الصادرة عنهما. ولأنها لا تتناول كلمة العظام كثيرا، صرفنا النظر إلى كلمة رئيسة أخرى، وهي الكلمة الفرنسية travail [عمل]/ travaux [أعمال]. وقد ضمنا الكلمة جمعا travaux في تحليلنا؛ لأن الجمع غالبا ما يقدم مفردا عندما يترجم إلى الإنجليزية. وفي الألمانية، نجد الترجمة الافتراضية لها Arbeit،

أما في الإنجليزية، فيوجد ترجمتان مقابلتان أساسيتان، هما: work، و labour [عمل/شغل]. فمتى نترجم travail/travaux إلى work ومتى نترجمها إلى labour؟ تتيح لنا المدونة المتوازية إعداد ملف بيانات التلازم اللفظي ذي الصلة، على أساس تحليل نطاق سياقي من خمس كلمات يسارا، وخمس كلمات يمينا عن الكلمة الرئيسة:

Travail/travaux	**Travail/travaux**
مترجمة إلى work	**مترجمة إلى Labour**
Programme (410)	Marché (747)
Commission (255)	Ministre (170)
Conseil (212)	Marches (151)
Cours (123)	Sociales (125)
Organisation (122)	Affaires (117)
Préparatoires (113)	Emploi (88)
Vue (109)	Forces (65)
Groupe (108)	Normes (60)
Temps (99)	Femmes (60)
Sécurité (97)	Sociale (50)

لقد اخترنا من كل ملف بيانات الكلمات العشرة الأكثر شيوعا (من غير الكلمات النحوية كالأدوات، والحروف) التي وجدت في السياق. وتكرار كل كلمة هو ما بين القوسين. ومن اللافت للنظر أنه لا يوجد إطلاقا تداخل بين الملفين. وهذا دليل واضح على أن travail/travaux، تقع في سياقات تختلف باختلاف ترجمتها، سواء كانت work، أو labour. فهل تساعد ملفات بيانات التلازم في الترجمة؟ وفيما يلي مثالان لجملتين فرنسيتين، إحداهما تقابل فيها travail كلمة labour:

WORK: La réforme du fonctionnement du Conseil soit operee independamment des *travaux* préparatoires en vue de la future conférence intergouvernementale.

LABOUR: Le Comité permanent de l'emploi s'est réuni aujourdhui sous la présidence de M. Walter Riester, ministre fédéral du *travail* et des affaires sociales d'Allemagne.

ويبدو فعلا أن لملف بيانات التلازم اللفظي جدوى في الترجمة. وليس لهذا علاقة بفهمنا البشري للمعنى. ففي المثال الأول نجد: vue، وهي جزء من التعبير الاصطلاحي: en vue de، والمركب الحرفي الذي يعني (in the face of [في مواجهة ...]). وهذا لا يرتبط دلاليا بـ travaux التي تعني work. كونه جزءا من ملف البيانات المرتبط بمدونتنا. ولا يبدو أن ثمة سببا وجيها لترجمة travaux في سياق Conseil إلى work، لا إلى labour. ولكن هذا ما حدث.

ولا يوجد أيضا في المثال الثاني سبب واضح لأن تكون emploi مقابلا بالضرورة لـ labour. ولكن ما حدث هو وقوعها ٨٨ مرة في سياق travail/ travaux، وترجمتها إلى labour، لا إلى work. والسبب الحقيقي، هو سبب مختلف. فـ le ministre du travail [وزير العمل] من الاسميات التي تأتي وكأنها تعبير اصطلاحي، ويقابلها في اللغة الإنجليزية 'Minister of Labour' أو 'Secretary of Labour' [وزير العمل]. إن ما يظهر لنا هنا هو أن المقاربة المنهجية لتحليل التلازم اللفظي (المقاربة القائمة على الاستعمال، بدلا من إعادة الصياغة) هي عملية تقنية لا تتلاءم نتائجها مع الفهم البشري.

وما تزال الأبحاث المتعلقة بالترجمات المقابلة المعتمدة على المدونات المتوازية في مراحلها الأولى. إذ لا بد أن تكون ملفات البيانات الخاصة بالتلازم اللفظي أدق. والهدف هو زيادة أهميتها بتخصيص المواضع في الأنماط النحوية بالعناصر المعجمية التي تتضمنها. وحاليا مدونتنا المتوازية صغيرة جدا على عمل ذلك. وما إن

يبلغ حجمها حجم مدونتنا الأحادية اللغة، قد يتضح لنا جيدا أن نوع المتلازمات اللفظية الذي لم يكن تعبيرا اصطلاحيا (مثل: travail / travaux، ومتصاحباتها، كما تظهر في ملف البيانات) يفضل وصفها بـ «متلازمات لفظية حقيقية» مطابقة لنمط نحوي معين. وهكذا نجد في الجملة الأولى التعبير travaux préparatoires [الأعمال التحضيرية] الذي يمكن أن ينظر إليه بوصفه تعبيرا اصطلاحيا أحادي المعنى، أي وحدة معنى متطابقة مع النمط (صفة + اسم)، وهي بالفعل مترجمة دائما في مدونتنا المتوازية بـ preparatory work [أعمال تحضيرية].

إن المدونات المتوازية ترصد أعمال الترجمة. ولأن المترجمين في الغالب لا يمكنهم الاعتماد على القواميس الثنائية اللغة، لا بد أن يكتسبوا كفاية تكون نتيجة لخبرتهم، وتفاعلهم مع الأعضاء الآخرين في مجتمع الخطاب الثنائي اللغة الذين هم جزء منه. وهم يهدفون في عملهم إلى مراعاة العرف السائد والمقبول في هذا المجتمع. ويتيح لنا منهج لسانيات المدونات الاستفادة من هذه الخبرة. وهدفنا ـ كما أشرنا آنفا ـ أن نستبدل مداخل الكلمات المفردة في القواميس الحالية الثنائية اللغة بمداخل من وحدات الترجمة. وستكون النتائج مبهرة. وفي مثال أخير سنستعمل مدونة صغيرة متوازية (ألمانية ـ فرنسية). والكلمة المختارة هي exclusion [استبعاد]، وهي تقريبا بنفس معنى نظيرتها الإنجليزية. سنجد تنوعا مدهشا من المقابلات على مستوى الكلمة مفردة. لكن هذا التنوع يزول بمجرد أن نستبدل الكلمة المفردة بمتلازمة لفظية تشكل جزءا منها. وفي مثالنا، التعبير الاصطلاحي هو: exclusion sociale [الإقصاء الاجتماعي]. ولذلك نجد المقابل الألماني الوحيد له هو: soziale Ausgrenzung. ويدل ذلك ـ من منظور ثنائي اللغة ـ أن exclusion sociale هي متلازمة لفظية «حقيقية». فهي أحادية المعنى، ووحدة معنى.

وبداية، فيما يأتي بعض المقتطفات من المدونة بالفرنسية ثم الألمانية، من خلال المكشاف السياقي KWIC (كلمة رئيسة في سياق) الذي يظهر هذا التنوع:

extraites pour la vente, à I'exclusion dies activités de transformation

den Verkauf mit Ausnahme der Tätigkeiten zur Weiterverarbeitung

['باستثناء الأنشطة']

qui résulte de leur travail, à I 'exclusion de l'irradiation résultant

wobei Bestrahlung durch Grundstrahlung unberücksichtigt bleiben

[تبقى متجاهلة]

roïde, la peau ou le tissu osseux, à I 'exclusion des extrémités désignées

so Bestrahlung anderer Organe oder Gewebe als Extremitäten

[الأعضاء أو الأنسجة الأخرى من غير]

des concertations qui débouchent sur I'exclusion de ceux qui sont

deren Ergebnis die Arbeitslosen ausgeschlossen warden

[استُبعدوا]

il nous manque le combat contre l'exclusion des travailleurs plus âgés

uns fehlt die Bekämpfung der Ausgrenzung von älteren Beschäftigten

[استثناء]

de viandes de gibier sauvage a I'exclusion des viandes de porcin sauvage

von Wildfleisch, ausgenommen Wildschweinfleisch, aus Drittländern

[باستثناء لحم الخنزير]

إن ذلك ليس سوى عينة بسيطة من التنوع الذي وقفنا عليه، وقد أخذت كل الاستشهادات من الأمثلة العشرة الأولى. وجميع الترجمات سليمة تماما، وهي بكل تأكيد مناسبة ضمن سياقاتها. ولا بد أن تضاف واحدة منها فقط، وهي المضمنة في أكبر قاموس فرنسي ـ ألماني Sachs-Villatte (الطبعة الأولى ١٩٧٩): mit Ausnahme von/der بوصفها ترجمة مقابلة لـ l'exclusion de. وجملة القول، إن التعبير الفرنسي ورد أربع مرات، وفي كل مرة يترجم ترجمة مختلفة. وقد وجدنا أيضا مقابلات لـ exclusion، هي: Ausschluss، وAusschließung، وVerweisung، ولم نجد Ausgrenzung. كما أن القواميس التقليدية الثنائية اللغة لا تلتفت إلى إمكانية ترجمة التعبير الاسمي sur l'exclusion de ceux [مع استبعاد هؤلاء] إلى تعبير فعلي ausgeschlossen warden [استُبعد].

وبمجرد الانتقال إلى المتلازمة اللفظية exclusion sociale تأتي النتيجة واضحة. فنجد في ٢٩ سياقا من ٣١ سياقا في مدونتنا الصغيرة الحجم: soziale Ausgrenzung بوصفها الترجمة الألمانية المقابلة. وفي المثالين الباقيين، حولت الصفة إلى ظرف مخصِّص للفعل. وفيما يلي مجموعة مختارة من النتائج التي توصلنا إليها:

diese Opfer sozialer sozialen	Ausgrenzung fur immer ausgeschlos
und der Gefahr sozialer	Ausgrenzung entgegengewirkt wird.
Kampf gegen die soziale	Ausgrenzung in ihren verschiedenen
das Problem der sozialen	Ausgrenzung junger Leute
Vermeidung der sozialen	Ausgrenzung, sind in einer
von Armut und sozialer	Ausgrenzung ist.
Bekampfung der sozialen	Ausgrenzung.
Armut und der	Ausgrenzung. In der EU leben

٢-٨ الخاتمة: من المعنى إلى الفهم

إن معنى أي وحدة معنى من منظور لسانيات المدونات، هو ما نستخلصه من الخطاب، وما نكشفه من كيفيةٍ لاستعمال المعنى. والأهم من بيانات الاستعمال الخام، هي التعبيرات المعادة صياغتها لوحدة المعنى. إذ تشرح لنا ماذا تعني هذه الوحدة، وتحاول تعريفها، وتعرفنا بكيفية ارتباط هذه الوحدة دلاليا بوحدات المعنى الأخرى. وقد يكون كتابا بمجمله إعادة صياغة. فكل كل تلك الكتب المتعلقة بالعولمة تسعى لشرح معنى العولمة لقرائها. والخلط في الواقع بين المعرفة اللغوية، والمعرفة الموسوعية، هو من البديهيات الكبرى في لسانيات المدونات.

ومن غير الممكن جمع معنى وحدة المعنى بالكامل. إذ لا يمكننا الوصول إلا لجزء بسيط من الخطاب. ولذلك لن نقف أبداً على كل العبارات المعادة صياغتها مما يحتويها الخطاب لوحدة معينة من المعنى. فالمدونات مهما بلغت من الحجم، لن تزودنا إلا بلمحة عما قيل. وينبغي ألا يثنينا ذلك. فمبدأ الملاءمة relevance في لسانيات المدونات، يؤكد لنا أن كل ما يعتقد أنه مهم، سيكرر في النصوص الأخرى. وطالما أن مدونتنا ذات حجم يكفي لأن تعرض عددا وافيا من العبارات المعادة صياغتها، فبوسعنا أن نطمئن إلى أن ما ينقصنا ليس ـ على الأقل ـ فهما سائدا، وغالبا لوحدة المعنى.

ولا يرجح أن أي شخصين قد تعرضا لنفس مجريات الخطاب تماما. فبمجرد أن يتباحثا في معنى وحدة المعنى، تختلف وجهتا النظر. ولربما يكونا قد سمعا بعض العبارات المتطابقة أو المتشابهة، لكن كلا منهما سيكون قد سمع ما لم يسمعه الآخر. وسيشترك كل منهما في إعادة صياغة بعض العبارات، وفي رفض البعض الآخر. وهذا هو سبب عدم ترجيح وجود شخصين قد اتفقا تماما على ما تعنيه وحدة معنى. فلا

يوجد وصف واحد يشمل شمولا تاما ما تعنيه الوحدة. إن مجتمع الخطاب مجتمع من الأعضاء المستقلين. ولذا إذا أراد أحدهم الوصول إلى اتفاق يتعلق بمعنى وحدة المعنى (globalization)، فعليه أن يطرحها للتباحث مع الأعضاء. ولا يلزم أن تكون نتيجة تباحثهم وجود طريقة واحدة فقط لإعادة صياغة (globalization). وقد يتفقوا أيضا على أن ثمة صياغتين أو ثلاث صيغ متضاربة، ومتداخلة فيما بينها، ومتعارض بعضها مع البعض الآخر.

ألا يعني ذلك أن وحدة المعنى هذه ليس لها معنى واحدا، بل معنيان، أو ثلاثة، أو العديد من المعاني؟ ألا يتعارض ذلك مع زعمنا بأن وحدات المعنى لها معنى واحد فقط، ومن ثم لا ينبغي أن يعنى المعجميون بالغموض المعجمي؟ أن تكون مجموعة، أو كتلة من الكلمات (أو حتى كلمة واحدة) هي وحدة معنى، لا يجعل الموضوع موضوع صياغة متطابقة، بل إن الأمر متعلق بالاستعمال. فقد يكون هناك أكثر من ١٠٠ صيغ مختلفة لـ globalization. وطالما أن جميع سياقات globalization ترد فيها الكلمة بنفس نمط الاستعمال، فسيستمر النظر إليها على أنها وحدة معنى واحدة. ولن يكون هناك غموض إلا في حالة ظهور نمطين (أو أكثر). وعندئذ نضطر إلى إضافة المزيد من العناصر المعجمية إلى مجموعة أو كتلة الكلمات؛ حتى نجد مرة أخرى لهذه الوحدة الأكبر نمط استعمال واحد فقط.

وستعني وحدة المعنى الشيء نفسه تماما حتى وإن لم يكن هناك ذلكما الشخصين؛ فالمعنى ما زال ظاهرة اجتماعية، لا عقلية. وكل التعبيرات المعادة صياغتها لأي وحدة معنى، هي جزء من نفس الخطاب. ولكن لن يتعرض لها كلها أي عضو من أعضاء مجتمع الخطاب. فإذا سألنا أي عضو عن معنى globalization، سيزودنا بتعبير آخر معادة صياغته، وستصبح هذه الصياغة طبعا جزءا من الخطاب، ومن ثم ستكون متاحة لأعضاء مجتمع الخطاب الآخرين. وقد يحاولوا وصف globalization بالدقة

التي تمكنهم من وصف فهمهم لها. لكن إعادة الصياغة لن تكون أكثر من تعبير واحد من بين العديد من التعبيرات.

إن التعبيرات المعادة صياغتها ـ تحديدا ـ هي تعبيرات لفظية، وجزء من الخطاب. أما فهمي لوحدة المعنى فهو فهم خاص. وعادة ما ينطوي على الكثير مما هو غير لفظي، وما لا يمكن التعبير عنه بسهولة. وفهمك لـ globalization سينطلق من التعبيرات التي سمعتها، لكنه لن يتوقف عند هذا الحد. ففيما تقدم لك كل تلك الصيغ شيئا مختلفا، تكون مضطرا لاتخاذ القرار بنفسك. إذ في محاولتك لفهم تلك الصيغ، ستستعمل حكمك. وقد يكون لديك تحفظات صارمة إلى حد ما على ما يعيد بعض الناس صياغته. فعندما يخبروك بأن globalization تؤدي إلى الازدهار، قد تربط ذلك بصورة الفقراء في بعض الدول المتخلفة. أو قد تفكر في مديري إنرون، وكيف دمروا الاقتصاد المحلي للبلدان التي شاركوها تجاريا. ومع ذلك، لن تكون قادرا أبدا على لفظ كل التداعيات الذهنية، أي كل ما يتبادر إلى ذهنك عند استعمال أي شخص لكلمة globalization في حضرتك. وستبقى دائما كيفية فهم أحدهم لوحدة المعنى التجربة الأولى له التي لا يمكن أن يصل إليها سواه، مثلما يحدث في التجارب الشعورية. فأعرف أنا فقط كيف أشعر بالحزن فعلا، بصرف النظر عن مدى صعوبة محاولتي في وصف ما أشعر به للآخرين. وأعرف أنا فقط، كيف استعملت كلمة globalization عندما وقفت عليها. إن البشر ليسوا آلات. فحتى وإن زودوا بنفس المدخلات، ستنتهي بهم الحال إلى استنتاجات مختلفة.

إذن السؤال المهم هو كيف يطور البشر فهمهم لوحدات المعنى؟ فقد مر وقت طويل لم نسمع فيه كلمة globalization. واليوم حين نسمعها نظن أننا نفهمها، وفهمنا لها يسع ما لا يسع أي تعريف في أي قاموس. من أين تأتي هذه التداعيات الذهنية. وكيف وصلنا إلى هذه الشبكة المعقدة، والغامضة من التداعيات والصور الذهنية؟

ونود أن نبحث في هذه الإشكالية من خلال تقصي كلمة truth. ماذا تعني؟ وكيف يرتبط معناها بفهمنا لها؟ وسنبدأ بالتعريف الذي نجده في قاموس NODE (من الآن ستكون كل الاقتباسات الآتية بدون التفاصيل التقنية والأمثلة والمعاني الإضافية):

the quality or state of being true; that which is true or in accordance with fact or with reality; a fact or *belief that is accepted as true*

ماذا تعني كلمة true؟

in accordance with fact or reality; real or actual

كيف نُعرِّف fact وreality؟

fact:a thing that is *indisputably the case*; the truth about events *as opposed to the interpretation*

reality: the world or state of things as they actually exist, as opposed to an idealistic or notional state of them

ماذا تعني the case؟

be so

وأخيرا، ماذا تعني actually؟

existing in fact, typically as contrasted with what was intended, expected or believed

لاحظ أن التعريفات جاءت حلقية بوضوح. وهذا في حد ذاته ليس غريبا. فلا بد أن تكون جميع تعريفات القاموس حلقية، وتستعمل الكلمات التي يجب أن تكون معرّفة في القاموس. الغريب هو أن تكون الحلقة مغلقة. فـ truth تُعرّف بـ true،

وبـ fact، وreality. وtrue تُعرّف بـ fact، وreality، وactual. وfact تُعرّف بـ be the case (أي: 'be so') وtruth. وreality تُعرّف بـ actual(ly). وactual(ly) تعرف بـ fact. ولذا فإن truth تعرّف بـ fact، وfact بدورها تعرفها truth. ويحاول صناع المعاجم عادة تجنب التعريفات بهذه الحلقات المتقاربة؛ لأنها لا تعين مستعمل المعجم على فهم المادة المعجمية المعنية. ومع ذلك، يظهر أنه في حالة الكلمات truth، وfact، وreality، ما من سبيل آخر لمتابعة العمل.

إن هذه المجموعة من التعريفات لا تناظر فهمي لمعنى truth، ولا فهم أي شخص آخر لها، وليس مقصودا منها ذلك. فـ Truth [الصدق] ـ ولا شك أننا نشعر بذلك جميعا ـ هو أمر مهم جدا، ويتجاوز أن يكون مجرد كونه الحال. إنه قيمة أخلاقية، وشيء يدين به الناس لبعضهم الآخر، وأمر بالغ العمق ينبغي تقصيه تقصيا مسؤولا، وليس مجرد شيئا يواجهنا، أو ننشده عند التعامل مع الظروف الحياتية اليومية، كطلبنا لنصف لتر من مشروب.

وحظنا أن قاموس NODE يزودنا ببعض التلميحات التي تشير إلى أن truth ليست ببساطة ما يبدو عليه ملخصنا لتعريفات القاموس تماما. ويعود ذلك إلى ما يتميز به هذا القاموس استثناء من بين القواميس الأخرى. لقد عرفنا بأن Truth تعني أيضا «belief that is accepted as true [معتقد مُصدَّق به بوصفه حقيقة]»، وضد كلمة interpretation [تأويل]، وتشير إلى الأشياء الواقعية في مقابل «idealistic or notional [المثالية، أو التصورية]»، بينما تشير actual(ly) إلى الوقائع الفعلية في مقابل «what was intended, expected or believed [ما كان مفتعلا أو متوقعا أو مفترضا]. إذن، truth هي عكس ما هو «notional [تصوري]»، أو «believed [افتراضي]، أو interpretation [مؤول] ذاتيا، وقد تكون أيضا رأيا مصدقا (ممن؟) بوصفه حقيقة. ولذا هي أكثر من مجرد كونها «what is the case' [الحال]». فقد تتضارب آراء الناس

فيما هو الصحيح. وثمة اضطراب يبدو ملازما لهذه الكلمة، إذ القاموس يجعلنا ندرك أن truth موضوع شائك. وهذا مشترك مع فهمي الشخصي لـ truth.

ومن خلال نظرة سريعة في قاموس American Random House College المنشور عام ١٩٧٥ (ثلثاه بحجم قاموس NODE)، يظهر التشابه الكبير بين تعريفات الكلمات المبحوثة، وتعريفات قاموس NODE. وفيما يلي نعرض ما وجدناه عن كلمة truth (وهنا أيضا كل الاقتباسات التالية بدون التفاصيل التقنية والأمثلة والمعاني الإضافية):

1. *true or actual state of the matter*. 2. conformity with fact or reality; verity. 3. a verified or *indisputable fact*, proposition, principle. 4. state or character of being true.

وتلك تعريفات fact، وreality:

fact: 1. the quality of existing or being real. 2. something known to exist or have happened. 3. a truth known by actual experience or by observation. 4. *something said to be true or to have happened.*

reality: 1. the state or quality of being real. 2. resemblance to what is real. 3. a real thing or a fact.

والواضح أنه يجب أن ننظر أيضا في الصفة real:

1. true, not merely ostensible or nominal. 2. actual rather than imaginary, ideal or fictitious. 3. having actual, rather than imaginary, existence. 5. genuine, authentic.

ويتطلب التعريف أيضا أن ننظر في تعريف كلمتين أخريتين هما verity، وverify:

verity: 1. the state or quality of being true. 2. something that is true, as a principle, a belief, or statement.

verify: 1. to prove the truth of, confirm. 2. to ascertain the truth, or correctness of. 3. to act as ultimate proof or evidence of; serve to confirm.

ويبدو أن تعريفات Random House عموما دالة على واقعية أقوى مما هي في تعريفات NODE. فـ «true or actual state of a matter [الحالة الحقيقية والفعلية لأمر ما]» أكثر وضوحا من: «the quality or state of being true; that which is true or in accordance with fact or with reality; a fact or belief that is accepted as true [الصفة أو الحالة التي تشير إلى أمر حقيقي. وما هو صحيح أو مطابق للحقيقة والواقع. وواقعة أو رأي مصدق بوصفه حقيقة]». فالشيء قد يكون صحيحا، أو قد لا يكون كذلك. وليس ثمة اضطراب في تعريف truth يسترعي انتباهنا. حيث يجيء التعريف الأول لـ real: true, not merely ... nominal [صحيح، وليس ذلك بالظاهر فقط]». غير أن هذا التلميح إلى جدالات العصور الوسطى في الواقعية realism مقابل الاسمانية nominalism يستلزم مسبقا أن تكون على معرفة جيدة بالفلسفة التي لا ينشدها سوى عدد قليل من الناس، ويفتقدها الكثير منهم. ويذكرنا التعريف الذي قُدّم من خلال العبارة «indisputable fact [حقيقة لا جدال فيها]» بعبارة قاموس NODE للشيء الذي «indisputably the case [لا جدال فيه]». وتأتي أكثر متانة في التعريف «something said to be true or to have happened [شيء يقال إنه واقع، أو قد حدث]». لكن هل لا بد أن نقبل هذا التعريف؟ هل نقول إن واقعة UFO [جسم مجهول، يُرى طائرا في السماء، ولا تُعرف حقيقته حتى اليوم] كانت حقا صحيحة؛ لأن بعض الناس قالوا إنها قد حدثت؟ إن تعريفات قاموس Random House لا تدعنا نشعر بالاضطراب الحاصل في تعريفات قاموس NODE، كما في تعريفها لـ actual: « existing in fact, typically as contrasted with what was intended, expected or believed [موجود في الواقع، وعلى النقيض مما كان مفتعلا، أو مقدرا، أو مفترضا]».

وحين نسأل أنفسنا، كيف نفهم كلمة truth، أو ما تعنيه لنا truth شخصيا، فإن تعريفات القاموس العادي بالتعريفات الحلقية المغلقة، ستكون متعلقة بآخر شيء يتبادر لأذهاننا. فـ truth في رأينا أمر مهم جدا، وعلى المحك دائما. إنها قيمة أخلاقية. وأول طريقنا لمعرفتها كان ببساطة في سياق الكذب. فآباؤنا المهتمون جدا بأماكن وجودنا، أرادوا أن يتأكدوا من إخبارنا لهم بالحقيقة truth، وهذا هو السبب الذي دفعهم لأن يخبرونا بأن الكذب سلوك خاطئ. ومن الغريب ألا يشير أي قاموس إلى lies [الكذب] في تعريفاته لـ truth [الصدق]. فهي بلا شك سيكون له دور مهم جدا في فهمنا لـ truth. ونقرأ في تعاليم الكنيسة الكاثوليكية:

(2483) Lying is the most direct offence against truth. To lie is to speak or act against the truth in order to lead into error someone who has the right to know the truth.

(٢٤٨٣) الكذب هو العدو اللدود للصدق. وأن تكذب يعني أن تتحدث، أو تتصرف بما يخالف الحقيقة، فيفضي ذلك إلى إلحاق الضرر بشخص من حقه أن يعرف الحقيقة.

وتلك إلى حد ما الطريقة المنطقية لصياغتها، رغم أنها حكمة مسلم بها. لقد أُخبرنا أن الآباء لديهم الحق في معرفة الحقيقة، وليس ذلك للأبناء. ومن هنا يأتي الاضطراب أيضا. فالحقيقة ليست بتلك البساطة.

إن الفهم تجربة شخصية. ولا يمكننا أبدا أن ننقل للآخرين ـ لفظيا، أو بأي طريقة كانت ـ كيفية فهمنا لأي وحدة معنى تماما كعجزنا عن نقل حجم الألم الذي نعانيه لأي شخص آخر. وفهمنا لأي وحدة معنى، ليس فهما ثابتا ليعبر عنه بالكلمات. فحين نسمع وحدة معنى، أو مقطعا نصيا، أو عندما نريد استعمال وحدة معنى ضمن مقطع نصي، نستحضر الكثير من الذكريات، تلك الذكريات المرتبطة بالأحداث التي كنا

حاضرين فيها أو حاضرين جزءا منها. وما نظن أنه ذكريات فعلية للحدث نفسه، هو في الغالب استدعاء لألفاظ متتابعة تتعلق بالحدث. وتنطوي كل تلك الذكريات على صور ذهنية أو صفات شعورية أخرى. وفيما يشير بعضها إلى بيانات محسوسة واقعية، فإن بعضها الآخر متخيل غالبا.

وثمة جانب آخر من تلك الذكريات يخص ذكريات مشاركة الناس الآخرين في الخطاب، أو الأشياء التي سمعناها من الناس أنفسهم، أو الأمور التي بُلغناها. وستستثير تلك النصوص أيضا ـ كلما تذكرناها ـ ذكرياتنا. إن ذاكرتنا هي ما تشكل فهمنا. غير أن تحكُّمنا بما نتذكر ضعيف جدا. فالتذكر مزيج من القصد، والعشوائية. وهو ليس نتاج عملية حسابية. وفهمنا لوحدة معنى مّا ليس فهما ثابتا، ومتوقف على الموقف، وعلى حالة الشعور، وعلى ماذا نريد أن نفعل، وعوامل أخرى كثيرة لا حصر لها. إن أي مدخلات ستغير من فهمنا. ولا يمكن أن نفهم النص عندما نقرؤه للمرة الثانية، بنفس الطريقة التي فهمناه فيها حين قرأناه في المرة الأولى.

لن نعرف truth دون أن يخبرنا عنها الآخرون. إنها الصيغ، والشروحات، والمعلومات التي تلقيناها منهم، ونتذكرها، ونستحضر ذكريات الأحداث التي نربطها بها. هذه العبارات المعادة صياغتها، هي ما تشكل معنى وحدة المعنى بالنسبة لنا. وكثيرا ما نشير إلى أننا قد تعرضنا لمجموعات مختلفة من تلك العبارات المعادة الصيغة، ومن ثم قد تعني كلمة truth أشياء مختلفة لأشخاص مختلفين. ولكن ما يجدر تذكره يجدر تكراره أيضا. ولذلك، ستكون العديد من العبارات المعادة الصيغة مألوفة لنا، حتى وإن كنا لم نقرأ النصوص التي وردت فيها.

ولإيجاد العبارات المعادة الصيغة لوحدة المعنى truth، بحثنا في بنك اللغة الإنجليزية (BoE) ذي الـ٢٤٠ مليون كلمة عن الجمل التي تبدأ بـ Truth is. وهو نمط شائع تستفتح به العبارات المعادة الصيغة. وعثرنا على ما مجمله ١٥٩ شاهدا لهذه

العبارة. وهي لا تكاد تذكر بالمقارنة مع العدد الإجمالي لحالات ورود كلمة truth فيه (٦٤٥ , ٣٤ مرة). وقد اتضح فيما بعد أن حوالي نصف الاستشهادات لم تكن إعادة صياغة إطلاقا. فكانت هناك جمل مثل: Truth is most of us have mediocre souls [الحقيقة هي أن معظمنا ذوو روح متواضعة]. ومع ذلك، ما تزال بقية العبارات المعادة الصيغة تمثل قاسما مشتركا لما تعنيه truth بالنسبة لنا جميعا. والعجيب أن يبدو من النظرة الأولى أن القواميس لا تخبرنا إلا عن القليل من تلك العبارات. ولعل ذلك ليس غريبا جدا. فالتعريفات التي نجدها في القواميس لا تختلف عليها الآراء عادة؛ ولذلك لا فائدة من تداولها في مجتمع الخطاب. وفيما يلي نعرض لمجموعة مختارة من العبارات المعادة الصياغة لكلمة truth، مرتبة ترتيبا غير دقيق في سبع مجموعات. وقد استبعدنا من هذه الاستشهادات المهمة ما رأيناه عارضا أو خارجا عن الصدد.

(1) Truth is an emotional phenomenon

Truth is a force which pierces your heart, Vysotsky said.

Truth is mostly subjective and that's good when you are talking about music.

Truth is an attribute of love. Love is not complete without truth. The truth never hurts another person.

(2) Truth is a spiritual phenomenon

Truth is a totem to Murphy: artistic and spiritual truth, rather than mere accuracy.

Truth is always before us: the truth of God is bigger and smaller than all our formulations, however precious they may be.

Truth is one of the first casualties of secularism. Truth is our king, the rest is nothing.

‘Truth is our king.’ Truth was holy, and cloud-cuckoo-land was silly, and blasphemy too.

(3) Truth is ugly Truth is full of warts, and worse. It is a heap of dirt, sucked dry by Ariadne’s kiss.

Truth is horrible. We live in an empty and meaningless cosmos where we can only expect to suffer.

Truth is not Beauty. It is something to be hidden in the deepest depths of one’s inmost being.

(4) Truth is elusive Truth is a black cat in a darkened room and justice is a blind bat, said Bertolt Brecht. Great Britain spent centuries making modifications to the ancient system of trial by combat.

Truth is immaterial and, often, so is justice.

Truth is the most fragile of ideas.

(5) Truth is relative

Truth is always relative.

Truth is an immensely personal matter - what is true for me is not necessarily true for you.

Truth is, in fact, a product of dispute.

Truth is sought in a joint quest and effort.

Truth is a victim of time.

Truth is something complicated, something to be sought out.

Truth is provisional, Mr Rushdie seems to be saying.

(6) Truth is absolute Truth is absolute.

Truth is blindingly obvious once you've recognised it. Truth is established rationally, by proof.

Truth is normatively consonant with warranted assertability.

Truth is truth, in Malaysia or in Manchester.

(7) Truth is a many splendoured thing

Truth is a difficult concept.

Truth is a problem.

Truth is at stake.

Truth is the main thing. Lenin said: More light! Let the party know everything!

Truth is the foundation of trust.

Truth is manly.

Truth is often stranger than fiction. Truth is what the masses like. Truth is not a priority.

إن كل تلك العبارات هي جزء من معنى truth. لم نسمعها كلها، لكنها تظل جزءا من الخطاب. وبدا العديد منها مألوفا. وتظهر قوقل ١,٣٤٠,٠٠٠ نتيجة لـ truth + stranger than fiction [الحقيقة + أغرب من الخيال]. ويمكن الحصول على أرقام مشابهة للعديد من العبارات الأخرى. حتى عبارة '**Truth** is normatively **consonant** with **warranted assertability**' ليست فريدة كما يبدو، إذ يظهر قوقل لـ '**truth consonant warranted assertability**' ٣٦ نتيجة. إن ما يلفت انتباه الناس، سيتكرر في الخطاب بلا حد، وسيترك آثاره في العديد من النصوص.

وإن فهم وحدة معنى ـ كما رأينا ـ سمة لذواكرنا. وجزء من هذا الفهم مدخلات لفظية. وهذا هو الجزء الذي يشكل ما تعنيه الوحدة عند كل منا على حدة. وهو ما يمكن نقله لفظيا بتكراره حرفيا، أو بإعادة صياغته. والجزء الثاني من الفهم تشكله الذكريات التي تُثار بالاستماع إلى وحدة المعنى في حالة معينة، أو قولها. وهذه الذكريات ضبابية، وغير مستقرة، وملأى بالفجوات، ومتبدلة على الدوام. إنها التجارب الشخصية الحقيقية. ومهما حاولنا بكل ما نملك لن نستطيع إيصالها للآخرين بمصداقية تامة. وهذا لا يعني أننا لا يمكن أن نعبر عن آرائنا بالكلام. بل سنشير إليها كلما تبادلنا الحديث truth مع الأعضاء الآخرين في مجتمع الخطاب. وستثري تلك القطع النصية الخطاب المتعلق بـكلمة truth، وقد تغير معناها عند أولئك المستمعين لهم، ولأنفسنا أيضا. أما الجزء الثالث لفهم وحدة المعنى، فهو تحكيم المنطق للمدخلات اللفظية، والذكريات التي تستحثها. فليس لنا أن نقبل كل شيء قيل لنا. وبوسعنا أن نشكل رأينا الخاص بنا الذي قد يختلف إلى حد ما عن المعنى السائد لتلك الوحدة. وبوسعنا أيضا أن نسهم في إعادة الصياغة الخاصة بنا لكلمة truth. وإذا ما اختلفت كثيرا عما يعتقده الآخرون، قد لا يقبلون ذلك. ومن ثم لن نرى لها أثرا في النصوص اللاحقة. ولكن فهمنا لإعادة الصياغة قد يختلف قليلا عن معنى truth عند الآخرين. وإذا ما استرعى انتباههم، وعبر عن فكرة لاحت في الأفق، وعكس طابع العصر، قد يختاره الآخرون، وقد يغير المعنى السائد.

إن المعنى بالنسبة للسانيات المدونات ظاهرة اجتماعية. وأعضاء المجتمع هم الذين يتداولون ما تعنيه وحدات المعنى. وما تعنيه أي وحدة معنى، هو نتاج عملية تشارك فيها الجميع، إذ إن كل شخص لديه ـ أو لا بد أن يكون له ـ رأي فيها. والأمر لا يخص العلماء، أو صفوة المجتمع، أو غيرهم. ولن يفرض علينا مثلا أن نضمن في معنى القتل *الإجهاض*. فلا توجد حقيقة في مسألة المعنى، وليس ثمة فرض مقنن للاتفاق

على تعريف. ولسنا مضطرين لأن نقبل أن property [الممتلكات] حرمة لا تنتهك. فقد نقول أيضا إن جميع الممتلكات مسروقة. وكلا الرأيين مقبولان على حد سواء. وما ينبغي علينا معرفته هو ما يلزم لجعل إعادة صياغة عباراتنا مقبولة لدى الأعضاء الآخرين في مجتمع الخطاب. فالثقافة منوطة بمعرفة المرء بدوره في الممارسات الجادة، والمؤثرة، بوصفه تابعا في المجتمع الخطابي. وتهيئ لنا لسانيات المدونات موضعا يتيح لنا أن نحيط أنفسنا علما بما يستعمله الآخرون في اللغة. وتمكننا هذه المعرفة من المساهمة بفعالية في الخطاب الذي نحن أعضاء فيه.

مطالعات أخرى

ليس ثمة شك في أن أبرز الشخصيات في مجال لسانيات المدونات هو العالم جون سنكلير. ولعل من أشهر المؤلفات المتداولة كتابه المرجعي Corpus Concordance Collocation (١٩٩١). وقد كان لفكر سنكلير الأصيل والناقد أثر على كثير من اللغويين. ونشرت مؤخرا مجموعة من مقالاته في الكتاب Trust the Text: Language, Corpus, and Discourse (٢٠٠٤).

وأفضل سبيل لزيادة المعرفة في مجال لسانيات المدونات هو بحثك شخصيا في المدونات. إلا أن ذلك لن يكون سهلا دون توجيه سديد. وثمة ـ على سبيل المثال ـ كتاب ممتاز للتعرف على كيفية التعامل مع اللغات وهو كتاب John Sinclair's Reading Concordances (2003) الذي يقدم العديد من الأمثلة، ومكتوب بأسلوب ميسر.

وقد تحدث عن موضوع التمثيلية representativeness العديد من الكتاب. ويمكنك الاطلاع مثلا على مقالة دوقلاس بيبر Representativeness in Corpus design (١٩٩٣) إذا ما رغبت في إلقاء نظرة على ذلك الموضوع. وثمة مؤلفات أخرى تناولت نفس الموضوع، ومنها على سبيل المثال: Corpus Linguistics: Investigating Language Structure and Use لـبيبر وكنراد وريبن (١٩٩٨). وAn Introduction to Corpus Linguistics لكندي (١٩٩٨)، ومقالة جيفري ليتش The state of art in corpus linguistics (١٩٩١)، والفصل الخاص بـأنطونيتي رينوف في كتاب Looking Up (1987).

وإذا كنت تتطلع إلى مزيد من المعلومات التقنية المتعلقة بتعليم المدونات، يزودك كتاب كتاب ماكنري وآخرين (2006) Corpus-Based Language Studies بمراجعة واضحة وموجزة، وليست تقنية تماما حول ذلك الموضوع. ويناقش هذا الكتاب أيضا مزايا ومعايب تحشية المدونات، كالتوسيم بأقسام الكلام (إضافة المعلومات المتعلقة بأقسام الكلمة)، والتوسيم بالمادة المعجمية (تجميع صيغ الكلمات تحت مادة معجمية واحدة)، والتوسيم بالإعراب (التحليل التركيبي). وتحشية المدونات من المسائل الخلافية، وقد تعرضت للنقد خصوصا من اللغويين الذين يتبنون المنهج الموجه بالمدونات corpus-driven (انظر أدناه).

إن مدونات اليوم غالبا ما تكون ضخمة الحجم، وإحدى المشكلات الرئيسة التي يواجهها لسانيو المدونات، هي كيفية معالجة هذا الكم الضخم من البيانات. ولذلك للإحصائيات دور مهم هنا. فحساب تكرارات ورود الأنماط اللغوية له أهمية جوهرية. ومع ذلك، قد تكون الإحصاءات مفيدة ـ كما هو الحال في أي تخصص تستعمل فيه الأساليب الإحصائية ـ ولكن بدون التفسير المناسب في المقام الملائم تحرف بكل بساطة الصورة العامة. ويقدم لنا الكتاب المذكور سابقا Corpus-Based Language Studies مقدمة موجزة في المناهج الإحصائية المستعملة في لسانيات المدونات. وإذا رغبت في الاستزادة يمكنك الحصول على كتاب أوكس (1998) Statistics for Corpus Linguistics.

لقد أصبحت المدونات تدريجيا جزءا من معظم الأبحاث اللغوية. ويجري الآن استعمالها على نطاق واسع في اللسانيات التطبيقية كذلك. فطوّر مجال تعليم اللغات وتعلمها مدونات المتعلمين الخاصة به، واستعملت دراسات الترجمة المدونات المتوازية، وصارت المدونات أداة جوهرية في صناعة المعجم الحديث. ولمعرفة المزيد حول لسانيات المدونات وتدريس اللغات اطلع ـ على سبيل المثال ـ على

How to Use Corpora in Language Teaching (سنكلير (محرر)، ٢٠٠٤)، و Computer Learner Corpora, Second Language Acquisition and Foreign Language Teaching (قرينجر وهنق وبيتش تايسون (محررون)، ٢٠٠٢).

وما من شك في أن المدونات تقدم للدراسات اللغوية إمكانيات حديثة. لقد أحدثت المدونات ثورة في مجال اللسانيات وشعبته. بل إن مجال لسانيات المدونات نفسه تغير تغيرا كبيرا. لقد كان يعد في المقام الأول مجموعة من العمليات الإجرائية، وما يزال العديد من اللسانيين، لا يعترفون بلسانيات المدونات، ولا ينظرون إليها إلا بوصفها منهجا متبعا (ماكنري وآخرون ٢٠٠٦: ٨). وتقدم لسانيات المدونات ـ سواء كان ذلك في إطار نظري أو تصوري ـ نظرة للغة تميزها عن الآراء، أو وجهات نظر اللسانيات الإدراكية المعتمدة كثيرا على التأملات بدلا من البيانات اللغوية الطبيعية (تيوبيرت ٢٠٠٥: ٢). وهكذا تتخذ لسانيات المدونات موقفا إزاء الدراسات اللسانية القائمة على التأمل والحدس، غير أن في الميدان نفسه يوجد منهجان: المنهج القائم على المدونات corpus- based والمنهج الموجه بالمدونات corpus-driven. فهذا المنهج الأخير ـ لكونه الأكثر تطرفا ـ عرّفته توقنيني ـ بونيلي (٢٠٠١: ٨٧) بأنه يهدف إلى استخلاص المقولات اللغوية استخلاصا منهجيا من الأنماط المتكررة، ومن توزيع التكرارات التي تنشأ من اللغة في السياقات.

وتبحث لسانيات المدونات في اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، وتركيزها منصب على المعنى. والمعنى لا يمكن فصله عن الشكل. فأولى أولويات لسانيات المدونات عند وصف اللغة، هو المعجم الكلي بخلاف اللسانيات التقليدية. ومع ذلك، فإن حقل لسانيات المدونات اليوم يتميز بالتنوع الواسع، ويشهدا نموا سريعا في التأليف. ودائما ما تكون أي مجموعة مختارة من الكتب، والمقالات العلمية الموصى بها غير كافية، فلا تعد الخيارات أعلاه إلا انطلاقة جيدة نحو استكشاف لسانيات المدونات.

قائمة المصطلحات

alignment الرصف/ التحذية

عملية رصف الوحدات المتقابلة في المدونات المتوازية الثنائية اللغة، أو المتعددة اللغات، بحيث تتوافق أي وحدة في اللغة الواحدة مع الوحدة المقابلة لها في اللغة الأخرى، ويمكن الوصول إليهما، وعرضهما في نفس الوقت.

annotation التحشية

معلومات خارجية تضاف إلى المدونة، كالتوسيم، أو المعلومات التي تحدد أصل وطبيعة النص.

antonymy التضاد

علاقة التضاد في المعنى، كما يحدث في الإنجليزية بين good [جيد]، و bad [سيء]، أو بين buy [يشتري]، و sell [يبيع].

cognate, cognate word الكلمة القريبة/ النسيبة

١) كلمة تتعلق بكلمة، أو كلمات أخرى في نفس اللغة، عن طريق الاشتقاق، كما هو الحال في كلمة thought الإنجليزية، أخت think.

٢) كلمة تتشارك أصلا واحدا مع كلمة، أو كلمات أخرى، كما في كلمة sleep الإنجليزية، وslap الهولندية، و Schlaf الألمانية، المنحدرات جميعا من الصيغة الجيرمانية القديمة.

cognitive linguistics اللسانيات الإدراكية

فرع من اللسانيات، أو العلوم الإدراكية، التي تسعى لتفسير اللغة، من حيث العمليات العقلية، أو بالإشارة إلى الواقع الذهني الذي تقوم عليه اللغة.

collocate التصاحب

كلمة ترد مرارا وتكرارا في جوار كلمة عقدة داخل النصوص. ففي الإنجليزية مثلا، تتصاحب الكلمات partial, lunar, solar مع الكلمة الرئيسة eclipse.

Collocation التلازم اللفظي

التلازم الدال لكلمتين أو أكثر (كلمة عقدة وتصاحبها أو تصاحباتها) بتقارب مع بعضهم البعض. وكعلاقة معجمية، يمكن تعريف التلازم اللفظي ـ كميا ـ على أنه الدرجة التي يزداد بها احتمال ورود الكلمة ص بوجود الكلمة س في النص.

ملف بيانات التلازم اللفظي collocation profile

قائمة يولدها الحاسوب، وتتألف من جميع المتصاحبات لأي كلمة مبحوثة في مدونة، وترتب عادة حسب دلالاتها الإحصائية.

concordance المكشاف السياقي

قائمة من أسطر نصية، يحتوي كل سطر فيها على كلمة رئيسة، وتولد في الوقت الحاضر آليا كمخرج أساسي لأي عملية بحث في مدونة، وذلك بعرض الكلمة في سياقاتها. ومن ثم يمثِّل الناتج مجموع استعمال هذه الكلمة؛ انظر أيضا: KWIC (كلمة رئيسة في سياق).

كلمات المحتوى content word

كلمة ذات معنى واضح نسبيا وخاص بها، وتـقابلها الكلمات الوظيفيـة function word.

المدونة corpus

مجموعة من النصوص اللغوية الطبيعية في صيغة إلكترونية، وتجمع غالبا وفق معايير تصميم معينة، وتضم عادة الملايين من الكلمات.

الخطاب discourse

مجموع التفاعلات والممارسات اللفظية (المنطوقة والمكتوبة) التي جرت وتجري في مجتمع اللغة.

تأصيل الكلمة etymology

بيان الأصل التاريخي للكلمة، وتطورها.

التعبير الاصطلاحي fixed expression

تصاحب كلمتين معا ـ أو أكثر ـ مشكلا بذلك وحدة معنى.

function word الكلمة الوظيفية

كلمة ذات معنى عام نسبيا، وتؤدي وظائف خاصة، كالعلاقات النحوية. مثل الكلمات الإنجليزية: for– to – the، وتقابلها كلمات المحتوى.

توليدي generative

القدرة على توليد مجموعة غير محدودة من الجمل النحوية في أي لغة، من خلال قاعدة أو مجموعة محدودة من القواعد الصورية.

كلمة فريدة hapax legomenon

هي كلمة أو صيغة توجد مرة واحدة فقط في متن أي نص، على نحو مدونة، أو مؤلفات لكاتب واحد.

الاشتمال hyponymy

علاقة معنوية بين كلمات محددة وعامة، ففي الإنجليزية rose تنتمي إلى النوع flower.

مصطلح idiom

نوع من التعبيرات الاصطلاحية، لا يمكن استخلاص معناه من معاني أو وظائف أجزائه المختلفة، كما في المصطلح الإنجليزي kick someone upstairs الذي يعني «ترقى لوظيفة أهم، ولكن بدافع إبعاده عن منصبه الحالي».

(كلمة رئيسة في سياق) KWIC

مجموعة من الأسطر المفهرسة المولدة آليا، وتوجد فيها الكلمة الرئيسة في وسط كل سطر.

المادة المعجمية lemma

صيغة تمثل صيغا متعددة من مدخل معجمي في القاموس، كما في المادة المعجمية الإنجليزية bring، التي تمثل bring-brings-bringing- brought.

الوحدة المعجمية lexical item

الكلمة التي تفهم بوصفها وحدة معنى، بدلا من أن تفهم بوصفها صيغة مكتوبة، أو منطوقة.

النحو المعجمي lexicogrammar

معجم ونحو أي لغة، المشتقان معا كنظام متكامل.

المعجم lexicon

مخزون المفردات، أو الكلمات في اللغة، الذي يفهم عادة كنظام معجمي، أو جزء من النحو المعجمي.

علم المعجم lexicology

دراسة المعجم.

صناعة المعاجم lexicography

فن، أو علم صناعة القواميس.

العقلانية mentalism

الإيمان بحقيقة العقل البشري، وبإمكانية وأهمية البحث فيه، بطريقة منهجية.

meronymy الجزئية

العلاقة المعنوية بين الجزء والكل، كما في الكلمات الإنجليزية: arm [ذراع] و body [جسم]، أو sole [فردة نعل]، وshoe [نعل].

المدونة الراصدة monitor corpus

مدونة تضم عينات من اللغة، جمعت من أزمنة مختلفة، وتُحدّث بصفة دورية تامة، فتدعم البحث في التغيرات اللغوية.

الوحدة الصرفية morpheme

أصغر عنصر في اللغة يؤدي معنى أو وظيفة، ومنه اللواحق، نحو: pre أو ed، بالإضافة إلى الكلمات التي يتعذر حذف شيء منها، كـالفعل want [يريد] والاسم white [أبيض].

الكلمة المستحدثة neologism

كلمة، أو صيغة، أو بنية، أو دلالة حديثة، أدخلت في الخطاب، فصارت جزء من اللغة.

المدونة الناهزة opportunistic corpus

مدونة تستعمل الموارد المتاحة والمتوفرة بسهولة. ولا يقال عنها إنها ممثلة للغة. وتعكس الفرضية التي تؤكد على أن كل مدونة، لا يمكن أن تكون متوازنة.

نموذج paradigm

مجموعة الصيغ الصرفية التي تحددها بعض الخصائص النحوية عادة، والمعتمدة على وحدة معجمية واحدة، كما في الإنجليزية: chase, chasing, chased، أو want, wanting, wanted.

مدونة متوازية parallel corpus

هي المدونة التي تضم نصوصا متقابلة بلغتين أو أكثر، ومحذّاة في الغالب. وتسمى أحيانا مدونة الترجمة، ولكنها لا تضم دائما النص الأصلي وترجماته.

التحليل التركيبي/ الإعراب parsing

هو التحليل النحوي للنص، وعادة ما يكون الهدف الرئيسي منه، هو تحديد عناصره من فاعلين، وأسماء، وأفعال، وما إلى ذلك.

أقسام الكلام = part of speech نوع الكلمة word class

الصفة الشعورية qualia

الصفات المحسوسة المرتبطة بالتجارب، والمعبر عنها بكلمات محددة، كالشعور بالألم، أو سماع الأصوات.

المدونة المرجعية reference corpus

المدونة التي تهدف إلى تحقيق التوازن، وتمثيل اللغة المعاصرة.

علم الدلالة semantics

الدراسة المنهجية للمعنى في اللغة.

المدونة الخاصة special corpus

المدونة المبنية لغرض بحثي خاص.

الترادف synonymy

علاقة تطابق أو تشابه في المعنى، كما بين dentures [طقم أسنان]، وfalse teeth [أسنان تركيبة]، أو بين often [غالبا]، و frequently [كثيرا] في الإنجليزية.

التوسيم tagging

إسناد وسوم نحوية للكلمات في المدونة إسنادا آليا في الغالب، وعادة ما تشير تلك الوسوم إلى نوع الكلمات.

مصطلح term

كلمة ذات معنى دقيق إلى حد ما ومستقلة عن السياق. ويخضع المصطلح في

الغالب لبعض الاتفاقيات، أو اللوائح الخاصة، كما هو الحال في المصطلحات التقنية التي تحددها المجامع اللغوية.

مكنز thesaurus

مستند تجمع في الكلمات حسب المعنى، بدلا من سردها ألفبائيا.

مدونة الترجمة translation corpus

مدونة تضم النص الأصلي مع ترجمة واحدة له ـ على الأقل ـ إلى لغة أخرى، انظر أيضا: المدونة المتوازية.

نوع الكلمة word class

مجموعة قليلة من التصنيفات النحوية التي يمكن أن تسند إلى الكلمات، وتختلف من لغة إلى أخرى. غير أنها عادة ما تتضمن الأسماء والأفعال والصفات، وتعرف أيضا بأقسام الكلام.

المراجع

- Aarts, J. , P. de Haan and N. Oostdijk (eds), 1992, English Language Corpora: Design, Analysis and Exploitation, Papers from the Thirteenth International Conference on English Language Research on Computerized Corpora, Rodopi, Amsterdam.
- Biber, Doug, 1993, 'Representativeness in corpus design', Literary and Linguistic Computing 8(4), 243-57.
- Biber, D. , S. Conrad and R. Reppen, 1998, Corpus Linguistics: Investigating Language Structure and Use, Cambridge University Press, Cambridge.
- Biber, Douglas, Stig Johansson, Geoffrey Leech, Susan Conrad and Edward Finegan, 1999, Longman Grammar of Spoken and Written English, Pearson Education, Harlow, England.
- Calzolari, N., M. Baker and T. Kruyt (eds), 1995, Towards a Network of European Reference Corpora, Linguistica Computazionale Vol. XI—XII, Giardini Editori e Stampatori, Pisa.
- Carroll, Lewis, 1994, Alice Through the Looking Glass, Penguin Popular Classics, London.
- Catechism of the Catholic Church, 1995, available online
- (www.christusrex.org).
- Chomsky, Noam, 1957, Syntactic Structures, HarperCollins Publishers, New York and Glasgow.
- Chomsky, Noam, 1965, Aspects of the Theory of Syntax, MIT Press, Cambridge, Massachusetts.

- Chomsky, Noam, 2000, New Horizons in the Study of Language and Mind, Cambridge University Press, Cambridge, Massachusetts.
- Collins COBUILD English Language Dictionary, 1987, editor-in-chief John Sinclair, HarperCollins, London.
- Collins Dictionary of the English Language, 1979, edited by Patrick Hanks, William Collins, Glasgow.
- Collins—Robert French Dictionary, 1998 (5th edn), HarperCollins, London.
- Culler, Jonathan, 1976, Saussure, Fontana Modern Masters, William Collins, Glasgow.
- Dennett, D. C. , 1993, Consciousness Explained, Penguin, London. Edmonds, P., 2002, Introduction to SENSEVAL, ELM Newsletter, October 2002.
- Fellbaum, C. (ed.), 1998, WordNet: an Electronic Lexical Database, MIT Press, Cambridge, Massachusetts.
- Firth, J. R. , 1957, Papers in Linguistics 1934—1951, Longman, London.
- Fodor, J. A. , 1975, The Language of Thought, MIT Press, Cambridge, Massachusetts.
- Fodor, J. A. , 1994, The Elm and the Expert: Mentalese and its Semantics, MIT Press, Cambridge, Massachusetts.
- Fodor, J. A., 1998, Concepts; Where Cognitive Science Went Wrong, 1996 John Locke Lectures, Oxford University Press, Oxford.
- Fodor, J. A. and E. Lepore, 2002, The Compositionality Papers, Oxford University Press, Oxford.
- Fries, Charles C. , 1940, American English Grammar, Appleton Century Crofts, New York.

- Fries, U. , G. Tottie and P. Schneider (eds), 1993, Creating and Using English Language Corpora, Papers from the Fourteenth International Conference on English Language Research on Computerized Corpora, Zürich, Rodopi, Amsterdam.

- Goody, J., 2000, The Power of Written Tradition, Smithsonian Institute Press, Washington and London.

- Granger, S., J. Hung and S. Petch-Tyson (eds), 2002, Computer Leaner Corpora, Second Language Acquisition and Foreign Language Teaching, John Benjamins, Philadelphia.

- Hunston, Susan and Gill Francis, 2000, Pattern Grammar: a CorpusDriven Approach to the Lexical Grammar of English, John Benjamins, Amsterdam and Philadelphia.

- Johansson, S., G. Leech and H. Goodluck, 1978, Manual of Information to Accompany the Lancaster-Oslo/Bergen Corpus of British English, for Use With Digital Computers, University of Oslo, Department of English, Oslo, available online (http://khnt.hit.uib.no/icame/manuals/lob/INDEX.HTM).

- Johnson's Dictionary: A Modern Selection by E. L. McAdam and George Milne, 1995, Cassell, London.

- Keller, R. , 1998, A Theory ofLinguistic Signs, Oxford University Press, Oxford.

- Kennedy, G. , 1998, An Introduction to Corpus Linguistics, Longman, London and New York.

- Krishnamurthy, R. (ed.), 2004, English Collocation Studies: the OSTI Report (new edition of Sinclair, J. , S. Jones and R. Daley, 1970, English Lexical Studies: Report to OSTI on Project C/LP/08). London and New York: Continuum.

- Lakoff, G. , 1987, Women, Fire, and Dangerous Things, University of Chicago Press, Chicago.
- Langenscheidts Großwörterbuch Französisch (Sachs—Vilatte), 1979, Teil 1: Französisch—Deutsch, Völlige Neubearbeitung, Teil 2: Deutsch—Französisch, Völlige Neubearbeitung 1968 mit Nachtrag 1979, Langenscheidt, Berlin and Munich.
- Leech, G. , 'The state of art in corpus linguistics', in K. Aijmer and B. Altenberg (eds), English Corpus Linguistics. Studies in Honour of Jan Svartvik, Longman, London, pp.8—29.
- Levitt, T. , 1983, The Globalization of Markets, Harvard Business Review 6 (3), May—June 1983.
- Lewis, Charlton T. and Charles Short, 1879, A Latin Dictionary: Founded on Andrews' Edition of Freund's Latin Dictionary, Revised, Enlarged and in great part Rewritten by Charlton T. Lewis and Charles Short, Oxford University Press, Oxford. (Various editions published later.)
- Liddell, Henry George and Robert Scott, 1843, Greek—English Lexicon, Oxford University Press, Oxford. (Various editions published later.)
- Littré, Emile, 1863—73, Dictionnaire de la Langue Franqaise (Supplement published 1878 and various editions published later.)
- Longman Dictionaxy of Contemporary English, 1987 (new edn), editorial director Della Summers, Longman, Harlow.
- Longman Dictionary of English Idioms, 1979, Longman, Harlow and London.
- McEnery, T. and A. Wilson, 1996, Corpus Linguistics, Edinburgh University Press, Edinburgh.
- McEnery, T. , R. Xiao and Y. Tono, 2006, Corpus-Based Language Studies, Routledge, London and New York.

- Macmillan English Dictionary for Advanced Learners, 2002, MacmilIan Publishers, Oxford.
- Macquarie Dictionary, 1997 (3rd edn), editor in chief Arthur Delbridge, Macquarie Library, Sydney.
- Mayr, E. , 2002, What Evolution Is, Weidenfeld & Nicholson, London. Millar, S., 2003, The Language of War, Guardian, 24 March 2003.
- Miller, K. L. , 2002, The New Buzzword: Globaloney, Newsweek, Special Edition, December 2002—February 2003.
- Moon, R. , 1998, Fixed Expressions and Idioms in English. A Corpusbased Approach, Clarendon Press, Oxford.
- New English Dictionary on Historical Principles, 1884—1928, edited by James A. H. Murray, H. Bradley, W. A. Craigie and C. T. Onions, Clarendon Press, Oxford.
- New Oxford Dictionary of English, 2001, Oxford University Press, Oxford.
- New Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles, 1993 (rev. edn), 2 vols, edited by Lesley Brown, Clarendon Press, Oxford.
- Oakes, M. , 1998, Statistics for Corpus Linguistics, Edinburgh University Press, Edinburgh.
- Oxford Dictionary of New Words, 1997, edited by E. Knowles and J. Elliott, Oxford University Press, Oxford.
- Oxford Dictionary of Sociology, 1998, edited by G. Marshall, Oxford University Press, Oxford.
- Oxford—Duden German Dictionary German—English/English—German, 1999 (2nd edn), Oxford University Press, Oxford.
- Oxford English Dictionary, 1989 (revised edition of the New English Dic-

tionary on Historical Principles), 20 vols, prepared by J. A. Simpson and E. S. C. Weiner, Clarendon Press, Oxford.

- Palmer, H. and A. S. Hornby, 1933, The Second Interim Report on English Collocations, Kaitakusha, Tokyo.
- Pinker, S. , 1994, The Language Instinct: How the Mind Creates Language, William Morrow, New York.
- Putnam, H. , 1975, The Meaning of 'Meaning', in Mind, Language and Reality, Philosophical Papers vol. 2.
- Quirk, R. , S. Greenbaum, G. Leech and J. Svartvik, 1985, A Comprehensive Grammar of the English Language, Longman, London.
- Random House College Dictionary, 1975 (2nd edn), Random House, New York.
- Renouf, Antoinette, 1987, 'Corpus development', in J.M. Sinclair (ed.), Looking Up. An account of the COBUILD Project in Lexical computing, HarperCollins, London, pp. 1—22.
- Robins, R. H. , 1979 (2nd edn), A Short History of Linguistics, Longman, London.
- Roget, Peter Mark, 1852, Thesaurus of English Words and Phrases, Longman, Brown, Green and Longman, London. (Various editions published later.)
- Said, E. W. , 1995, Orientalism: Western Conceptions of the Orient, Penguin, London.
- Sampson, G. , 1997, Educating Eve: The 'Language Instinct' Debate, Cassell, London.
- de Saussure, Ferdinand, 1960, Course in General Linguistics, Peter Owen, London (translated by Wade Baskin).
- de Saussure, Ferdinand, 1972, Cours de Linguistique Générale, Editions Payot, Paris (édition critique préparée par Tullio de Mauro).

- References

- de Saussure, Ferdinand, 1983, Course in General Linguistics, Duckworth, London (translated by Roy Harris).
- Searle, J. R. , 1983, Intentionality: An Essay in the Philosophy of Mind, Cambridge University Press, Cambridge.
- Searle, J. R. , 1992, The Rediscovery of the Mind, MIT Press, Cambridge, Massachusetts.
- Searle, J. R. , 1998, Mind, Language and Reality, Basic Books, New York.
- Sinclair, J. (ed.), 1987, Looking Up: An Account of the Cobuild Project in Lexical Computing, HarperCollins, London.
- Sinclair, J. , 1991, Corpus Collocation Concordance, Oxford University Press, Oxford.
- Sinclair, J. , 1996, 'The Empty Lexicon', International Journal of Corpus Linguistics 1: 99—119.
- Sinclair, J. , 2003, Reading Concordances, Pearson Education, London.
- Sinclair, J. (ed.), 2004, How to Use Corpora in Language Teaching, John Benjamins, Amsterdam
- Sinclair, J. 2004, Trust the Text. Language, Corpus and Discourse, Routledge, London.
- Sperber, D. and D. Wilson, 1998, The Mapping between the Mental and the Public Lexicon, in P. Carruthers and J. Boucher (eds), Language and Thought, Cambridge University Press, Cambridge.
- Stubbs, M. , 2001, Words and Phrases: Corpus Studies of Lexical Semantics, Blackwell Publishers, Oxford.
- Svartvik, J. (ed.), 1990, The London Corpus of Spoken English: Description and Research, Lund Studies in English 82, Lund University Press, Lund.

- Teubert, W. , 2005, 'My version of corpus linguistics', International Journal of Corpus Linguistics 10(1), 1—13.
- Tognini-Bonelli, E. , 2001, Corpus Linguistics at Work, John Benjamins, Amsterdam.
- Wierzbicka, A. , 1996, Semantics. Primes and Universals, Oxford University Press, Oxford.
- Wildhagen, K. and W. Héraucourt, 1963—72, English—German/German—English Dictionary, 2 vols, Brandstetter, Wiesbaden.

المدونات

• بنك الإنجليزية (The Bank of English)، http://titania.bham.ac.uk/

• المدونة الوطنية البريطانية (British National Corpus)، http://www.natcorp.ox.ac.uk/

• مدونة براون (Brown Corpus)، والدليل موجود في: http://icame.uib.no/brown/bcm.html

• المدونة الوطنية التشيكية (Czech National Corpus)، http://ucnk.ff.cuni.cz/english/

• مدونة معهد اللغة الألمانية (IDS - Institut für Deutsche Sprache)، http:// cor-pora.ids-mannheim.de/

• المدونة العالمية للغة الإنجليزية (ICE - International Corpus of English)، http:// www.ucl.ac.uk/ english-usage/ice/

• مدونة لانكستر ـ أوسلو\بيرقن (Lancaster-Oslo/Bergen)، والدليل موجود في: http:// khnt.hit.uib.no/icame/manuals/lob/INDEX.HTM

• مدونة لندن ـ لند (London Lund Corpus)، http://khnt.hit.uib.no/icame/manuals/LONDLUND/INDEX.HTM

• مدونة سبراكبانكين السويدية (Språkbanken)، http://spraakbanken.gu.se/

• ووردنت، http://www.cogsci.Princeton.edu/~wn/